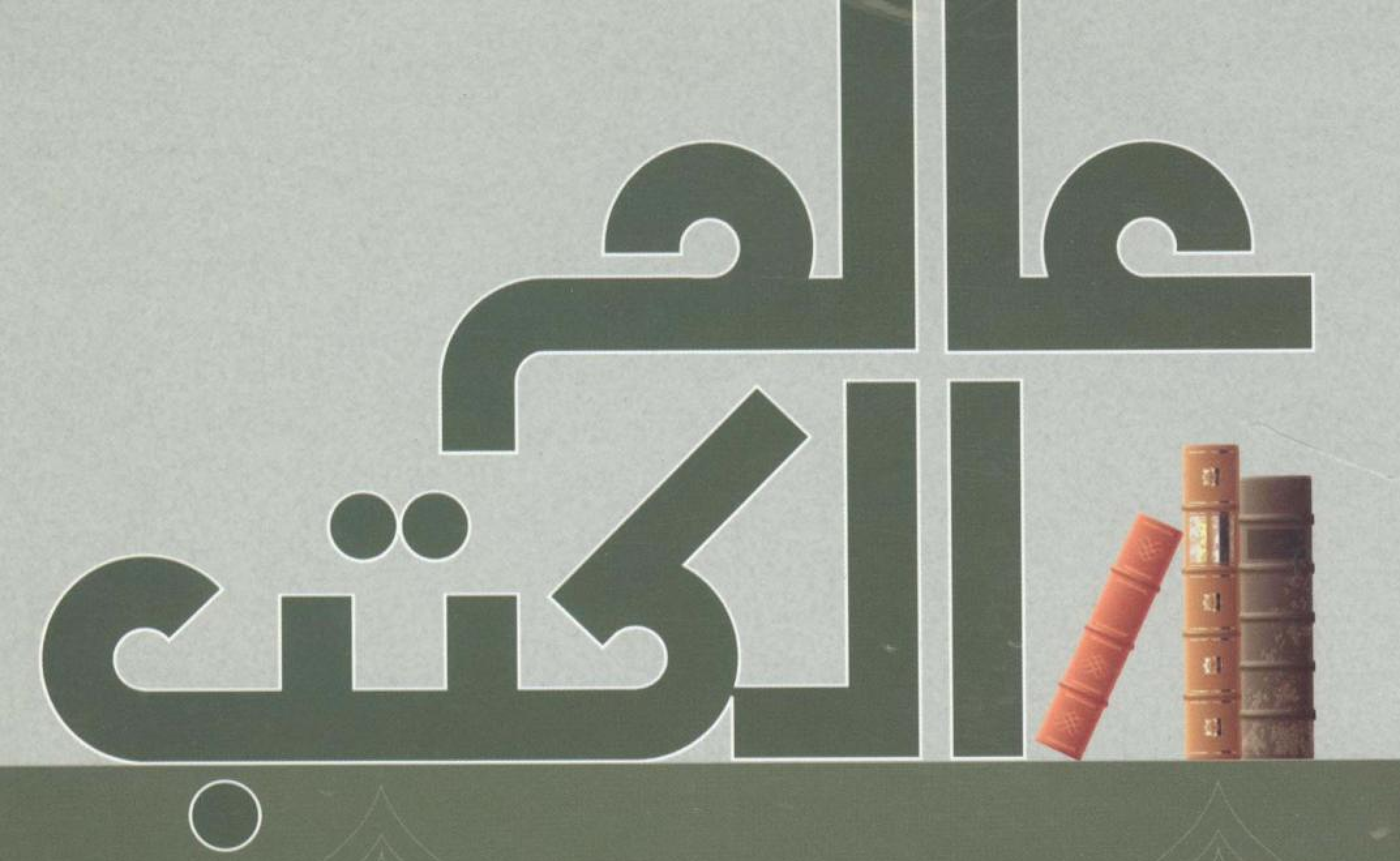


المجلد الثالث والثلاثون - العددان: الأول والثاني رجب - شوال ١٤٣٢هـ/ يوليو - أكتوبر ٢٠١١م



Vol.33 No.1-2 July - Oct. 2011
المجلد الثالث والثلاثون، العددان: الأول والثاني رجب - شوال ١٤٣٢هـ/ يوليو - أكتوبر ٢٠١١م

مجلة فصلية محكّمة متخصصة في الكتاب وقضاياه
صدر العدد الأول منها في رجب ١٤٠٠هـ/ مايو ١٩٨٠م

المحتويات

تصدر المجلة بدعم وتعضيد من:
مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض



الناشر:
دار ثقيف للنشر والتوزيع

شركة مطابع نجد التجارية
٤٤٨٨٠٢٤

الدراسات:

المراجعات:

تعقيبات:

كتب صدرت حديثاً

الدراسات

المكتبات العامة

لمحة تاريخية عبر العصور

سعد بن عبدالله الضبيعان
أستاذ المكتبات - كلية الآداب - قسم علوم المكتبات
جامعة الملك سعود - الرياض

١ - المكتبات العامة في العهد القديم :

يقسم المؤرخون العصور الزمنية إلى عصرين متميزين:

أ - العصر الحجري.

ب - العصر التاريخي.

والحد الفاصل بينهما اختراع الكتابة الذي تم في الألفية الرابعة قبل الميلاد، والذي يعد من الأحداث المهمة التي غيرت الحياة البشرية بأكملها.

١ - ١/ المكتبات في الشرق القديم :

عرفت الكتابة في حضارات الشرق القديمة قبل غيرها وخاصة في وادي الرافدين، ووادي النيل. وبظهور الكتابات بدأت المكتبات في الظهور، وإن اختلفت عن مفهوم هذا العصر. لقد انتشرت المكتبات في وادي الرافدين في عدة أماكن مثل: نيبور، وبابل، وأور، ونينوى. وكانت تسمى: «بيت اللوحات»؛ لأن مكوناتها من اللوحات أو الرقم الطينية. ولعل مكتبة نينوى التي أسسها آشور بانيبال (٦٦٨ - ٦٢٦ ق. م) أشهر تلك المكتبات. وتشير الدلائل إلى أن مجموعات هذه المكتبة قد وصلت إلى ٥٠٠ ألف رقمة طينية. وفي مصر ظهرت المحفوظات أو السجلات الدينية في المعابد والقصور وهي تعد نواة المكتبات في مصر، وأطلق عليها تسميات مختلفة منها «بيت المكتبات المقدسة» و«محفوظات الأسلاف» و«قاعات كتابات مصر» وغيرها من التسميات. ومن أهم تلك المكتبات مكتبة رمسيس الثاني التي سميت «مكان إنعاش الروح»، وكان لهذه المكتبة أمين خاص بها. كما وجدت مكتبة أخناتون في تل العمارنة .

وباعتبار الفرعون إلهاً - فضلاً عن كونه الحاكم المدني -، فقد كان القصر هو المعبد، إلا أنه بتطور الحياة وتعقدها انفصلت المعابد عن القصور، ولذلك وجدت أنواع مختلفة من المكتبات كمكتبات القصور، والمعابد، والخاصة.

١ - ٢/ المكتبات في العهد اليوناني:

بدأت الكتابة النثرية في الظهور في حوالي القرن السادس قبل الميلاد في المجتمع اليوناني، وبخاصة التاريخ والفلسفة. كما ظهرت المدارس التي بدأت تتطور شيئاً فشيئاً، وأصبحت تتطلب وجود الكتب والمكتبات.

وقد اتضح هذا جلياً في عهد الفلاسفة الكبار سقراط، وأفلاطون وأرسطو. وخير مثال على ذلك مكتبة أرسطو (٣٨٤ - ٣٢١ق.م) التي اشتملت على عدة مئات من المجلدات. ويعد المؤرخون الغربيون هذه المكتبة نواة لظهور المكتبات في الغرب. ولا شك أن أهم مكتبات العهد اليوناني مكتبة الإسكندرية القديمة التي أنشأها البطالمة في الإسكندرية في حوالي (٢٨٥ ق.م)، والتي اشتملت على حوالي ٧٠٠ ألف مجلد. ويأتي بعدها من حيث الأهمية مكتبة برجاموم Pergamum التي أسسها الأتاليون في آسيا الصغرى في القرن الثالث قبل الميلاد، وزادت مقتنياتها على ٢٠٠ ألف مجلد، واستمرت ما يقرب من قرن ونصف.

٣ - ١/ المكتبات في العهد الروماني:

ورث الرومان حضارة الإغريق، وتأثروا بها تأثراً بالغاً. وقد تعلم الرومان الآداب والفنون والعلوم الإغريقية، وجمعوا أعمالها. وأسس القواد الرومان المكتبات الخاصة، وكانوا يحرصون على أخذ الكتب ضمن غنائم حروبهم مع أعدائهم. وكانوا يعدون اقتناء الكتب والمكتبات الخاصة والتباهي بها من مظاهر الأرستوقراطية. أما ظهور المكتبات العامة في تلك البلاد، فقد تلى ذلك. ويشير المؤرخون إلى أن يوليوس قيصر كان يفكر قبل موته في تأسيس مكتبات عامة في روما، لكنه توفي قبل تحقيق هذا الهدف. ويعد القائد أسينوس بونيو أول من أسس مكتبة عامة في روما في عام (٣٧ق.م) وكان أباطرة الرومان يعتبرون تأسيس المكتبات العامة من أولى اهتماماتهم، ولذلك نشروها في بلادهم. ومن أهم المكتبات العامة المكتبة الأولبية Ulpian Library التي بناها الإمبراطور تراجان، والتي تعد من وجهة نظر بعض المؤرخين المكتبة الثالثة من حيث الأهمية بعد مكتبتي الإسكندرية وبرجاموم.

١ - ٤/ المكتبات في الإسلام :

تؤكد الدلائل على معرفة العرب للكتابة قبل ظهور الإسلام، بل لعلهم عرفوا المكتبات نفسها. وتعد مكتبة عبدالحكم الجمحي - الذي أنشأ بيتاً في مكة في القرن الأول الهجري، وجعل فيه شطرجات ونردات، وقرقات ودفاتر فيها من كل علم - أول مكتبة عربية . وقد ساعد على ظهور الكتاب والمكتبات بعد مجيء الإسلام عاملان:

أولهما أجنبي : وهو امتزاج ثقافة المسلمين بالثقافات الأجنبية في البلاد المفتوحة كفارس، والشام، ومصر.

وثانيهما محلي أو ذاتي : انبعث من عقيدة الإسلام وموقفه من العلم والمعرفة الإنسانية. هذان العاملان أديا إلى نشوء حركة التدوين والتأليف والنقل والتعريب. وترتب على ذلك ازدهار مهنة الوراقة وظهور المكتبات في أرجاء العالم الإسلامي. وقد عرف المسلمون أنواعاً مختلفة من المكتبات كالمكتبات الخلافية، والعامة، والمدرسية، ومكتبات الجوامع، والمارستانات، والربط، والخانقاهات، بل ومكتبات الترب والمقابر. واتسم المسلمون بسمة فريدة ميزت الحضارة الإسلامية وهي الوقف الذي يعد علامة مضيئة في عزة هذه الحضارة.

فقد أوقف أهل الخير والإحسان من خلفاء وأمراء ووزراء وموسرين الأوقاف المختلفة من أموال وغيرها على المكتبات والكتب نفعاً للناس وحباً لعمل الخير في الحياة رجاء الثواب وبعد الممات. ونتيجة لذلك ازدهرت المكتبات الإسلامية التي عرفت بعدة تسميات «كخزانة الكتب» و«دار العلم»، و«وبيت الحكمة»، و«دار الحكمة»، و«بيت الكتب» وغيرها.

وكلمة مكتبة حديثة نسبياً إذ بدأ استخدامها في القرن التاسع عشر الميلادي. وتعد المكتبات الخلافية أهم أنواع المكتبات، وأهم تلك المكتبات بيت الحكمة في بغداد، ودار الحكمة في القاهرة، ومكتبة الحكم الثاني في قرطبة. وقد أنشأ هارون بيت الحكمة في بغداد في أواخر القرن الثاني الهجري، وازدهرت في عهد ابنه المأمون. ولم تكن هذه مجرد مكتبة فحسب، ولكنها اشتملت على أقسام أخرى للنقل أو الترجمة، والبحث، والتأليف، والرصد الفلكي فضلاً عن المكتبة. أما دار الحكمة في القاهرة فأنشأها الحاكم بأمر الله الفاطمي في سنة ٣٩٥هـ وقد اشتملت على أقسام عديدة هي قسم الفقهاء، وقسم قراء القرآن، وقسم المنجمين، وقسم أصحاب النحو واللغة، وقسم الأطباء.

وقد بلغت مجموعاتها مئات الآلاف من المجلدات، بل إن المقدسي أوصلها إلى مليوني مجلد. وقد خصص لها الحاكم أموالاً طائلة، وأوقف عليها جزءاً من أملاكه من أجل النفقة عليها؛ وكانت مفتوحة الأبواب لجميع القراء دون تمييز. أما مكتبة الأمويين - في قرطبة - فقد أنشأها الحكم الثاني (المستنصر بالله) (٣٥٠ - ٣٦٦هـ) وقد استمرت ما يربو على قرنين من الزمن. وتعد هذه هي المكتبة الثالثة من حيث الأهمية بعد بيت الحكمة في بغداد، ودار الحكمة في القاهرة، وقد قدرت مجموعاتها بحوالي ٤٠٠ ألف مجلد وكانت مشرعة الأبواب للجميع.

وقد وجدت أنواع المكتبات المعروفة لنا في الوقت الحاضر، إلا أنه من الصعوبة بمكان وضع خط فاصل بين أنواع المكتبات الإسلامية. ذلك لأن المكتبات الخلافية والمدرسية ومكتبات الجوامع، بل والمكتبات الخاصة مفتوحة الأبواب، وتقدم خدماتها إلى الجميع دون تمييز. ولذلك يصعب على الباحث الجزم بوضع مكتبة معينة ضمن فئة من فئات المكتبات المعروفة كالمدرسية، والعامة، والوطنية، والمتخصصة أو الأكاديمية. ومع ذلك فإن هناك بعض المكتبات العامة التي أنشئت لهذا الغرض. وقد غطت هذه مختلف أرجاء العالم الإسلامي. ومن تلك المكتبات على سبيل المثال لا الحصر، دار العلم في الموصل، ومكتبة سابور ابن أردشير في بغداد، ودار العلم في بغداد، وفي الري، وخزانة الكتب في حلب، ومكتبة بني عمار في طرابلس الشام وغيرها. وكانت المكتبات العامة تلحق بالجوامع، والمدارس، وفي بعض الأحيان تفرد لها مبان خاصة بها. وتوفر المكتبات العامة لروادها الأوراق والأحبار، وأدوات الكتابة مجاناً، فضلاً عن توفير المياه والإرشاد.

وكانت تلحق بهذه المكتبات غرف مزودة بالسجاد والمقاعد لغرض الجلوس أثناء المطالعة أو المناظرة.

٢ - المكتبات العامة في العصر الحديث:

يعد منتصف القرن التاسع عشر الميلادي البداية الحقيقية لظهور المكتبات العامة بمفهومها الحديث. وقد تطور هذه المفهوم بتطور الأنظمة والقوانين المنظمة لها، فأصبحت تمول من المال العام، وتقدم خدماتها مجاناً

للجمهور. وقد ساعد على تطوير المكتبات بشكل عام، والمكتبات العامة بخاصة ما يلي:

- تطور الأنظمة والقوانين الخاصة بالمكتبات.
- ظهـور جمعيـات المكتبـات الوطنيـة وتبنيهـا لتطويـر المكتبات .
- ظهور بعض المنظمات والجمعيات الدولية التي تعنى بالمكتبات، كاليونسكو UNESCO، والاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات IFLA وغيرهما.
- دعم بعض المؤسسات الخيرية مثل مؤسسة كارنيجي Carnegie وغيرها .

وينظـر إلى المكتبـات العامة في الـدول ذات الأنظمة الديموقراطية على أنها مؤسسـات اجتماعية تعني بجمع المعلومات وحفظهـا وتنظيمها، ومن ثم تتيحها إلى جميع فئات المجتمع بالمجان، ودون قيد ولا شـرط . بينما وضـع للمكتبـات دور مغايـر في الـدول ذات الأنظمة التعسـفية كألمانيـا النازيـة، ودول المعسـكر الشـيوعي (سـابقاً)، وهـو أن تكون المكتبات العامة أدوات لبـث أيديولوجياتها وعقائدها، وبذلك قضـت على سـمة من سمات المكتبات العامـة وهـي أن تكون منابـر حرة للأفـكار لجميع فئات المجتمـع دون تمييز. وقد قطعت المكتبات العامة في الدول المتقدمة شـوطاً كبـيراً في تحقيـق أهدافها، فضـاعفت خدماتها لمسـتفيديها؛ وزادت من مجموعاتها، فأصبحت المكتبات العامة تضـم ملايين المجلدات والمواد. وأصـبح لدى الكثير منها الفروع Branch Libraries، والخدمة المكتبية المتنقلـة Mobile Libraries . ويمكن الاكتفاء بالإشـارة إلى مكتبة نيويورك العامة التي تضم ١١ مليون مادة، ويتبعها مئات الفروع، أو إلى مكتبة شيكاغو العامة التـي تحتوي علـى ٦ ملايين مـادة، ويتبعهـا الكثير جداً مـن الفـروع، وتقدم خدمـات مكتبية متطورة. ويصـدق هـذا على الكثـير من المكتبـات العامة في المـدن الكبيرة والمتوسطة في الدول المتقدمة.

٢ - ١/ مفهوم المكتبة العام :

تعـرِّف اليونسـكو في بيانهـا الرسـمي Public Library Manifeso الـذي أصـدرته في عـام ١٩٩٤م المكتبة العامة بأنها المركز المحلي للمعلومات الذي يجعل المعرفـة والمعلومـات متاحة لمسـتخدميها. وتضـيف بأن المكتبـة العامة مؤسسـة ديمقراطية للثقافـة والمعلومات والتعليـم الـذي ينبغـي أن يكـون عملية مسـتمرة مدى الحياة، كما أنها المكان المناسـب الذي يحتفظ بالأفكار والمنجـزات الخلاقـة للعقل البشـري، ويتيحهـا للجميع مـن أجل الاسـتفادة منهـا؛ لأن المكتبة العامة مؤسسـة اجتماعيـة هدفها خدمة الجميـع مجاناً دون النظر إلى الجنس، أو السـن، أو اللون، أو العمر أو اللغة، أو الدين أو غير ذلك، فإن التشريعات القانونية في كل دولة يجب أن تؤكد على رعاية المكتبة العامة ضـماناً لاسـتمرارها وتطورهـا. وسـواء كان التمويـل من المال العـام كلياً أو جزئياً، فإنـه يجب أن يكون كافياً من أجل أن تقوم هذه المؤسسة الاجتماعية بالدور المنوط بها.

٢ - ٢/ أغراض أو وظائف المكتبات العامة :

لا شك أن المكتبة نتاج مجتمعها الذي تخدمه، ويجب فهمها في هذا النطاق، لكن هناك أهدافاً وغايات تسعى لتحقيقها. وتحدد الجميعات والهيئات المعنية بشؤون المكتبات أربعة أغراض أو وظائف هي:

١ - التعليمي أو التربوي؛ ويتضمن المد بالوسائل المختلفة التي تساعد على التعليم الذاتي.

٢ - معلوماتـي : وهـو توفـير المعلومـات الصـحيحة أو

إيصالها إلى المستفيد بأقل جهد وأسرع وقت ممكن.

٣ - ثقافي : ويتحقق هذا بصفة المكتبة مركزاً رئيساً للحياة الثقافية؛ ومن خلال المساهمة في ترقية الثقافة والفنون والآداب .

٤ - تروحي : ويتحقق هذا بصفة المكتبة إحدى المؤسسات الاجتماعية الفاعلة التي تحقق الاستفادة من أوقات الفراغ بما يعود على الفرد والجماعة بالفائدة .

وهكذا فإن المكتبة العامة لا يمكن الاستغناء عنها، وعليها من أجل النهوض بواجبها التعاون مع المؤسسات الاجتماعية الأخرى في المجتمع . ولا يقاس نجاح المكتبة العامة بكمية المواد التي تمتلكها، ولكن بجودة الخدمات التي تقدمها لمستفيديها. وما إعارة المواد، والإرشاد بأنواعه، والخدمات المرجعية، والجارية، والببليوجرافية، إلا بعض المعايير التي يحكم من خلالها على أداء المكتبات.

٢ - ٣/ الخدمات التي تقدمها المكتبات العامة :

تختلف الخدمات التي تقدمها المكتبات من مكتبة لأخرى وفقاً لإمكاناتها وظروفها، وحاجة مرتاديها. ومن الخدمات التقليدية خدمات المطالعة، والإعارة، والإرشاد، والخدمات الببليوجرافية المختلفة، وخدمات الأطفال، والشباب، والراشدين وفقاً لاحتياج كل فئة. وخدمات الفئات الخاصة كالمعوقين، والمكفوفين التي تهدف إلى توفير خدمات معينة لهؤلاء. بالإضافة إلى تقديم خدمات اجتماعية أخرى كالمحاضرات، والمناظرات، وحلقات البحث، وإقامة الحفلات، وتنظيم المعارض المختلفة وغيرها.

٣ - الخاتمة :

مع أن الكتاب أو الثقافة المقروءة يلقى في الوقت الحاضر منافسة حادة من وسائل الإعلام المختلفة، فإنه ما زال يحتفظ بمكانة جيدة بين تلك الوسائل . وقد أثرت التقنيات الحديثة، وثورة المعلومات تأثيراً كبيراً على جميع مناحي الحياة، ومنها الكتاب والمكتبات . ولذلك فإنه ينبغي على المكتبيين والمعنيين بالمكتبات العامة على نحو خاص ليس فقط مجاراة تلك التطورات أو التكيف معها، ولكن أيضاً الإسهام في تطويرها وقيادتها وتوظيفها لخدمة المكتبات ومرتاديها.

المصادر والمراجع

المصادر العربية :

١ - ابن النديم، محمد بن إسحاق . الفهرست ؛ تحقيق ناهد عباس عثمان .- القاهرة : دار قطري بن الفجاءة، ١٩٨٥م.

٢ - اسكاربيت، روبير. ثورة الكتاب؛ ترجمة اللجنة الوطنية اللبنانية لليونسكو .- بيروت : مكتبة لبنان، ١٩٦٥م.

٣ - أمان، محمد محمد . الكتب الإسلامية ؛ ترجمة وتعليق سعد بن عبدالله الضبيعان .- الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

٤ - بروكلمان، كارل. تاريخ الشعوب الإسلامية؛ ترجمة بنية أمين

فارس ومنير البعلبكي .- ط٥ .- بيروت : دار العلم للملايين، ١٩٦٨م.

٥ - بينتو، أولجا. المكتبات العربية في العصر العباسي. الثقافة الإسلامية، مج٣، ١٩٢٩م.

٦ - دور المكتبات في محو الأمية على الصعيد العالمي؛ ترجمة سعيدة الزعلاني . المجلة العربية للمعلومات، مج١٤، ع٢، ١٩٩٣م.

٧ - حسين، محمد أحمد. مكتبة الإسكندرية في العالم القديم .- القاهرة: دار الثقافة للنشر، ١٩٨٥م.

٨ - الحلوجي، عبدالستار . لمحات في تاريخ الكتب والمكتبات .- القاهرة: دار الثقافة للنشر، ١٩٨٥م.

٩ - حمادة، محمد ماهر . المكتبات في الإسلام : نشأتها وتطورها ومصائرها .- ط٢ .- بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

١٠- حمادة، محمد ماهر . المكتبات في العالم : تاريخها وتطورها حتى مطلع القرن العشرين .- الرياض : دار العلوم، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

١١- جينس، جين كي. دراسة موجزة في تاريخ الكتب والمكتبات؛ ترجمة عبدالرحمن عبدالله الشيخ .- الكويت : مؤسسة الوحدة، ١٩٧٨م.

١٢- دال، سفند . تاريخ الكتاب من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر؛ ترجمة محمد صلاح الدين حلمي .- القاهرة : المؤسسة القومية للنشر والتوزيع، ١٩٥٨م.

١٣- ديوارنت، ول . قصة الحضارة لغريب أحمد بدران .- القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٠م.

١٤- الديوه جي، سعيد . بيت الحكمة .- ط٢ .- الموصل : المؤلف مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، ١٣٩٣هـ/ ١٩٨٢م.

١٥- الرفاعي، أحمد فريد . عصر المأمون .- ط٢ .- القاهرة : دار الكتب المصرية، ١٩٢٨م.

١٦- روجرز، فرانسيس . قصة الكتابة والطباعة من الصخرة المنقوشة إلى الصفحة المطبوعة؛ ترجمة أحمد حسين الصادي .- القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٩م.

١٧- ريبيرا، خوليان . المكتبات وهواة الكتب في أسبانيا الإسلامية؛ ترجمة جمال محرز . مجلة معهد المخطوطات العربية، مج٤، ج١، مايو ١٩٨٥م.

١٨- ساعاتي، يحيى محمود . الوقف وبنية المكتبة العربية : استنباط للموروث الثقافي .- الرياض : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٩- ستيبتشفيتش، الكسندر؛ ترجمة محمد أرناؤوط . تاريخ الكتاب .- الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، القسم الأول: ١٦٩ رجب ١٤١٣هـ/ يناير ١٩٩٣م، والقسم الثاني: ١٧٠ شعبان ١٤١٣هـ/ فبراير ١٩٩٣م.

٢٠- سرحان، منصور محمد . المكتبات في العصور الإسلامية .- المنامة: مكتبة فخري، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٢١- الشاوس، الحبيب. سابور بن أردشير وتأسيسه دار العلم ببغداد . حولية الجامعة التونسية، ع١٣، ١٩٧٦م.

٢٢- الصوني، عبداللطيف . لمحات من تاريخ الكتاب والمكتبات .- دمشق: دار طلاس، ١٩٨٧م.

٢٣- الضبيعان، سعد بن عبدالله . إطلالة تاريخية على المكتبات العامة في المملكة العربية السعودية : مع دليل شامل لها .- الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٢٤- الضبيعان، سعد بن عبدالله . مكتبة الإسكندرية القديمة : لمحة تاريخية . العصور، مج٤، ج١، يناير ١٩٨٩م / جمادى الأولى ١٤٠٩هـ.

٢٥- الضبيعان، سعد بن عبدالله . مكتبة برجاموم من خلال كتابات الدارسين المحدثين . مجلة جامعة الملك سعود، الآداب ٢، مج١٠، س١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٢٦- الطرابلسي، أمجد . نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب في اللغة والآداب .- ط٦ .- دمشق : دار الفتح، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٦م.

٢٧- العبادي، مصطفى . مكتبة الإسكندرية القديمة .- القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٧م.

٢٨- العكرش، عبدالرحمن بن حمد . مكتبة الأمويين بالأندلس : كبرى مكتبات أوروبا في العصور الوسطى . مجلة المكتبات والمعلومات العربية، س١٢، ع٣، محرم ١٤١٣هـ/ يوليو ١٩٩٢م.

٢٩- فاقر، لوسيان. وهنري جان مارتان . ظهور الكتاب؛ ترجمة محمد سميح السيد .- دمشق : دار طلاس، ١٩٨٨م.

٣٠- لوبرن، جوستاف . حضارة العرب؛ تعريب عادل زعيتر .- ط٣ .- القاهرة : دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٦م.

٣١- هيل، الطرد . تاريخ المكتبات؛ ترجمة شعبان عبدالعزيز خليفة .- ط٢ .- الرياض : دار المريخ، ١٩٨٠م.

المصادر الأجنبية :

- Brawner, Lee B. / Protecting first American right in Public Libraries. Public Library Quarterly, vol. 16 (4) 1997.
- Butler, Alfred J. / The Arab conquest of Egypt and the last thirty years of the Roman Dominion. P.M. Fraser (ed.), 2nd ed. - Oxofrd: The Clarendon Press, 1978.
- Clark, John Willis/ The Care of Books.- Cambridge: Cambridge University Press, 1909.
- Diringer, David / The Book before Printing: Ancient, Medieval and Oriental.- New York: Dover Publication, 1953.
- Edwards, Edward/ Libraries and Founders of Libraries.- New York: Burt Franklin, 1969.
- IFLA/ Public Library Manifesto.- Netherlands, 1994.
- Irwin, Raymond. The Origins of English Library.- Westport, Conn. : Greenwood Press, 1981.
- Jackson, Sidney L. / Libraries and Librarianship in the West: a abrief history.- New York: McGraw Hill, 1967.
- Johnson, Elmer D. and Michael H. Harris/ History of Libraries in the Western World.- 3rd ed.- Metuchen, N. J.: the Scarecrow Press, 1967.
- Kenyon, Frederi G. / Books and Readers in Ancient Greece and Rome.- 2 nd ed. Ann Arbor, Mitch. The College of Librarianship, Wales University, University Microfilms Ltd., 1970.
- Lancaster, F. W. / Libraries and the Future: Essays on the Library in the twenty-First cenury.- New York, London, Norwood (Australia): The Haworth Press.
- Landau, Thomas (ed.) / Public Libraries, En-

cyclopedia of Librarianship, 3rd ed.- London: Bowes& Bowes, 1958.
- Olle, James G. / Library History.- London: Clive Bingley, 1971.
- Parsons, Edward Alexander/ The Alexandrian Library: Glory of Hellenistic World, its Rise, Antiquities and Destruction.- Amsterdam: The Elsevier Press, 1952.
- PLA Policy Manual Committee/ PLA Handbook for Writers of Public Library Policies.- Chicago and London: American Library Association, 1993.
- Public Libraries/ The World Book Encyclopedia.- Chicago: World Book Inc., 1986.
- Savage, Ernest A. / The Story of Libraries and Book Collecting.- New York: Burt Franklin, 1969.
- Seymour Jr., Whitney North and Elizabeth N. Lyne/ For the People Fighting for Public Libraries.- New York: New York Times Company, 1979.
- Sullivan, Peggy and William Patacek / Public Libraries: Smart Practice in Personnel.- Littleton, Colorado: 1982.
- Worpole, Ken/ The Future of Public Library Services. Public Library Journal, Vol. 7, No. 5, 1992.

من دلائل الإعجاز في سورة الكوثر

عبدالعزيز بن صالح العمار

أستاذ مشارك في قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي
كلية اللغة العربية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المقدمة:

أهمية الموضوع:

تتجلى أهمية هذا الموضوع في كونه يتناول سورة كاملة من كتاب الله؛ للنظر في إعجازها، وسبب عجز القوم عن الإتيان بمثلها، وهي سورة «الكوثر»، تلك السورة العظيمة، القصيرة في ألفاظها، والمحددة كلماتها، ولكنها الواسعة في معانيها، والفسيحة في مضامينها، والممتدة في أبعادها ودلالاتها، حسبك أنها جاءت بالبشارة لرسول الله ﷺ بخيري الدنيا والآخرة، وأنها قطعت دابر القوم الكافرين، فحسب هذا الموضوع أهمية وشرفاً أنه يتناول سورة من كتاب الله؛ للتحدث عن إعجازها، والنظر في أسرارها البلاغية، ونكتها البيانية، والنظر - كذلك - فيما اشتملت عليه، وبما جاءت به؛ لإبراز فضلها، وبيان إعجازها، وعجز القوم عن الإتيان بمثلها.

أسباب اختيار الموضوع:

من خلال أهمية السورة تنبثق أسباب الاختيار؛ ويمكن إجمال تلك الأسباب فيما يأتي:

١ - أن أقل قدر للتحدي هي السورة، فقد تحدى الله العرب أن يأتوا بسورة من مثل القرآن، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، أياً كانت تلك السورة قصيرة أو طويلة، وبما أن سورة «الكوثر» أقصر سورة في القرآن فقد وقع بها التحدي، ووقع فيها الإعجاز، فهي مشتملة على ما يجعلها معجزة، لذا وقف العرب أمامها عاجزين قاصرين أن يأتوا بمثلها.

٢ - تتجلى أهمية الموضوع من السورة نفسها؛ فقد تضمنت السورة كثيراً من المعاني العظيمة، وكثيراً من الحِكم والأسرار، كما تضمنت البشارة المطلقة لرسول الله ﷺ، وبينتْ - كذلك - موقف أعداء الرسول، وصورته أتم تصوير، وحكمت عليهم - كذلك - بأشد الحكم وأقساه.

٣ - ومن الأسباب كذلك: أنها دراسة تطبيقية؛ للنظر في إعجاز القرآن الكريم من خلال هذه السورة، فمن خلال تدبرها، وإمعان النظر فيها، والغوص في دقائقها فسيتجلى لنا صور من إعجاز القرآن الكريم

التي تضمنتها هذه السورة، وضمتها بين برديها.

٤ - كما تضمنت هذه السورة بياناً عن طبيعة الدعوة الإسلامية، وحديثاً عن الداعي، وبياناً لما يجب أن يكون عليه الدعاة، وحديثاً - كذلك عن أعداء هذا الدين من خلال شخصية رسول الله ﷺ، والحديث عنه، وما آل إليه أمر رسول الله ﷺ، وما آل إليه أمر أعدائه من المشركين.

خطة البحث ومنهجه:

جاء البحث في مقدمة وثلاثة مباحث، ذكرتُ في المقدمة أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث ومنهجه، والدراسات السابقة عليه، والصعوبات التي واجهتني في كتابة البحث، وأبرز مصادر البحث ومراجعه.

وأما مباحث هذا البحث فهي كما يأتي:

المبحث الأول: مسائل متعلقة بإعجاز القرآن الكريم، ذكرتُ فيه:

١ - تعريف المعجزة، وإعجاز القرآن الكريم.

٢ - الإشارة إلى كثرة من كتب في إعجاز القرآن الكريم، وتعدد طرقهم وتنوعها، مما ترتب عليه تعدد وجوه الإعجاز، وتكاثر الأقوال في ذلك.

٣ - الإشارة إلى مسألة مهمة في الإعجاز، وهي هل يُمكن إدراك إعجاز القرآن الكريم، وبيان الوسائل التي يُمكن أن يُدرك من خلالها إعجاز القرآن الكريم.

٤ - الإشارة إلى أن أعجاز القرآن الكريم في بلاغته ونظمه، وحسن بيانه، وقوة سبكه، ولذا فإن أغلب الأقوال تعود إلى هذا القول.

المبحث الثاني: بين يدي السورة:

ذكرتُ فيه سبب نزول سورة «الكوثر»، ومكيتها، ومناسبتها لما قبلها وما بعدها، ومضمون السورة العام.

المبحث الثالث: من دلائل الإعجاز في سورة الكوثر:

وهذا المبحث هو لبُّ الدراسة وأساسها، كما أنه الجانب التطبيقي في هذا البحث، ذكرتُ فيه عدداً من وجوه الإعجاز التي اشتملت عليها السورة، ومن أبرزها ما يأتي:

١ - ترك المعارضة مع توافي الدواعي، وشدة الحاجة إليها.

٢ - الإخبار بالمغيبات.

٣ - وقوع التحدي بهذه السورة.

٤ - الإعجاز البلاغي، وقد خصصتُ هذا الوجه بمزيد من العناية، كما أخذ حيزاً واسعاً من الدراسة؛ وذلك لمكانة العرب البيانية، ولكون هذا القول أبرز الأسباب وأرجحها في إعجاز القرآن الكريم.

ثم الخاتمة البحث وفهارسه.

وأما منهجي في هذا البحث: فهو المنهج النظري في الحديث عن الإعجاز، وعن كل ما يتعلق بسورة «الكوثر»؛ لأن ذلك بمثابة التوطئة أو المدخل لهذه الدراسة.

وأما في المبحث الثالث الذي هو لبُّ الدراسة، وبيت القصيد فيها، فكان تحليلاً بيانياً للسورة، فقد نظرتُ في السورة كلها في ضوء نظرية النظم، ووقفتُ مع كل آية؛ للنظر في أساليبها البلاغية، ونكتها البيانية، مشيراً في الوقت نفسه إلى وجوه الإعجاز التي تضمنتها هذه السورة، مضمِّناً ذلك كله بأقوال العلماء، وآراء المفسرين، وقد أطلتُ الوقوف مع الجانب البلاغي؛ لكونه أبرز وجوه الإعجاز، وأرجحها كذلك.

وقد تنوعت مصادر هذا البحث ومراجعه؛ نظراً لطبيعة هذا البحث، فقد أفدت كثيراً من كتب الإعجاز،

وكتب التفسير، وكتب البلاغة، القديم منها والحديث، وقد وردت تلك الكتب مبثوثة في ثنايا البحث.

وأما ما يتعلق بالدراسات السابقة فلم أقف - في حدود علمي واطلاعي - عند دراسة مستقلة لوجوه الإعجاز في سورة «الكوثر»، وإنما هي أقوال وآراء متناثرة هنا وهناك في كتب الإعجاز، وفي كتب التفسير عن هذه السورة، فثمة حديث لابن القيم عنها، وكذلك الرازي.

ولذا فأنا أريد من هذه الدراسة أن أجمع هذه الأقوال كلها في مؤلف واحد ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، وأن أنتظمها في عقد يتجلى في هذا البحث.

كما أن الإضافة في هذه الدراسة تتجلى في دراسة السورة كاملة من جميع جوانبها في البلاغة والإعجاز، كما أن فيها كشفاً عن هذه السورة، وتوطئة لها.

والأمر المهم - كذلك - أني سأدرس أبرز وجوه الإعجاز فيها، وهو الإعجاز البلاغي في ضوء نظرية النظم، فمن خلالها تتجلى بلاغة هذه السورة، ويظهر إعجازها، والله ولي التوفيق.

المبحث الأول: مسائل مهمة متعلقة بإعجاز القرآن الكريم

يحسن في بداية هذه الدراسة ذكر تعريف المعجزة لغة واصطلاحاً؛ لنكون على بينة من دلالات هذه اللفظة ومعانيها، كما أنها تكشف لنا أبعاد هذه الدراسة، وتعطينا إشارات مهمة، وإضاءات نافعة في فهم هذه الدراسة، والوقوف على مضامينها وأغراضها.

يدل أصل المعجزة - كما يذكر ابن فارس - على الضعف، ومنه قولهم: عجز يعجز عجزاً فهو عاجز، أي ضعيف، وقاصر عن إدراك ما طُلب منه، وقد ارتبطت هذه اللفظة بالتأخر عن الشيء، وحصول المطلوب، ولذا فهي ضد القدرة والمقدرة[1].

وقد أشار إلى هذه المعاني وأكدها ابن منظور، يقول: «عجزت المرأة، أي صارت عجوزاً؛ دلالة على أنها قد شاخت، وأصبحت عاجزة عن استعادة شبابها ونضارتها»[2].

وقد جاء التعريف الاصطلاحي للمعجزة منبثقاً من التعريفات اللغوية، ومتوافقاً معها، وقد أشار إلى هذا الأمر علي بن محمد الجرجاني في تعريفه للإعجاز في الكلام، فقد بيّن المراد به في قوله: «أن يؤدي المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق[3]، وكثيراً ما ترتبط لفظة الإعجاز بالقرآن الكريم، وهي من إضافة المصدر لفاعله[4]، فيقال: إعجاز القرآن.

وللعلماء المشتغلين بعلوم القرآن جهود بارزة وجلية في بيان المقصود من إعجاز القرآن، وذكر المراد به، ومن السابقين في ذلك السيوطي، فقد ذكر في تعريف المعجزة بأنها: «أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم من المعارضة»[5]، وبعد أن ذكر حدَّها، وبيّن تعريفها، ذكر أقسامها في قوله «وهي إما حسية، وإما عقلية، وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية؛ لبلادتهم، وقلة بصيرتهم، وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية؛ لفرط ذكائهم، وكمال أفهامهم، ولأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة خُصتْ بالمعجزات العقلية الباقية؛ ليراها ذوو البصائر»[6].

ولذا ومن خلال ما تقدم يتبين أن المراد بإعجاز القرآن الكريم هو: عجز العرب المعاصرين لنزول القرآن الكريم عن معارضته، أو الإتيان بمثله، مع ما

توافـر لهم مـن الملكة البيانيـة، والموهبـة البلاغية، مع شدة الداعي، واستمرار التحدي، ومع ذلك فقد عجزوا عـن مجاراتـه؛ لكونـه نـازلاً من عنـد الله - سبحانه وتعـالى - ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً[٧].

وبسـبب هذا الإعجاز صار القرآن معجزاً خالداً، كما أنه سـلب العقول والأبصـار، ولا غرو في هذا بل إنه أمر طبعـي، وامتـداد - كذلك - لإعجـازه، ولمغايرته لما ألفوه وعرفوا، وهم أرباب الفصاحة والبيان.

يدل على ذلك قول الخطابـي، يقول: «قلت في إعجاز القرآن وجهاً ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب، وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسـمع كلاماً غير القـرآن منظوماً ولا منثوراً إذا قرع من السـمع خلص له إلى القلب مـن اللذة والحلاوة في حـال، ومن الروعـة والمهابة في أخرى مـا يخلص منه إليـه، تستبشـر به النفوس، وتنشـرح له الصـدور، حتى إذا أخـذت حقها منه عادت مرتاعـة، قد عراها الوجيب والقلق، وتغشـاها الخـوف والفرق، تقشـعر منه الجلود، وتنزعج له القلـوب، يحول بين النفس وبين مضـمراتها، وعقائدها الراسخة فيها.

كم من عدو لرسـول ﷺ من رجـال العرب وفتاكها، أقبلـوا يريدون اغتياله وقتله فسـمعوا آيـات من القرآن، فلم يلبثوا حين وقعت في مسـامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول، وأن يركنوا إلى مسالمته، ويدخلوا في دينه، وصارت عداوتهم موالاة، وكفرهم إيماناً»[٨].

وقد أشـار عبدالقاهـر الجرجاني إلى السـبب الذي أعجز المشـركين عن مجـاراة القـرآن، أو الإتيان بمثله، مبيناً في الوقت نفسـه خصائص القرآن الكريم ومزاياه، فذكر أن سبب عجزهم عن تحديه هو: «مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صـادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهـم من مبـادئ آياتـه ومقاطعها، ومجـاري ألفاظه ومواقعها، وفي ضـرب كل مثل، ومسـاق كل خبر، وصورة كل موعظـة، وتنبيه وإعلام، وتذكـير، وترغيب وترهيب، ومع كل حجة وبرهان وصفة وتبيان، وأبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة، وعشراً عشراً، وآية آية فلم يجدوا في الجميع كلمـة ينبو بها مكانهـا، أو لفظة يُنكر شـأنها، أو يُرى أن غيرهـا أصـلح ... وجـدوا اتسـاقاً بهر العقـول، وأعجز الجمهـور، ونظاماً والتئامـاً وتفاقاً وإحكامـاً، لم يدع في نفس بليغ منهم - ولو حك بيافوخه السماء - موضع طمع حتى خرست الألسن أن تدعي وتقول، وخلدت القروم فلم تملك أن تصول»[٩].

ولذا فإن إعجاز القرآن يكاد يستعصـي على الحصر والعـد، ويـكاد يُعرف سـببه، ويُحدد مصـدره، ولذا فإن الحديـث عن إعجاز القرآن الكـريم - كما يذكر الدكتور مناع القطان - ضرب من الإعجاز، ووجه من وجوه مزايا القرآن، وخاصـية من خصائصه؛ إذ لا تنقضي عجائبه، فلا يصـل فيه الباحـث إلى وجه من وجـوه إعجازه حتى يتبدى له وجوه أخرى من الإعجاز، وهكذا فلا تصـل إلى قراره، ولا تستقر في أعماقه[١٠].

وقـد قرر هـذه الحقيقة وأكدها الرافعـي، يقول - في معرض حديثه عـن إعجاز القرآن الكريم-: «وما أشـبه القـرآن الكـريم في تركيـب إعجـازه، وإعجـاز تراكيبـه بصورة كلامية من نظام هذا الكون الذي اكتنفه العلماء من كل جهة، وتعاوره من كل ناحية، وأخلقوا جوانبه بحثاً وتفتيشـاً ثم هو بعـد ذلك لا يزال عندهـم على كل ذلك خلقاً جديداً، ومراماً بعيداً»[١١].

ومع ذلك فما زاد هذا الأمر العلماء إلا إقبالاً ونظراً في القرآن الكريم، ولذا فقد تعددت الأقوال في بيان إعجاز القرآن، كل بحسب طريقته ونظره ومعتقده، وعلى قدر جهده وطول تأمله، وحسن صحبته للقرآن الكريم.

وسيظل الباب مفتوحاً للباحثين، كما أن ما كُتب حول القرآن وإعجازه قليل بالنظر لما حواه القرآن، وما تضمنه من الإعجاز، يدل على ذلك قول سراقة: «اختلف أهل العلم في وجه إعجاز القرآن فذكروا في ذلك وجوهاً كثيرة كلها حكمة وصواب، وما بلغوا من وجوه أعجازه جزءاً واحداً من عشر معشاره»(١٢).

ومع ذلك فإن القرآن الكريم معجز كله من أوله إلى آخره، معجز في حروفه وكلماته وجمله، وليس الإعجاز خاصاً بموضع دون موضع، ولا بجزء دون الآخر، وهذا يقودنا إلى قضية مهمة وهو أن إعجاز القرآن الكريم يُدرك، ويمكن الوقوف عنده، بل هو مطلوب، ومندوب إليه(١٣)، يدل على ذلك جهود العلماء في النظر في إعجاز القرآن، فقد كثر نظرهم فيه، وتنوعت طرق تأليفهم في إعجازه، وتعددت الأقوال، وتكاثرت الآراء في بيان إعجاز القرآن الكريم.

يدل على إمكانية إدراك إعجاز القرآن الكريم، والوقوف عنده قول عبدالقاهر الجرجاني: «فإذا كنت لا تشك في أن لا معنى لبقاء المعجزة بالقرآن إلا أن الوصف الذي كان له معجزاً قائم فيه أبداً، وأن الطريق إلى العلم به موجود، والوصول إليه ممكن، فانظر أي رجل تكون أنت إذا زهدتَ في أن تعرف حجة الله - تعالى - وآثرتَ فيها الجهل على العلم، وعدم الاستبانة على وجودها، وكان التقليد فيه أحب إليك والتعويل على علم غيرك آثر لدينك»(١٤).

ولذا فإن إدراك الإعجاز في القرآن ممكن، وممكن الوصول إليه، والإشارة إليه، ووضع اليد عليه، وتحديده وبيان مصدره، ولذا فإني لستُ مع السكاكي حين قال: «واعلم أن شأن الإعجاز عجيب يُدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن تدركه ولا يمكن وصفها كالملاحة»(١٥).

وثمة فرق جوهري بين إدراك إعجاز القرآن الكريم، وبين الوقوف على وجوه إعجاز القرآن كلها، فنحن ندرك منها شيئاً ويغيب عنا أشياء، ونعرف منه جزءاً ونجهل منه أجزاء، ويظل الأمر مفتوحاً، بل ومندوباً إلى معرفته، والوصول إليه، ولذا فإن ثمة وسائل يتوصل المرء من خلالها إلى معرفة إعجاز القرآن، ومن أهم هذه الوسائل وأبرزها: علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة، ويكاد يكون هذا الأمر من أهم الأسباب في معرفه إعجاز القرآن الكريم، فلا بد من إتقان هذا العلم، والتمكن منه، وممارسته، وفهم أساليب العرب ومعرفتها(١٦).

وثمة نصوص متعددة لكثير من العلماء أشاروا إلى هذه الحقيقة وقرروها، وذكروا ألاَّ سبيل لمعرفة إعجاز القرآن إلا من باب البلاغة، ولا طريق للوقوف على إعجازه إلا من طريق البيان، والإحاطة بها، والإلمام بجميع علومها وفنونها علماً تطبيقياً.

ومن الإشارات المتقدمة في ذلك: كلام أبي هلال العسكري في مقدمة كتابه «الصناعتين»، يقول: «واعلم - علمك الله الخير، ودلك عليه، وقيضه لك، وجعلك من أهله - أن أحق العلوم بالتعلُّم، وأولاها بالتحفظ - بعد المعرفة بالله جل ثناؤه. علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة، الذي به يُعرف إعجاز كتاب الله تعالى... وقد علمنا أن الإنسان إذا أغفل علم البلاغة، وأخل بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصَّه الله به من

حسن التأليف، وبراعة التركيب، وما شحنه به من الإيجاز البديع، والاختصار اللطيف، وضمَّنه من الحلاوة، وجلَّله من رونق الطلاوة، مع سهوة كلمه وجزالتها، وعذوبتها وسلاستها إلى غير ذلك من محاسنه التي عجز الخلق عنها، وتحيرت عقولهم فيها»[١٧].

ثم جاء السكاكي بعده وأشار إلى هذه الحقيقة وقررها، يقول: «إن وجه الإعجاز هو أمر من جنس البلاغة والفصاحة، ولا طريق لك إليه إلا بعد طول خدمة هذين العلمين: المعاني والبيان، بعد فضل إلهي، من هبة يهبها بحكمه من يشاء، وهي النفس المستعدة لذلك، فكل ميسر لما خُلق له»[١٨].

وقد تضمن كلامه كثيراً من الإشارات المهمة الدالة على الوسائل التي من خلالها يتوصل إلى معرفة إعجاز القرآن الكريم.

ولا ريب أن هذه المقولات، وتلك الحقائق تقودنا إلى قضية مهمة في إعجاز القرآن الكريم، وهي أن إعجاز القرآن الكريم كامن في بلاغته ونظمه وبيانه، فلأجل هذا البيان الذي جاء به القرآن كان معجزاً، ومن ثم كان مجال التحدي هو ساحة البيان، وميدانه الرحب، وقد أشار كثير من العلماء قديماً وحديثاً إلى هذه الحقيقة، وقرروها[١٩].

المبحث الثاني: بين يدي السورة:

المطلب الأول: سبب نزولها:

تعددت الأقوال، وتباينت الآراء في سبب نزول سورة «الكوثر»، وتكاثرت فيها الروايات، فيذكر ابن عطية الأندلسي في سبب نزولها قولَ عكرمة رضي الله عنه: أنه لما مات للنبي ﷺ ابن خرج أبو جهل يقول: بُتر محمد، فنزلت السورة[٢٠].

وقيل: إنها نزلت في العاص بن وائل السهمي، حين سمَّى رسول الله ﷺ أبتر بعد موت ابنه عبدالله، فقد زعم أنه أبتر لا عقب له، فأنزل الله هذه السورة؛ رداً عن رسول الله ﷺ، وتفنيداً لهذه المزاعم، وتلك الأقاويل[٢١].

وقيل: إن السورة نزلت في كعب بن الأشرف وجماعة من قريش، وذلك «لما قدم كعب مكة قالت له قريش: نحن أهل السقاية والسدنة، وأنت سيد أهل المدينة، فنحن خير أم هذا الصنبور المنبتر من قومه؟ فقال: بل أنتم خير منه، فنزلت ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [سورة النساء/٥١]، ونزلت في الذين قالوا: إنه أبتر ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [سورة الكوثر/٣] أي المنقطع من كل خير»[٢٢].

وقيل: إنها نزلت في أبي لهب، فقد زعم أن رسول الله ﷺ أبتر لما مات ولد له، فذهب إلى قريش يقول لهم: بُتر محمد الليلة، فأنزل الله هذه السورة[٢٣].

وهكذا تتعدد الآراء في سبب نزول سورة «الكوثر»، بيد أن هذه الآراء على تعددها لا تعارض فيما بينها، فتكاد تلتقي كلها في الدلالة، وفي بيان المراد منها، ومن موقف المشركين من الرسول ﷺ، وقد أشار ابن كثير في معرض حديثه عن سبب نزولها إلى هذه الحقيقة، يقول: «والآية تعم جميع من اتصف بذلك ممن ذُكروا وغيرهم»[٢٤]، وأشار الشوكاني - كذلك - إلى هذه الحقيقة وأكدها، يقول: «وظاهر الآية العموم، وأن هذا شأن كل من يبغض النبي ﷺ ولا ينافي ذلك كون سبب النزول هو العاص بن وائل، فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب»[٢٥].

وثمة رواية أخرى تبين أن هذه السورة نزلت ابتداء على رسول الله ﷺ، رُوي عن أنس بن مالك رضي الله

عنه أنه قال: أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة، فرفع رأسه مبتسماً، إما قال لهم، وإما قالوا له: لم ضحكت؟ فقال الرسول ﷺ: إنه نزلت عليّ آنفاً سورة، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم: إنا أعطيناك الكوثر... حتى ختمها»[٢٦].

المطلب الثاني: مكيتها:

اختُلف في سورة الكوثر، هل هي مكية أم مدنية؟ وقد أشار الطاهر بن عاشور إلى هذا الاختلاف، يقول: «تعارضت الأقوال والآثار في أنها مكية أو مدنية تعارضاً شديداً»[٢٧]، والحق أنها مكية؛ فهذا رأي حبر الأمة، وترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما[٢٨]، كما أنه رأي الجمهور كذلك[٢٩]، وقد اقتصر كثير من المفسرين على هذا القول، وآثروه على غيره.

يدل على مكيتها موضوعات السورة، وخصائصها الأسلوبية كذلك، فموضوعاتها موضوعات السور المكية بما تحمله، وبما تطرحه من مضامين وموضوعات، وكذلك خصائصها الأسلوبية فنجد فيها قصر آياتها، وشدة لهجتها، وقوة خطابها، مما يؤكد معه مكية هذه السورة، والله أعلم.

المطلب الثالث: مناسبتها لما قبلها ولما بعدها:

تميز القرآن الكريم بتناسق آياته، وتجانس سوره، فكل سورة آخذة بعنق الأخرى، فكأن القرآن بهذا التناسق قد نزل جملة واحدة، تقع سورة «الكوثر» بين سورتي: «الماعون»، و«الكافرون»، فما مناسبتها بين هاتين السورتين، وما السرُّ في هذا الترتيب، والعلاقة بينهما؟

كشف الرازي هذا السرَّ مبيناً علاقة سورة «الكوثر» بسورة «الماعون» التي قبلها، يقول: «إن هذه السورة كالمقابلة للسورة المتقدمة؛ وذلك لأن في السورة المتقدمة وصفَ الله - تعالى - المنافقين بأمور أربعة: أولها البخل، وهو المراد من قوله ﴿يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾، والثاني: ترك الصلاة، وهو المراد من قوله ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾، والثالث: المراءاة في الصلاة، وهو المراد من قوله ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ﴾ والرابع: المنع من الزكاة، وهو المراد من قوله ﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ﴾ فذكر في هذه السورة في مقابلة تلك الصفات الأربع صفات أربع، فذكر في مقابلة البخل قوله ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ أي إنا أعطيناك الكثير، فأعط أنت الكثير ولا تبخل، وذكر في مقابلة ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾ قوله ﴿فَصَلِّ﴾ أي دم على الصلاة، وذكر في مقابلة ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ﴾ قوله ﴿لربك﴾ أي ائت الصلاة لرضا ربك، لا لمراءاة الناس، وذكر في مقابلة ﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ﴾ قوله ﴿وانحر﴾ فاعتبر هذه المناسبة العجيبة، ثم ختم السورة بقوله ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ أي المنافق الذي يأتي بتلك الأفعال القبيحة المذكورة في تلك السورة، فسيموت ولا يبقى له من دنياه أثر ولا خبر، وأما أنت فيبقي لك في الدنيا الذكر الجميل، وفي الآخرة الثواب الجزيل»[٣٠].

وقد أشار البقاعي إلى المناسب بين السورتين، يقول: «ولما كانت سورة الدين بإفصاحها ناهية عن مساوئ الأخلاق، كانت بإفهامها داعية إلى معالي الشيم، فجاءت الكوثر لذلك، وكانت الدين قد خُتمت بأبخل البخل، وأدنى الخلائق: المنع تنفيراً من البخل، ومما جره من التكذيب، فابتدئت الكوثر بأجود الجود: العطاء لأشرف الخلائق، ترغيباً فيه، وندباً إليه، فكان كأنه قيل: أنت يا خير الخلق غير ملتبس بشيء مما نهت عنه تلك المختتمة بمنع الماعون»[٣١].

إذن فهذا شيء من تناسب سورة الكوثر بما قبلها، وعلاقتها بها، ولهذه السورة تناسب وارتباط بديع عجيب بالسورة التي بعدها، وهي سورة الكافرون، فقد قسمَ - سبحانه - في سورة الكوثر الناس قسمين: محمد وصحبه، وشانئيه وأتباعهم، وكلا هذين الفريقين يسيران في خطين مستقيمين متغايرين لا يلتقيان، وأنى لهم الالتقاء واللقيا؟ ولذا جاءت سورة الكافرون لتؤكد هذا المعنى في الأذهان وتثبته، وتأمر به، فهي بمثابة قطع العلاقات على ما تم بيانه في سورة الكوثر لما بينهما من مفارقة ومباينة، كما أن هذا البتر بتر في الدنيا، وبتر في الآخرة، ووصل في الدنيا، ووصل في الآخرة، فما دام أن هناك بتراً ووصلاً، ومبتوراً وموصولاً، إذن فهما فريقان، والفريقان لا يمكن أبداً أن يتحد منهجهما في الحياة، لا في تصور العقيدة، ولا في الشريعة، ولا في طريقة التعبد، ولا في منهج التفكير، ولا في المبادئ، هذا على ناحية، وذلك على ناحية، لذا ناسب أن يأتي بعد هذه السورة سورة الكافرون؛ لتبين هذه المفارقة، ولتقيم الحواجز بين هذا وذاك، ولتقطع العلاقات، إذ لا مجال للتفاهم والتقارب[٣٢].

وقد أشار إلى هذا المعنى السيوطي في حديثه عن سبب مجيء سورة «الكافرون» بعد سورة «الكوثر»، يقول: «ووجه اتصالها بماقبلها: أنه - تعالى - لما قال ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾ أمره أن يخاطب الكافرين بأنه لا يعبد إلا ربه، ولا يعبد ما يعبدون، وبالغ في ذلك فكرره، وانفصل منهم على أن لهم دينهم، وله دينه»[٣٣].

وقد أكد هذا المعنى - كذلك - البقاعي، يقول مبيناً مناسبة سورة الكوثر للسورة التي بعدها،: «لما أخبره في الكوثر أن العريق في شنآنه عدم، وجب أن يعرض عنه، ويقبل بكليته على من أنعم عليه بذلك، فقال معلماً له ما يقول، ويفعل «قل»[٣٤].

المطلب الرابع: المضمون العام للسورة:

يتضح المعنى العام للسورة من خلال نظرة فاحصة شاملة لها، فسيتبين المراد، ويتضح المقصود، فهي سورة مكية تدور في فلك ما تدور فيه السور المكية، وبما تتميز فيه، وبما تعالج من موضوعات، وبما تتميز به من لهجة خطابها، وقوة أسلوبها، وتخير مفرداتها.

فقد اشتملت السورة على بشارة عظمى للرسول ﷺ بأنه أُعطي الخير الكثير في الدنيا والآخرة، ولذا فقد أمره - سبحانه - بأن يشكره بالإقبال على العبادة في صلاته ونحره، دون أن يلتفت إلى أعدائه وإلى مقولاتهم الباطلة المغرضة، لأنهم هم المبتورون المنقطعون من كل خير في الدنيا والآخرة.

والغرض منها كما يذكر - البقاعي -: منح النبي من الخير بكل ما يمكن أن يكون[٣٥]، وقد أكد هذا المعنى، وأشار إليه الطاهر بن عاشور في حديثه عن أغراض السورة، يقول: «اشتملت على بشارة النبي ﷺ بأنه أعطي الخير الكثير في الدنيا والآخرة، وأمره بأن يشكر الله على ذلك بالإقبال على العبادة، وأن ذلك هو الكمال الحق لا ما يتطاول به المشركون على المسلمين بالثروة والنعمة، وهم مغضوب عليهم من الله - تعالى -؛ لأنهم أبغضوا رسوله، وغضب الله بترٌ لهم إذا كانوا بمحل السخط من الله، وأن انقطاع الولد الذكر فليس بتراً؛ لأن ذلك لا أثر له في كمال الإنسان»[٣٦].

وقد أجمل سيد قطب مضمون هذه السورة ومضامينها في قوله: «هذه السورة خالصة لرسول الله ﷺ كسورة «الضحى»، وسورة «الشرح»، يُسرّي بها

عنه ربه، ويعده بالخير، ويوعد أعداءه بالبتر، ويوجهه إلى طريق الشكر، ومن ثم فهي تمثل صورة من حياة الدعوة، وحياة الداعية في أول العهد بمكة، صورة من الكيد والأذى للنبي ﷺ، ودعوة الله التي يبشر بها، وصورة من رعاية الله المباشرة لعبده، وللقلة المؤمنة معه، ومن تثبيت الله وتطمينه وجميل وعده لنبيه... كذلك تمثل حقيقة الهدى والخير والإيمان، وحقيقة الضلال والشر والكفران، الأولى كثرة وفيض وامتداد، والثانية: قلة وانحسار وانبتار... ومن ثَم نزلت هذه السورة تمسح على قلبه ﷺ بالروح الندي، وتقرر حقيقة الخير الباقي الممتد الذي اختاره له ربه، وحقيقة الانقطاع والبتر المقدر لأعدائه»[٣٧].

المبحث الثالث: من دلائل الإعجاز في سورة الكوثر:

يعد هذا المبحث بيت القصيد في هذا البحث؛ إذ الغرض الرئيس من هذا البحث هو أن نتبين وجوه الإعجاز في هذه السورة، وكل ما سبق بمثابة التوطئة لهذا المبحث، وبمثابة كشف الأضواء، والتمهيد له.

وأنى لي أن أكشف عن وجوه الإعجاز في هذه السورة العظيمة التي زفت البشرى لرسول الله ﷺ بالكوثر العظيم الذي حوى خيري الدنيا والآخرة، ثم ثنَّتْ بالأمر بالصلاة والنحر لله رب العالمين، بكل إخلاص وتجرد له - سبحانه-، ثم ثلّثت بالحكم القاطع على أعداء رسول الله ﷺ المبغضين له، ولشرعه ونهجه، ولكل من عاداه في قديم أو حديث بأنه أبتر منقطع من كل خير في الدنيا والآخرة، بيد أني أستعين بالله على هذا الأمر، طالباً منه التوفيق والسداد، وأن يأخذ بيدي إلى الصواب والكمال، فأقول وبالله التوفيق: إن هذه السورة على قصرها قد وقع بها التحدي، وقد اشتملت على كثير من وجوه الإعجاز، ومن أبرزها ما يأتي:

أولا: أنها وقع بها التحدي:

فقد تحدى - سبحانه - العرب قاطبة بأن يأتوا بمثل هذا القرآن، وهذا من دلائل عدله؛ إذ لم يطالبهم بما لا طاقة لهم به، وبما ليس من مقدورهم، فلم يطالبهم بشيء من حقائق الكون، ولا الإتيان بمثل قصص الأنبياء الغابرين، ولا بالإتيان بما من شأنه رقي المجتمعات، ورقي الشعوب، من مقومات الحضارة وأصولها، وغير ذلك مما جاء في القرآن الكريم، واشتمل عليه، بل طالبهم بما تميزوا به، وعُرفوا فيه، وبما بلغوا به القمة، ونالوا به الرفعة، وهو أمر الفصاحة والبلاغة، ومع ذلك تحداهم في ذلك فعجزوا وقصروا، كما في قوله: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[٣٨]، فقد تحداهم والجن معهم على أن يأتوا بمثل القرآن، ولكن الله حكم بعجزهم وقصورهم في قوله ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ﴾، وإمعاناً في التحدي فقد تحداهم - سبحانه - في أقل من ذلك فطلب منهم عشر سور مفتريات، على أن تكون في مثل فصاحة القرآن وبلاغته، فقال - سبحانه - ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[٣٩].

ومع ذلك ظهر عجزهم وقصورهم، ومن ثم تحداهم - سبحانه - بأقل من ذلك فطلب منهم الإتيان بسورة واحدة في قوله ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[٤٠]، ومع ذلك لم يأتوا بسورة واحدة من مثل القرآن الكريم.

وهكذا نرى أن السورة الواحدة قد وقع فيها التحدي، فقد تحداهم - سبحانه - بأن يأتوا بسورة من مثل القرآن ولم يحدد لهم نوع السورة، فقد تركها لرغبتهم، فإن شاءوا من السور الطويلة أو القصيرة، ومع ذلك لم يستطيعوا، وبما أن سورة «الكوثر» أقصر سورة في القرآن فقد وقع بها التحدي، ومع ذلك عجزوا أن يأتوا بكلام مثلها، فلم يقبلوا التحدي، فأعلنوا العجز والضعف.

ثانياً: ترك المعارضة مع توافر الدواعي وشدة الحاجة إليها:

وقد ذكر هذا الوجه الرماني في كتابه «النكت في إعجاز القرآن»، فقد ذكر أن إعجاز القرآن يظهر من سبع جهات، فذكر من أول هذه الوجوه :ترك المعارضة مع توافر الدواعي وشدة الحاجة إليها، وقد صدق في ذلك[41]، فيعد هذا الأمر من وجوه إعجاز القرآن الكريم، فقد ترك كفار قريش معارضة القرآن مع توافر دواعي المعارضة، فهم مَن هم في الفصاحة والبلاغة، فهم أئمة البيان، وأرباب البلاغة، ومع ذلك تركوا معارضته.

كما أنهم تركوا هذه المعارضة مع شدة الحاجة إلى تلك المعارضة، خاصة مع وجود طلب التحدي الموجه لهم في أن يأتوا بمثل القرآن، أو على الأقل بعشر سور مفتريات، أو بسورة من مثله، ومع ذلك كله تركوا معارضته، ولكن - وكما قال الخطابي - : «لو كان ذلك في وسعهم، وتحت أقدارهم لم يتكلفوا هذه الأمور الخطيرة، ولم يركبوا تلك الفواقر المبيرة، ولم يكونوا تركوا السهل الدمث من القول إلى الحزن الوعر من الفعل، وهذا مالا يفعله عاقل، ولا يختاره ذو لب، وقد كان قومه قريش خاصة موصوفين برزانة الأحلام، ووفارة العقول والألباب، وقد كان فيهم الخطباء المصاقع، والشعراء المفلقون»[42].

فلو كانت المعارضة للقرآن، والإتيان بمثله لما تركوها ولجأوا إلى الحرب والقتل والتشريد.

ولا يشكل على ترك المعارضة ما رُوي عن مسيلمة الكذاب لمعارضته لسورة الكوثر، حين قال: «إنا أعطيناك الجماهر، فصل لربك وجاهر، إن مبغضك رجل كافر»، فشتان شتان بين الثرى والثريا، فالبون شاسع بين سورة «الكوثر»، وبين هذا الهراء، وكما قال الرازي: «ولم يعرف هذا المخذول أنه محروم عن المطلوب لوجوه، أحدها: أن الألفاظ والترتيب مأخوذان من هذه السورة، وهذا لا يكون معارضة، وثانيها: أن هذه السورة كما ذُكر في مناسبتها لما قبلها ولما بعدها أنها تتمة لما قبلها، وأصل لما بعدها، فذكر هذه الكلمات وحدها يكون إهمالاً لأكثر لطائف السورة، وثالثها: التفاوت العظيم الذي يقرُّ به من له ذوق سليم بين قوله ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾، وبين قوله (إن مبغضك رجل كافر)، ومن لطائف هذه السورة: أن كل واحد من الكفار وصف رسول الله ﷺ بوصف آخر، فوصفه أحدهم بأنه لا ولد له، وآخر بأنه لا معين له ولا ناصر، وآخر ثالث بأنه لا يبقى منه ذكر، فالله - سبحانه . مدحه مدحاً أدخل فيه كل الفضائل في قوله ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ ؛ لأنه لما لم يقيد ذلك الكوثر بشيء دون شيء لا جرم تناول جميع خيرات الدنيا والأخرة، وهذا ما لا يوجد في قوله (إنا أعطيناك الجماهر)»[43].

ثالثاً: الإخبار بالمغيبات:

فقد تضمنت السورة الإخبار ببعض المغيبات، ويعد هذا الأمر وجهاً من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، وقد ذكر هذا الأمر، ونصَّ عليه الرماني، فذكر أن من وجوه الإعجاز في القرآن: الأخبار الصادقة عن الأمور

المستقبلية[٤٤]، وفي هذه السورة شيء من الأخبار الغيبية، وقد وقعت الأحداث كما تم الإخبار عنها، يتجلى الإخبار بالغيب في قوله ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ وهو الجامع لخيري الدنيا والآخرة، وقد تم له هذا الأمر، فقد نزلت السورة في مكة، ورسول الله ﷺ والمسلمون معه في حال شدة وغربة، ولكن بدَّل الله لهم الحال، وجاءهم الخير الكثير، وانتصروا على أعدائهم، وفعلاً تحققت هذه الخيرية، وتم هذا العطاء في جميع مناحي الحياة، وأنى لنا أن نعدَّ هذا العطاء أو نحصيه؟! بل إن محاولة إحصائه ضرب من تقليله وتصغيره.

ومن الأخبار الغيبية قوله ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ وقد وقع الأمر كما ذكر الله وأخبر، فقد أصبح هؤلاء المبغضون لرسول الله ﷺ هم المنقطعين المبتورين، كأبي لهب، وأبي جهل، والوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، وغيرهم، فقد انقطع ذكرهم، وانبت أثرهم، وأما رسول الله ﷺ فقد بقي ذكره، وخُلِّد اسمه، وسيظل أثره وذكره باقياً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

إذن فهذه السورة مع قصرها معجزة بما فيها من الإخبار بالغيب، فقد أنجر له ربه - سبحانه - ما وعده، وحقق له ما بشره به، فقد كثر أتباعه، وانتشرت دعوته، ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

وقد تركت هذه السورة أثراً حميداً في نفس رسول الله ﷺ، وفي نفس أتباعه، يتجلى هذا الأمر حين ننظر في الأجواء التي تنزلت فيها هذه السورة، فنحن نعلم أن ثمة دعوى باطلة أُطلقت على رسول الله ﷺ من قِبل شانئيه ومبغضيه، وهي أنه بُتر، وصار أبتراً حين مات أبناؤه، فهذا اللقب وإن كان فرية من الافتراءات إلاَّ أن أصحاب القلوب المريضة تلقفوها وصدقوها، كما أن هذه الفرية آذت وآلمت مشاعر الصحابة حينما سمعوها، بل وآلمت وآذت رسول الله ﷺ؛ إذ إنه بشر يتأذى مما يتأذون منه، ويتألم مما يتألمون منه، فكأن هذه الفرية حينما أُطلقت وشاعت وذاعت في أرجاء مكة كلها كأنها أصبحت حقيقة لما تناقلتها الألسن، وألفت سماعها الآذان، فأحاطت هذه الدعوة الكاذبة برسول الله إحاطة السوار بالمعصم، وفي ظل هذه الأجواء، وفي ظل هذه الدعوات الكاذبة، وما أحدثته هذه الفرية من الألم والأذى في نفس رسول الله ﷺ، وفي نفس أصحابه، في هذه الأجواء تتنزل سورة الكوثر، فتقلب الأمور رأساً على عقب، فتجعل العزيز ذليلاً، والذليل عزيزاً، ويصبح ذلك الرجل المبتور - في نظر أعدائه وشانئيه - موصولاً بكل خير من خيري الدنيا والآخرة، بسبب الكوثر الذي تفضل به ربه عليه.

ويصبح في الوقت نفسه ذلك الرجل المتبختر المتغطرس مبتوراً مقطوعاً من كل خير في الدنيا والآخرة، وهكذا وفي لحظة تنقلب الموازين، ويعود الكيد على الكافرين، ويذوقوا وبال أمرهم، وتعود السهام التي رشقوها إلى نحورهم وصدورهم، ويخرج منها رسول الله ﷺ ظافراً منتصراً، موعوداً بكل خير من خيري الدنيا والآخرة.

وقد أشار إلى هذا المعنى القاسمي في تفسيره لهذه السورة، يقول: وكان الضعفاء من حديثي العهد بالإسلام من المؤمنين تمر بنفوسهم خواطر السوء عندما تشتد عليهم حلقات الضيق، فأراد الله - سبحانه - أن يمحص من نفوس هؤلاء، ويبكِّت الآخرين، فأكد الخبر لنبيه أن ما يخيله النظر القصير قليلاً، هو الكثير البالغ الغاية في الكثرة؛ ليؤكد له الوعد بأنه هو الفائز، وأن متبعه هو

الظافر، وأن عدوه هو الخائب، الأبتر الذي يُمحى ذكره، ويعفى أثره)»[٤٥].

فهذا الأثر الذي تركته هذه السورة، وذلك البعد الذي تركت صداه يتردد في حنايا النفوس وزواياها فيعد ذلك كله وجه من وجوه الإعجاز في هذه السورة ولا ريب.

رابعاً: الإعجاز البلاغي في السورة:

فقد اشتملت السورة مع قِصَرها على كثير من الأسرار البلاغية، والنكت البيانية، فقد تضمنت الإيجاز بنوعيه: القِصَر، والحذف، كما أن فيها التفاتاً، واستعارة وتشبيهاً، ووضع الظاهر موضع المضمر، ومجيء الفعل الماضي مكان الفعل المضارع، كما أن فيها تعريضاً، وسجعاً، وغير ذلك كثير، هذه بعض الأساليب البلاغية التي تضمنتها على سبيل الإجمال، أما تفصيل ذلك فهو كما يأتي:

يقول الله - تعالى - مخبراً بعطائه الجزيل لرسوله ﷺ في قوله ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾، وقد اختلفت أقوال المفسرين، وتعددت آراؤهم في بيان المراد به، وقد أشار الشنقيطي إلى هذا الاختلاف، يقول: «إن المفسرين اختلفوا في «الكوثر»، فقيل: عَلَم، وقيل: وصف، فعلى العلمية، قالوا: إنه نهر في الجنة، وعلى الوصف قالوا: الخير الكثير... والذي تطمئن إليه النفس أن «الكوثر» هو الخير الكثير، وأن الحوض أو النهر من جملة ذلك الخير الكثير»[٤٦].

يدل على هذه الكثرة الكاثرة وزن لفظة «الكوثر» فهي على وزن فوعل، وقد أشار إلى هذه الحقيقة وقررها الشوكاني في تفسيره لهذه الآية، فقد ذكر الكوثر فوعل من الكثرة، وأن الغرض منها الدلالة على المبالغة في الكثرة، يدل على ذلك أن العرب تسمى كل شيء كثير في العدد أو في القدر كوثراً[٤٧].

وقد دلت لفظة «الكوثر» على المبالغة في العطاء فهي من الكثرة الكاثرة، «ولا مجال أن الذي أعطى الله محمداً ﷺ من النبوة والحكمة والعلم بربه، والفوز برضوانه، والشرف على عباده هو أكثر الأشياء وأعظمها، كأنه يقول في هذه الآية ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ﴾ الحظ الأعظم»[٤٨].

ولذا فإن هذا الخير لا حصر له ولا عد، ولا ينحصر في شيء معين، يدل على ذلك قول المراغي في تفسيره يقول والمعنى: «أعطيناك من المواهب الشيء الكثير الذي يعجز عن بلوغه العد، ومنحناك من الفضائل مالا سبيل للوصول إلى حقيقته، وإنْ استخف به أعداؤك واستقلوه، فإنما ذلك من فساد عقولهم، وضعف إدراكهم»[٤٩].

ولذا فإن لفظة «الكوثر» من إيجاز القِصَر، بل هي الغاية فيه، فقد اشتملت هذه اللفظة على خيري الدنيا والآخرة، كما اشتملت - كذلك - على كل المنافع والمصالح الدنيوية والأخروية لرسول الله ﷺ، اشتملت على كل عطاء له في الدارين، فهي عطية عظيمة مسندة إلى رب كبير عظيم، ولذا نرى المفسرين ذهبوا في تفسير الكوثر كل مذهب، وكل ما ذُكر جزء من هذا الكوثر، وليس كله، بل إن محاولة إحصاء هذا العطاء، ومحاولة تحديد هذا الكوثر، إنما هو ضرب من المحال؛ إذ لا أحد يحصي عطاء هذا الرب الكريم، الذي امتنّ به على خير عباده ورسله، وهو - سبحانه - لا يمتن إلا بأمر عظيم، وكذلك هو شأن هذا الكوثر، لا يُحدُّ بحد، ولا يحصر بعدد، ولا بنوع، والأمر كما ذكر سيد قطب في حديثه عن معاني الكوثر، حين بيّن أن: «محاولة إحصائها ضرب من تقليلها وتصغيرها»[٥٠].

وقد جاء ذكر هذه الحقيقة وبيانها مؤكدة بحرف

التأكيد «إنَّ» في قوله ﴿إِنَّآ﴾ دلالة على الاهتمام، وإشعاراً أنه قد أوتي شيء عظيم، وفي ذلك إشارة من طرف خفي بمكانة الرسول ﷺ، وعظيم منزلته عند ربه.

كما أن هذا التأكيد جاء ليقتلع الشك من أصله، ويجتثه من عروقه، فكأن هذه الفرية حين شاعت وذاعت كأن هناك من صدقها وانطلت عليه، فصار كالمتردد في أمرها الشاك فيها، فجاءت هذه البشارة من خلال هذا التأكيد؛ لتطرد تلك الشكوك، وتقتلع ما وقع في النفوس من الهواجس والوساوس، جاءت لتقتلع ذلك كله وتحلُّ مكانه الإخبار بأن الله أعطاه الكوثر، وأنى لمن أُعطي الكوثر أن يكون أبتراً؟!

كما أن في هذا التأكيد اهتماماً بما تضمنه هذا الخبر، والدلالة على أن النبي ﷺ قد أوتي «شيء عظيم يستتبع الإشعار بتنويه شأن النبي ﷺ ... والكلام مسوق مساق البشارة، وإنشاء العطاء لا مساق الإخبار بعطاء سابق»[٥١].

وقد جاء ذكر هذه البشارة من خلال الجملة الاسمية، وفي ذلك غرض يُراد تحقيقه وتقريره في هذا المقام، وذلك من خلال دلالة الجملة الاسمية، فيُراد توظيف هذه الدلالة في بيان عِظم هذه البشارة، فمعلوم أن الجملة الاسمية تدل على الثبات والدوام، وقد أظهرت هذه الدلالة عِظم هذا الكوثر وديمومته، ولذا فإن هذا الخير دائم غير منقطع، وكذلك هي عطايا الكرام، دائمة سالمة من الزوال والانقطاع، كما أن هذه الدلالة تتلاءم مع كثرة هذا العطاء وجزالته، ومن هنا يتبين السرُّ البلاغي في التعبير عن هذا العطاء من خلال الجملة الاسمية.

وقد أسند العطاء إلى ضمير الجمع في قوله ﴿أَعْطَيْنَٰكَ﴾ تعظيماً للمعطي، فإذا كان المعطي كريماً، فسيكون عطاؤه جزيلاً كبيراً،، ولذا فإن هذا ضمير العظمة مشعر بالامتنان على رسول الله بعطاء عظيم، وكذلك كان الكوثر[٥٢].

وقد جاء الإخبار عن هذا العطاء بصيغة الماضي؛ إشارة إلى تحقق وقوعه، ودلالة - كذلك - على أن الكوثر لم يتناول عطاء الآجلة دون العاجلة، ولأن هذا الكلام مسوق مساق البشارة، ومن حق البشارة التعجيل بها، والقطع بحدوثها.

والغرض من هذا الخبر: « بشارة النبي، وإزالة ما عسى أن يكون في خاطره من قول من قال فيه: هو أبتر، فقُوبل معنى الأبتر بمعنى الكوثر؛ إبطالاً لقولهم»[٥٣].

وفي اختيار العطاء في قوله: ﴿أَعْطَيْنَٰكَ﴾ سرٌّ بلاغي يتجلى من دلالات هذه اللفظة وإيحاءاتها، وذلك أن إعجاز القرآن الكريم يتجلى في اختيار ألفاظه، والدقة في انتقائها للتعبير عن المعاني المراد بيانها، فقال - سبحانه - هنا ﴿أَعْطَيْنَٰكَ﴾ دون لفظة «آتيناك» مثلاً، لأن بين اللفظتين فرقاً؛ وذلك أن «الإيتاء» قد يكون واجباً، وقد يكون تفضلاً، بخلاف العطاء فهو محض تفضل، وكرم غير متناه، لا حدود له[٥٤]، وفي ذلك توافق مع دلالة لفظة «الكوثر» ووزنها.

كما أنه قال «أعطيناك»، ولم يقل «أعطينا الرسول أو النبي»؛ لأنه لو قال ذلك؛ لأشعر أن تلك العطية وقعت معللة بذلك الوصف، فلما قال «أعطيناك» عُلم أن تلك العطية غير معللة بعلة أصلاً، بل هي محض الاختيار والتفضل، ونتبين مما تقدم أن لاختيار لفظة ﴿أَعْطَيْنَٰكَ﴾ سراً بلاغياً يخدم المعنى الذي جاءت السورة لتحقيقه وإبرازه.

كما أن في تعريف لفظة «الكوثر» بالألف واللام إشارة إلى ما يحتويه من الخير الكثير، والفضل المطلق الذي لا حصر له ولا عد، وفي ذلك توافق مع دلالات وزنها في دلالتها على الخير الكثير، والفضل العميم.

ثم قال - سبحانه - ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ وقد جاءت هذه الآية مترابطة مع ماقبلها، شديدة الصلة بها، وقد ذكر هذه العلاقة وكشفها الكشاف، يقول: «فاعبد ربك الذي أعزك بإعطائه وشرفك وصانك من منن الخلق، مراغماً لقومك الذين يعبدون غير الله، وانحر لوجهه وباسمه إذا نحرت مخالفاً لهم في النحر للأوثان»[٥٥].

وقد بيّن الإمام الشنقيطي في تفسيره لهذه الآية مزيداً من علاقة هذه الآية بالتي قبلها، يقول: «في هذا مع ماقبله ربط بين النعم وشكرها، وبين العبادات وموجبها، فكما أعطاه الكوثر فليصل لربه، ولينحر له، وفي الخطاب لرسول الله ﷺ تعليم للأمة بهذا الأمر في خطاب شخصه مع عصمته ﷺ»[٥٦].

يدل على هذا المعنى، ويشير إليه الفاء في قوله ﴿ فَصَلِّ ﴾ ففيها الدلالة على أن التنبيه على شكر النعم ينبغي أن يكون على الفور لا على التراخي، فالمراد بها التعقيب.

وقد دلت اللام في قوله: ﴿ لِرَبِّكَ ﴾ على الإخلاص والتجرد لرب العالمين، فكأنه – تعالى – لما ذكر في السورة التي قبلها الذي يصلون رياء للناس، فهو هنا يأمر عبده بالإخلاص له، وأن يصلي له بدون رياء ولا سمعة، ولكن على سبيل الإخلاص لله رب العالمين.

ولذا فإن في هذه اللفظة ﴿ لِرَبِّكَ ﴾ تعريضاً بكفار قريش، فقد كانت صلاتهم عند البيت مكاء وتصدية، كما كان نحرهم للأصنام والأوثان[٥٧].

وفي العدول عن الضمير إلى الاسم الظاهر في قوله: ﴿ لِرَبِّكَ ﴾ دون قوله «فصل لنا» إظهار للفظة الرب؛ لما في ذلك من الإشارة إلى استحقاقه العبادة لأجل ربوبيته، فضلاً عن إنعامه عليه[٥٨].

وفي إضافة لفظة «الرب» إلى ضمير المخاطب تشريف له، وإعلاء من قدره، ومن هنا يتبين أن العدول عن قوله «فصل لنا» إلى قوله ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾ لأسرار بلاغية، ونكت بيانية جمة، ومن ذلك: الالتفات الحاصل من هذا العدول، ولا يخفى بلاغة الالتفات ودلالته في هذا المقام، كما أنه وضع الظاهر موضع المضمر، وفي ذلك مزيد من العظمة والمهابة للاسم المظهر، فقد تم إظهار لفظة «الرب» لما يتضمنه من معنى الحفظ والعناية والولاية، فهو يتولاه ولا يتركه، ولذا فهو يرد عنه كيد الكائدين، ويدحض شبهة الكافرين.

وفي اختيار لفظة «النحر» في قوله ﴿ وَٱنْحَرْ ﴾ دون «ضحِ» مثلاً دلالة يحسن الإشارة إليها، فمما هو معلوم أن التضحية تشمل جميع أنواع بهيمة الأنعام، بخلاف النحر فهو خاص في الإبل، فما السرُّ إذن في اختيار هذه اللفظة في هذا المقام، والسرُّ في ذلك - والله أعلم -: أن الصلاة أعظم العبادات البدنية، فقرن بها أعظم أنواع الضحايا، كما أن فيها إشارة إلى أن رسول الله ﷺ سيكون غنياً بعد فقره، وسينحر المائة من الإبل[٥٩].

وقد خص - سبحانه - هاتين العبادتين بالذكر في هذه السورة، والأمر بهما؛ «لأنهما أفضل العبادات، وأجل القربات، ولأن الصلاة تتضمن الخضوع في القلب، والجوارح لله، وتنقله في أنواع العبودية،

وفي النحر تقرب إلى الله بأفضل ما عند العبد من الأضاحي، وإخراج المال الذي جُبلت النفوس على محبته، والشح به»[٦٠].

ثم قال - سبحانه - بعد ذلك: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ ومعنى الآية - كما يذكر ابن كثير - أي: «إن مبغضك يا محمد، ومبغض ما جئت به من الهدى والحق والبرهان الساطع، والنور المبين هو الأبتر الأقل الأرذل المنقطع ذكره... وهذا يعم جميع من اتصف بذلك ممن ذُكر وغيرهم؛ وذلك أنهم كانوا إذا مات ذكور الرجل قالوا: بُتر، فلما مات أبناء الرسول ﷺ قالوا: بُتر محمد، فتوهموا لجهلهم أنه إذا مات بنوه انقطع ذكره، وحاشا وكلا، بل قد أبقى الله ذكره على رؤوس الأشهاد، وأوجب شرعه على رقاب العباد، مستمراً على دوام الآباد إلى يوم المحشر والمعاد»[٦١].

وقد جاء ذكر هذه الحقيقة وبيانها من خلال الجملة الاسمية كذلك؛ لأن هذه الحقيقة التي ذكرها الله عن أعداء رسول الله ﷺ هي حقيقة ثابتة دائمة فيهم، فهذا حكم رب العالمين عليهم، فهذا نعتهم، وتلك صفتهم دائماً وأبداً ولن تحول عنهم ولن تزول، ومن هنا جاء التعبير عن هذه الحقيقة بالجملة الاسمية دلالة على هذا المعنى، وإشارة إليه.

وفي ذكر هذه الحقيقة وبيانها مصدرة بحرف التأكيد «إنَّ» دلالة على تأكيدها، وأن الأمر كما ذكر - سبحانه - وأخبر، فهم المبتورون المنقطعون من كل خير، وتلك حقيقة لا تقبل نقاشاً ولا جدلاً، ولذا جاء تأكيدها إشارة إلى هذا المعنى، وتأكيداً عليه، يدل على هذه الحقيقة ويؤكدها - كذلك - مجيئها من خلال أسلوب القصر في قوله ﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ فهو قصر بتعريف الطرفين، وقد أفاد هذا القصر نفي صفة الأبتر عن رسول الله ﷺ، وإثباتها لأعدائه ومبغضيه.

ولذا فإن «من أبغضك من قومك لمخالفتك لهم ﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ لا أنت؛ لأن كل من يولد إلى يوم القيامة من المؤمنين فهم أولادك وأعقابك، وذكرك مرفوع على المنابر، وعلى لسان كل عالم، وذاكر إلى آخر الدهر، يبدأ بذكر الله، ويثني بذكرك، ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف، فمثلك لا يقال له أبتر، وإنما الأبتر هو شانئك المنسي في الدنيا والآخرة، وإن ذُكر ذُكر باللعن»[٦٢].

وقد بيَّن الطاهر بن عاشور بلاغة هذا القصر ودلالاته في هذا السياق، يقول: «فقوله - تعالى - ﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ اقتضت صيغة القصر إثبات صفة الأبتر لشانئ النبي ﷺ، ونفيها عن النبي ﷺ، وهو الأبتر بمعنى الذي لا خير فيه،، ولكن لما كان وصف الأبتر في الآية جيء به لمحاكاة قول القائل «محمد أبتر» إبطالاً لقوله ذلك، وكان عرفهم في وصف الأبتر أنه الذي لا عقب له تعيّن أن يكون هذا الإبطال ضرباً من أسلوب الحكيم، وهو تلقي السامع بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيهاً على أن الأحق غير ما عناه من كلامه... وذلك بصرف مراد القائل عن الأبتر الذي هو عديم الابن الذكر إلى ما هو أجدر بالاعتبار، وهو الناقص حظ الخير، أي ليس ينقص للمرء أنه لا ولد له؛ لأن ذلك لا يعود على المرء بنقص في صفاته وخلائقه وعقله»[٦٣].

كما أن السرَّ في تأكيد هذه الآية ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ هو الإشارة إلى ما في نفوس المشركين، فقد تقرر في أذهانهم، واستقر في أعماقهم أن رسول الله

ﷺ قد صار أبتراً بموت بنيه، فقد قلبت هذه الآية أمراً كان مستقراً في نفوس المشركين، وغيرت المفاهيم، وأحقت الحق، وأبطلت الباطل، ودحضت الشبه الباطلة، وجاءت لتبين أن الأبتر حقاً هو ذلك الشانئ المبغض لك، ولستَ أنت يا محمد، وهذا الأمر الذي تُقلب فيه الأمور، وتحق فيه الحقائق بحاجة إلى أدلة وبراهين، وبحاجة إلى مؤكدات؛ لذلك جاءت هذه الآية مؤكدة بـ«إنَّ» إشارة إلى هذا المعنى، والله أعلم.

وفي ذكر الشانئ بصفته دون ذكر اسم من نزلت فيه لإرادة العموم؛ ليشمل ذلك كل من كان في مثل حاله، ممن قامت فيه هذه الصفة، صفة البغض والصد والافتراء على رسول الله ﷺ، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فمن كان هذا حاله، وتلك صفته فهو الأبتر الحقيقي.

يدل على ذلك قول الطاهر بن عاشور: «وهو يشمل كل مبغض له من أهل الكفر، فكلهم بُتر من الخير ما دام فيه شنآن للنبي ﷺ، فأما من أسلموا منهم فقد انقلب بعضهم له محبة له، واعتزازاً به»(٦٤).

وأصل البتر: الحيوان المقطوع الذنب، والمراد به هنا مالا يبقى له ذكر، ومن لا يدوم له أثر، شُبه بقاء الذكر الحسن، واستمرار الأثر الجميل بذنب الحيوان من حيث إنه يتبعه، وهو زينة له، وشُبه الحرمان منه ببتر الذنب وقطعه(٦٥).

وتتجلى بلاغة القرآن في اختيار لفظة «البتر» في هذه السورة، وفي هذا السياق؛ وذلك أن الشانئ حينما وصف رسول الله ﷺ بأنه أبتر، كان مراده وصف الرسول ﷺ بالقلة والذلة، ونعته لنفسه بالكثرة والغلبة، بيد أن الله قلب عليه الأمور، فذكر أن العزيز من أعزه الله، والذليل من أذله الله، فالكثرة من الكوثر لرسول الله ﷺ، والأبترية والدناءة والذلة للعدو، فحصل بين أول السورة وأخرها نوع من العلاقة، ورُبط آخرها بأولها.

ولي وقفة مع الفصل والوصل بين آيات هذه السورة، فقد تكوّنت السورة من ثلاث آيات، وقد جاء الفصل بين جمل السورة كلها، وسبب الفصل هو: كمال الانقطاع، بسبب الاختلاف بين الجمل في الخبرية والإنشائية، فالجملة الأولى ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ خبرية، والجملة الثانية ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ إنشائية، فبينهما كمال الانقطاع، ولذلك جاء الفصل بينهما مشيراً إلى هذا الأمر، ومؤكداً له.

ولهذا السبب فُصل بين الجملة الثانية والجملة الثالثة بين قوله ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ وقوله ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ فالأولى إنشائية، والثانية خبرية، فبينهما - كذلك - كمال الانقطاع، وقد جاء هذا الفصل؛ ليشير إلى أن كل آية قائمة بذاتها، منفصلة عن الأخرى، وكأن كل واحدة منهما بداية جديدة لمعنى مستقل.

وأما الوصل في هذه السورة فهو في الآية الثانية في قوله ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ بين جملة «فَصَلِّ» وجملة «وانحر»، وسبب الوصل بينهما هو: كمال الاتصال، فكلاهما جملة إنشائية، والسرُّ في هذا الوصل هو: ترتب أحدهما على الآخر، وكأنه سبب له، ونتيجة له، يدل على هذا المعنى قول ابن كثير في تفسير هذه الآية، يقول: «أي كما أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة، ومن ذلك النهر الذي تقدمت صفته فأخلص لربك صلاتك المكتوبة

والنافلة، ونحرك فاعبده وحده لا شريك له، وانحر على اسمه وحده لا شريك له»[٦٦].

كما أن في هذا الوصل إشارة إلى أن صلاته ونحره لله رب العالمين، لا شريك له، فهو يُؤمر بالصلاة، ويؤمر- كذلك - بالنحر، ومطلوب منه أن تكون صلاته، وأن يكون نحره لربه الذي أعطاه الكوثر، وأن يجمع بين هاتين العبادتين لله رب العالمين، وألاَّ يفرق بينهما، بل يصرفها لربه مخلصاً له الدين.

هذا بعض ما تضمنته السورة من أسرار بلاغية، ونكت بيانية، وإنَّ فيما لمزيداً للمستبصرين، والمتأملين، ولا أدل على ذلك من قول الرازي - بعد أن ذكر كثيراً من أسرارها البلاغية -: «ثم هذه السورة مع علو مطلعها، وتمام مقطعها، واتصافها مما هو طراز الأمر كله، من مجيئها مشحونة بالنكت الجلائل، مكتنزة بالمحاسن غير القلائل: هي خالية من تصنع من يتناول التنكيت، وتعمل من يتعاطى بمجاجاته التبكيت»[٦٧].

ورأيت من الأنسب في خاتمة هذا البحث أن أنقل ما ذكر ابن النقيب في حديثه عن هذه السورة، وما اشتملت عليه من البلاغة والإعجاز، وسأذكره بنصه؛ لشديد علوقه بما نحن فيه، ولكي أجمع شتات كلام العلماء عن هذه السورة في هذا البحث، يقول: «سورة الكوثر أقصر سورة، وفيها من الألفاظ البديعة الرائقة التي اقتضت بها أن تكون مبهجة، والمعاني المنيعة الفائقة التي اقتضت بها أن تكون معجزة أحد وعشرون، ثمانية في قوله ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾، وثمانية في قوله ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾، وخمسة في قوله ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾.

أما الثمانية في قوله ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾

فالأولى: أن قوله ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ دل على عطية كثيرة مسندة إلى معطٍ كبير، ومن كان كذلك كانت النعمة عظيمة عنده، وأراد بالكوثر الخير الكثير، ومن ذلك الخير الكثير ينال أولاده إلى يوم القيامة من أمته.

الثانية: أنه جمع ضمير المتكلم، وهو يشعر بعظم الربوبية.

الثالثة: أنه بنى الفعل على المبتدأ، فدل على خصوصية وتحقيق.

الرابعة: أنه صدر الجملة بحرف التوكيد الجاري مجرى القسم.

الخامسة: أنه أورد الفعل بلفظ الماضي؛ دلالة على أن الكوثر لم يتناول عطاء العاجلة دون عطاء الآجلة، ودلالة على أن المتوقع من سَيْب الكريم في حكم الواقع.

السادسة: جاء الكوثر محذوف الأوصاف؛ لأن المثبت ليس فيه ما في المحذوف من فرط الإبهام والشياع، والتناول على طريقة الاتساع.

السابعة: اختيار الصفة المؤذنة بالكثرة.

الثامنة: أتى بهذه الصفة مصدرة باللام المعروف بالاستغراق؛ لتكون لما يوصف بها شاملة، وفي إعطاء معنى الكثرة كاملة.

وأما الثمانية التي في قوله ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾:

فالأولى: فاء التعقيب هاهنا مستفادة من معنى التسبب، لمعنيين: أحدهما جعل الإنعام الكثير سبباً للقيام بشكر المنعم وعبادته.

الثانية: جعله لترك المبالاة بقول العدو.

الثالثة: قصده باللام التعريض بذكر العاص وأشباهه ممن كانت عبادته ونحره لغير الله، وتثبيت

قدمي رسول الله ﷺ على الصراط المستقيم، وأخلاصه العبادة لوجهه الكريم.

الرابعة: أشار بهاتين العبادتين إلى نوعي العبادات أعني الأعمال البدنية التي الصلاة قوامها، والمالية التي نحر الإبل سنامها، للتنبيه على مالرسول الله ﷺ من الاختصاص في الصلاة التي جُعلت فيها قرة عينه، ونحر الإبل التي همته فيه قويه.

الخامسة: حذف اللام الأخرى؛ لدلالة الأولى عليها.

السادسة: مراعاة حق السجع الذي هو من جملة صنعة البديع إذا ساقه قائله مطبوعاً، ولم يكن متكلفاً.

السابعة: قوله ﴿ لِرَبِّكَ ﴾ فيه حسنان: وروده على طريق الالتفات التي هم أم من الأمهات، وصرف الكلام عن لفظ المضمر إلى لفظ المظهر، وفيه إظهار لكبرياء شأنه، وإثباته لعز سلطانه.

الثامنة: علّم بهذا أن من حقوق الله التي تعبّد بها العباد أنه ربهم ومالكهم، وعرّض بترك التماس العطاء من عبد مربوب ترك عبادة ربه.

وأما قوله جل جلاله: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ ففيه خمس فوائد:

الأولى: أنه علل الأمر بالإقبال على شأنه، وترك الاحتفال بشانئه على سبيل الاستئناف الذي هو حسنٌ حسن الموقع، وقد كثرت في التنزيل مواقعه.

الثانية: ويتجه أن تجعلها جملة للاعتراض مرسلة إرسال الحكمة الخاتمة للأغراض.

الثالثة: إنما لم يسمه باسمه؛ ليتناول كل من كان في مثل حاله.

الرابعة: صدر الجملة بحرف التوكيد الجاري مجرى القسم، وعبر عنه بالاسم الذي فيه دلالة على أنه لم يتوجه بقلبه إلى الصدق، ولم يقصد بلسانه الإفصاح عن الحق، بل نطق بالشنآن الذي هو قرين البغي والحسد، وعين البغضاء والحرد، ولذلك رسمه بما ينبئ عن الحقد.

الخامسة: جعل الخبر معرفة، وهو الأبتر والشانئ»[٦٨].

ولذا فإن سورة الكوثر وإن كانت أقصر سورة في القرآن الكريم إلا أنها اشتملت على معانٍ كثيرة، وجاءت بأمور عظيمة وكثيرة، فقد اشتملت على الكوثر الذي هو جامع لخيري الدنيا والآخرة، كما أنها بينت موقف الأعداء من رسول الله ﷺ، ثم قضت بالحكم عليهم، بأنهم مبتورون منقطعون من كل خير، ثم بعد هذا اشتملت على أمر الله له بالشكر له على هذه النعم التي أمتن بها عليه، وأسبغها على نبيه محمد ﷺ.

ولذا فإن سورة تشتمل على هذا كله مع قِصَر آياتها، فهي أقصر سورة في القرآن الكريم. لهو دليل بلا شك على إعجاز هذه السورة، فمن ذا يطيق من البشر مهما بلغ من البيان أن يأتي بمثل هذا الكلام، هيهات هيهات، فهو كلام رب العالمين، ويقف جميع البشر دونه عاجزين قاصرين، أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، وصدق الله ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾.

الخاتمة:

وبعد: فقد طال بي التطواف والتجوال في رحاب هذه السورة الكريمة، والنظر في آياتها، والوقوف عند بلاغتها، ونكتها البيانية، وسبر إعجازها، وقد طال بي المسير؛ وذلك أني أمام بحر زاخر، ومعين متدفق لا ينضب، وقد بذلتُ فيه من الجهد؛ لإظهار شيء من

إعجـاز هذه السـورة، وإن كان وجـوه إعجازها لا تعد ولا تحصى، ولكن نعدُّ منها ولا نعددها.

وثمـة نتائج قد أمكـن الاهتداء إليها مـن خلال هذه الدراسة، ومن أبرزها ما يأتي:

١ - أن سـورة الكوثـر علـى قصـرها معجـزة بنظمهـا، وبأسـلوبها البلاغـي؛ لِمـا اشـتملت عليه من أسـرار بلاغية، ونكت بيانية جمة.

٢ - احتوت السـورة على كثير مـن دلائل الإعجاز، ووجوه التحدي، فصـارت بسـببها معجزة، وبسـببها عجز القـوم عـن الإتيان بمثلهـا، وعن معارضـتها، ولهذا فتعدُّ هذه السـورة نموذجـاً حياً وبـارزاً على إعجاز القرآن الكريم.

٣ - أن القـول الراجـح في إعجـاز القـرآن الكريم هو في نظمـه، وفي بيانـه وبلاغته، فهو المعـول في الإعجاز، وإليـه يعـود الفضـل في عجـز القـوم عـن مجاراته ومعارضته، مع صحة الأقوال الأخرى في إعجازه، إلا أن القول الفصـل في إعجاز القرآن الكريم يعود إلى بلاغته وحسن بيانه.

وبعـد فـأني أوصـي في ختام هـذه الدراسـة إلى أن تتجـه الدارسـات والبحـوث إلى الجانـب التطبيقي في الدراسـات القرآنية، فهـي بمثابة الأدلـة القاطعة على إعجـاز القرآن الكـريم، فهي تقدم البراهـين والدلائل علـى إعجاز القرآن، وعلى ما تميز به، كما أنها تؤكد ما ذهب إليـه العلماء في بيان وجوه إعجاز القرآن الكريم، بيـد أنها تؤكـد ذلك تطبيقاً لا تنظـيراً، وهذا هو الأهم في نظري.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

والله أعلم

الهوامش

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة: مادة: عجز، لابن فارس، والمفردات: مادة: عجز، للراغب الأصفهاني.

(٢) انظر: لسان العرب: مادة: عجز، لابن منظور .

(٣) التعريفات: ٣١، لعلي بن محمد الجرجاني

(٤) انظر: إعجاز القرآن : فضل حسن عباس: ٢٨ .

(٥) الإتقان في علوم القرآن: ٣/٤، للسيوطي .

(٦) المصدر السابق: ١٦/٤ .

(٧) انظر: البيان في إعجاز القرآن: ٣٣، لصلاح الخالدي، وإعجاز القرآن: ٢٨، لفضل حسن عباس، و: الإعجاز الفني في القرآن: ٥٣، لعمر السلامي .

(٨) بيان إعجاز القرآن: ٧٠، لأبي سليمان حمد الخطابي.

(٩) دلائل الإعجاز: ٨٩، لعبدالقاهر الجرجاني.

(١٠) انظر: مباحث في إعجاز القرآن: ٢٥٨، لمناع القطان .

(١١) إعجاز القرآن: ١٤٦، للرافعي .

(١٢) الإعجاز الفني في القرآن: ٥٥، لعمر السلامي.

(١٣) انظر: البيان في إعجاز القرآن: ٩٧، لصلاح الخالدي .

(١٤) من دلائل الإعجاز: ٨٣.

(١٥) مفتاح العلوم: ١٤٦، للسكاكي .

(١٦) انظر: البيان في إعجاز القرآن: ٩٧.

(١٧) الصناعتين: ٧، لأبي هلال العسكري .

(١٨) مفتاح العلوم: ٣٤٨ .

(١٩) انظر: دراسات حول الإعجاز البياني في القرآن، فقد ذكر هؤلاء العلماء، وبسط القول في هذه المسألة، تحت مبحث: الباحثون في القرآن يجمعون على إعجازه البياني.

(٢٠) انظر: المحرر الوجيز: ٣٤٦/٥، لابن عطية الأندلسي .

(٢١) انظر: أضواء البيان: ٥٧٤/٩، للشنقيطي، ومحاسن التأويل: ٤/ ٥٣٤، للبغوي.

(٢٢) محاسن التأويل: ٥٣٤/٤ .

(٢٣) أضواء البيان: ٥٧٤/٩ .

(٢٤) تفسير القرآن العظيم: ٥٩٥/٤، لابن كثير.

(٢٥) فتح القدير: ٥/ ٥٠٣، للشوكاني .

(٢٦) انظر: محاسن التأويل: ٥٣٣/٤ .

(٢٧) التحرير والتنوير: ٥٧١/٣٠ .

(٢٨) انظر: فتح القدير: ٥٠٢/٥.

(٢٩) انظر: التحرير والتنوير: ٥٧١/٣٠ .

(٣٠) مفاتح الغيب: ١٨١/٩، للرازي .

(٣١) نظم الدرر: ٢٨٧/٢٢، للبقاعي.

(٣٢) انظر: في ظلال القرآن: ٣٩٩٢/٦ .

(٣٣) تناسق الدرر في تناسب السور: ١٨٣، للسيوطي .

(٣٤) نظم الدرر: ٣٠١/٢٢ .

(٣٥) نظم الدرر: ٢٨٧/٢٢ .

(٣٦) في ظلال القرآن: ٣٩٨٧/٦ .

(٣٧) التحرير والتنوير: ٥٧٢/٣٠ .

(٣٨) الإسراء: ٨٨ .

(٣٩) هود: ١٣ .

(٤٠) يونس: ٣٨ .

(٤١) انظر: النكت في إعجاز القرآن:١٠٩، للرماني .

(٤٢) بيان إعجاز القرآن: ٢١، لأبي سليمان الخطابي .

(٤٣) مفاتح الغيب :١٣٥/٩ .

(٤٤) انظر: النكت في إعجاز القرآن: ١١٠ .

(٤٥) محاسن التأويل: ١٧/ ٦٢٧٨، للقاسمي.

(٤٦) أضواء البيان: ٥٦٧/٩.

(٤٧) انظر: فتح القدير: ٥٠٢/٥ .

(٤٨) المحرر الوجيز: ٥٢٩/٥

(٤٩) تفسير المراغي: ٢٥٣/١٢ .

(٥٠) في ظلال القرآن: ٣٩٨٨/٦ .

(٥١) التحرير والتنوير: ٥٧٢/٣٠ .

(٥٢) المصدر السابق: ٥٧٢/٣٠ .

(٥٣) التحرير والتنوير: ٥٧٣/٣٠ .

(٥٤) انظر: مفاتح الغيب: ١٤٣/٩ .

(٥٥) الكشاف: ٢٩١/٤، للزمخشري.

(٥٦) أضواء البيان: ٥٧١/٩ .

(٥٧) انظر: تفسير النسفي: ١٩٤/٨ .

(٥٨) انظر: التحرير والتنوير: ٥٧٤/٣٠ .

(٥٩) انظر: مفاتيح الغيب : ١٤٣/٩ .

(٦٠) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ٤٦٣/٥ .

(٦١) تفسير القرآن العظيم: ٥٩٥/٤ .

(٦٢) الكشاف: ٢٩١/٤ .

(٦٣) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٥٧٧ .

(٦٤) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٥٧٦ .

(٦٥) انظر: التحرير والتنوير: ٥٧٦/٣٠

(٦٦) تفسير القرآن العظيم: ٥٩٥/٤ .

(٦٧) نهاية الإيجاز ودارية الإعجاز: ٢٧٤ .

(٦٨) مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن: ٥٢١ .

المصادر والمراجع

١ - الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي؛ تقديم وتعليق مصطفى ديب البُغا -. ط٢ -. بيروت : دار ابن كثير، ١٤١٤هـ .

٢ - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود -. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٣ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين الشنقيطي -. القاهرة : مكتبة ابن تيمية، ١٤١٣هـ .

٤ - الإعجاز الفني في القرآن، عمر السّلامي -. تونس : مؤسسات عبدالكريم بن عبدالله، ١٩٨٠م .

٥ - إعجاز القرآن الكريم لفضل حسن عباس، وسناء فضل عباس -. عمان : دار الفرقان.

٦ - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي -. ط٩ -. بيروت : دار الكتاب العربي، ١٣٩٣هـ .

٧ - بيان إعجاز القرآن لأبي سليمان الخطابي؛ تحقيق محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول -. ط٤ -. القاهرة : دار المعارف، طُبعت ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.

٨ - البيان في إعجاز القرآن، لصلاح عبدالفتاح الخالدي -. ط٣ -. الأردن : دار عمان، ١٤١٣هـ.

٩ - التحرير والتنوير لمحمد بن طاهر بن عاشور.

١٠- تفسير القرآن العظيم للحافظ عماد الدين ابن كثير؛ قدم له عبدالقادر الأرناؤوط -. ط١ -. الرياض : دار السلام، ١٤١٣هـ .

١١- التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي -. ط٣ -. بيروت : دار إحياء التراث العربي.

١٢- تفسير المراغي لأحمد بن مصطفى المراغي -. بيروت : دار إحياء التراث العربي.

١٣- تفسير النسفي للإمام أبي البركات عبدالله النسفي -. دار الكتاب العربي، ١٤٠٨هـ .

١٤- التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني -. ط٣ -. بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ .

١٥- تناسق الدرر في تناسب السور لجلال الدين السيوطي؛ تحقيق عبدالله محمد الدرويش -. ط٢ -. بيروت : عالم الكتب، ١٤٠٨هـ .

١٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري -. ط٣ -. مصر : مطبعة البابي الحلبي وأولاده.

١٧- دراسات حول الإعجاز البياني في القرآن الكريم للمحمدي عبدالعزيز الحناوي -. ط١ -. دار الطباعة المحمدية، ١٤٠٤هـ .

١٨- دلائل الإعجاز لعبدالقاهر الجرجاني؛ تحقيق محمود شاكر -. ط٣ -. جدة : دار المدني، ١٤١٣هـ .

١٩- الصناعتين لأبي هلال العسكري؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، و علي محمد البجاوي -. ط٢ -. دار الفكر العربي.

٢٠- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير لمحمد ابن علي الشوكاني -. بيروت : دار الفكر، ١٤٠٣هـ .

٢١- في ظلال القرآن لسيد قطب -. ط١٢ -. جدة : دار العلم للطباعة والنشر، ١٤٠٦هـ .

٢٢- الكشاف في حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم جار الله محمود الزمخشري -. مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٩٢هـ .

٢٣- مباحث في إعجاز القرآن لمصطفى مسلم -. ط١ -. جدة : دار المنارة، ١٤٠٨هـ.

٢٤- مباحث في علوم القرآن لمناع القطان -. ط١٨ -. بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ.

٢٥- محاسن التأويل لجمال الدين القاسمي؛ علق عليه وخرّج آياته وأحاديثه محمد فؤاد عبدالباقي٠- بيروت : دار إحياء الكتب العلمية.

٢٦- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد بن عطية الأندلسي؛ تحقيق عبدالسلام عبد الشافي محمد ٠- ط١ ٠- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ .

٢٧- معالم التنزيل للبغوي إعداد وتحقيق خالد عبدالرحمن العك، ومروان سوار ٠- ط٢ ٠- بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٧هـ .

٢٨- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسن بن فارس؛ تحقيق عبدالسلام هارون ٠- ط١ ٠- بيروت : دار الجيل، ١٤١١هـ .

٢٩- مفتاح العلوم لأبي يعقوب السكاكي ٠- بيروت : المكتبة العلمية الجديدة.

٣٠- مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني؛ تحقيق صفوان عدنان٠- ط٢ ٠- دمشق : دار القلم، ١٤١٨هـ .

٣١- النكت في إعجاز القرآن لأبي الحسن الرماني ٠- ط٤ ٠- القاهرة : دار المعارف، طُبع ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن .

الوعي الشعري في مدائح الأعشى

«مدائحه لقيس بن معد يكرب أنموذجاً»

سعد بن عبدالرحمن العريفي
كلية الآداب- قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة الملك سعود - الرياض

ربما كان من أشد أنواع الإساءة إلى الشعر العربي تعريفه بأنه: «قول موزون مقفّى يدل على معنى»[1]، فلفظ (قول) يجعله مجرد كلام شبيه بما يتحدث به العامة في المجالس والباعة في الأسواق، ووصف (موزون مقفّى) يجعل العملية الشعرية عملية آلية لا يُشترط فيها تجويد الكلام والعناية بصناعة الجمل وانتقاء الألفاظ، بل يكفي فيها صبّ العناية على الوزن والقافية فقط دون التدقيق في نوع هذا الكلام المقول ومستواه، المهم أن يكون موزوناً مقفىً ليدخل باب الشعر. ثم تأتي الجملة الأخيرة في ذلك التعريف الجائر لتقول: (يدل على معنى)، وفي الحقيقة لا تُعرف كلمة لا تدل على معنى، حتى إن حديث الصبيان كلام دال على معنى، وبهذا لا يصح جعل هذه الجملة شرطاً للتفريق بين كلام يكون شعراً وكلام لا يكون كذلك، ولا جعلها قيداً للشعر، لأنها مربكة للمراد منه، حائلة دون استيضاح الدلالة الدقيقة لمصطلح الشعر، بل إنها أزالت الحدود بينه وبين غيره من أنواع القول لاشتراكهما في الدلالة على معنى[2].

ومن المقرر أن شرط وضع تعريف للمصطلح، أي مصطلح، أن يكون جامعاً مانعاً، أي جامعاً لصفات الشيء المعرَّف، مانعاً لاشتراك غيره معه فيه، وهذا ما لم يتحقق في التعريف السابق، ولذلك تناوله ابن خلدون بالاعتراض عليه في مقدمته عارضاً الحد الصحيح للشعر[3].

إن للتركيب الشعري خصوصية ليست لغيره من كل أنواع القول، وهي خصوصية تغطي كل جوانبه، اللفظية والأسلوبية والبنائية والدلالية، وهذا يؤكد أنه نمط مختلف من القول، وصورة فريدة من صور الكلام، إنه عمل لغوي عقلي معقّد. ولعل من أقدم الإشارات الدالة على خصوصية التركيب الشعري ومباينته لكل أنواع الكلام الأخرى ما ورد في الآية (٦٩) من سورة (يس): ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾، فهذه الآية «تستلزم

بالضرورة وجود نوع من الصنعة التي تميز الأسلوب الشعري»[٤]. ومن هنا فإن الشعر يختلف عن غيره من ضروب الكلام بحاجته إلى جهد لغوي وعقلي في بنائه وتجويده، وهذا يجعل الغاية منه غير محصورة في حمل المعنى السطحي المجرد، بل تتجاوز ذلك إلى احتواء المشاعر والفيض بالأحاسيس، والقدرة على تحريكها أو استثارتها لدى المتلقي، وهذا يعني أنه نظام لغوي جديد مبتكر، متمرد على النظام المألوف، لا يلتزم بالقوانين المتبعة في توظيف الكلمة أو تركيب الجملة، ويأتي للسامع بما ليس له به عهد.

وبسبب هذه الخصوصية في التركيب الشعري فإنه يتخطى كونه «أداة اتصالية بالمعنى الحر في الضيق لهذه المفردة، فهو لغة متفوقة، أو لغة استعادت ماهيتها الإنسانية الحقيقية»[٥]. ويختار بعض الباحثين وصف هذه الناحية المتعلقة بخصوصية التركيب الشعري بأنها «لعب لغوي، سواء أكان لعباً ضرورياً تحتمه إمكانات اللغة المحدودة، أم كان لعباً اختيارياً، ومهما يكن نوعه فإنه يجب الانتباه إليه من قبل المتلقي والتساؤل عن مغزاه ومعناه»[٦].

وبهذا يتأكد أننا حين نتصدى لنص شعري في محاولة لتحليله والنفاذ إلى جوهره وتلمُّس شبكة علاقاته الداخلية فإننا نكون في مواجهة مع معمار لغوي معقّد، أو مع قطعة أدبية تمثل خَلْقاً جديداً للغة، وتوظيفاً غير مألوف للكلمة، يتبعه نمط فريد في تركيب الجملة وبناء مكوناتها[٧].

وإنما كان البدء بهذه المقدمة التي تناولت الطبيعة المختلفة للتأليف الشعري تمهيداً للمهمة التي يهدف إليها هذا البحث، وهي النفاذ إلى جزء من عالم مدائح الأعشى الشاعر الكبير، وتأمل طبيعة التكوين اللغوي والأسلوبي فيها، والوقوف على الحلقات الواصلة بين مختلف شرائح نصوصها، والطابع العام الذي يميز كل شريحة، ومدى انسجام كل ذلك مع الموضوع الرئيس للقصيدة، وقدر تجاذبه مع روح الأعشى في أثناء لحظة البثّ الشعري.

وليس هذا هو كل ما يهدف إليه هذا البحث، فهناك غاية أخرى له تتمثل في محاولة الكشف عن مستوى الجودة في النص كله، هل هو على درجة واحدة، أم أن مقطع المديح فيه هو الأعلى والأكثر إجادة بسبب كونه الرسالة التي يؤمل الأعشى من ورائها نتيجة، بخلاف مقطع الأطلال أو الناقة أو الغزل أو الرحلة أو الراحلة، فهذه كلها ليست مديحاً، بل هي رسوم متبعة في نظام القصيدة العربية القديمة، فهل كان الأعشى يعتني بهذه المقاطع أيضاً عنايته بالمقطع الرئيس الهادف إلى نيل العطاء؟ أم كان يمر عليها سريعاً لملء فراغات النص بما تفترضه طبيعة المرحلة الجاهلية وتوقعات أو رغبات المتلقين، ثم يصب كل عنايته ومهارته الشعرية في مقطع المديح ليكون قطعة فنية ساحرة تفلح في اقتناص إعجاب الممدوح ثم ماله بعد ذلك؟

إن الواقع يؤكد أن النجاح في اقتناص نفسية الممدوح والسيطرة على مشاعره عملية شاقة تستلزم مستوى رفيعاً من الصناعة الشعرية التي يتحقق فيها شيء من مفهوم السحر الذي يسلب قلب الممدوح ويجعله منساقاً لرغبة المادح، حريصاً على إرضائه، بل والمبالغة في ذلك، والشاعر القدير يستطيع تحويل شعره إلى عمل سحري يخلب لب الممدوح، ولهذا جاء في الأثر: «إن من البيان لسحرا»[٨]. ويُروى أيضاً في

السياق نفسه أن «عمر بن عبدالعزيز قال لرجل أحسن في طلب حاجة وتأتّى لها بكلام وجيز ومنطق حسن: هذا والله السحر الحلال»[٩]. وما يؤكد قدرة الكلام البليغ على امتلاك مشاعر السامع وكسب هواه إلى حد قَلْب ثورته إلى سكينة، وهيجانه إلى هدوء، وغضبه إلى رضى، ما رواه الجاحظ بقوله: «ضرب الحجاج أعناق أسرى، فلما قدَّموا إليه رجلاً لتُضرب عنقه قال: والله لئن كنا أسأنا في الذنب فما أحسنتَ في العفو. فقال الحجاج: أفٍّ لهذه الجيف، أما كان فيها أحد يحسن مثل هذا الكلام. وأمسك عن قتله»[١٠].

ولقد تجلّت هذه الخاصية السحرية في اللغة لدى بعض الجهابذة من العلماء الذين أُوتوا من صفاء الفكر ورهافة الحس ما أعانهم على استجلاء سحرها، والوقوف على قدرتها الفاعلة على هز النفس البشرية والعصف بميولها وأهوائها، ولم يجد هؤلاء وصفاً لفعل اللغة هذا أدق ولا أصدق من كونه سحراً. فهذا ابن جني، العالم اللغوي القدير، الذي شرَّح اللغة واعتنى عناية بالغة بطبيعة بناء ألفاظها وتركيب حروفها، يقول: «إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة، الكريمة اللطيفة، وجدت فيها من الحكمة والرقة، والإرهاف والدقة ما يملك عليّ جانب الفكر، حتى يكاد يطمح به أمام غلْوة السحر»[١١]. ويمضي ابن جني في هذا السياق الذي يؤكد فيه القدرة السحرية للغة بالإشارة إلى أن لغة العرب بخلاف غيرها من اللغات، وحيٌ من الله عز وجل[١٢].

وهذه الفكرة نفسها يتناولها عبدالقاهر الجرجاني في محاولة منه لتفسير الهزة التي تظهر على الممدوحين لحظة الاستماع إلى الشعر المقول فيهم، مستعيناً على بيان ذلك بالتصاوير العجيبة الرائعة التي يتأملها الناظر، والصور المنحوتة، والنقوش الجميلة، ليقول بعد ذلك: «فكما أن تلك تعجب وتخلب، وتروق وتؤنق، وتدخل النفس من مشاهدتها حال غريبة لم تكن قبل رؤيتها، ويغشاها ضرب من الفتنة، لا ينكر مكانه، ولا يخفى شأنه... كذلك حكم الشعر فيما يصنعه من الصور، ويُشكله من البدع، ويوقعه في النفوس من المعاني»[١٣].

وأشار بعض الباحثين في سياق حديثه عن هذه الناحية إلى أن لغة العرب فريدة في هذا الشأن، فامتلاك قلوب السامعين بجودة التركيب وروعة الصناعة اللغوية لا يوجد في لغة أخرى غير العربية، يقول: «فما من لغة أخرى غير العربية تبدو قادرة على التأثير في نفوس متكلِّميها إلى هذا الحد الذي لا يمكن مقاومته»[١٤].

ولقد كان الأعشى يستثمر هذه الخاصية في لغة العرب أحسن استثمار، مستعيناً على ذلك بما أُوتي من الفصاحة والتمكن وثراء المعجم اللغوي، ولذا كان كثيراً ما يصيب ممدوحيه بسحر شعره فيجعلهم يهتزون له ويطربون فيغدقون عليه العطاء بصورة مبالغ فيها أحياناً توحي -بالنظر إلى كمية العطاء- أن المعطي في حالة غير طبيعية بتأثير ذلك القول الشعري، حتى كأنه واقع تحت سحر هذا المنشد الواقف بين يديه، منساق لرغباته، حريص على إرضائه بكل وجه، كما حصل هذا له مع سلامة ذي فائش حين أنشده مديحه فيه فصب عليه سلامة العطاء صباً، يقول الأعشى متحدثاً عن حجم هذه العطية: «أمر لي بمائة من الإبل، وكساني حُللاً، وأعطاني كرشاً مدبوغة مملوءة عنبراً، وقال: إياك أن تُخدع عما فيها. فأتيت الحيرة فبعتها بثلاثمائة ناقة حمراء»[١٥]. وهذا القدر من العطاء يعكس قدراً

موازياً من التأثر بالقول الشعري والوقوع تحت سلطة سحره والانقياد إلى رغبات المادح، مع حرص واضح على إرضائه، وهذه صورة جلية من صور السحر.

إن الشاعر بهذه القدرة السحرية يتربع على عرش من القوة اللغوية، فكما أن الممدوح يتربع على عرش المُلك سيداً على من تحته، فكذلك الشاعر يتربع على عرش اللغة سيداً على الكلمات، متحكماً في نفوس الممدوحين، قابضاً بقوة لغته على مشاعرهم يوجهها نحو غاياته، وكما أن المُلك قوة فإن اللغة قوة أيضاً، إذ للغة «قوة لا يُستهان بها، ولها سلطان على أصحابها. وهذه القوة تأتي من مصدرين، أحدهما التكوين النسقي للغة في نظامها الدلالي، والآخر كونها أداة سهلة للتطويع لجذب الآخرين إلى بعض الأفكار، وجعلهم ينقادون إلى ما يريده أولئك الذين يستغلون قوتها»(١٦).

وكان الأعشى في هذه الناحية سلطاناً قديراً بروعة بناء مدائحه التي منحتْه القوة بين يدي ممدوحيه، والسيطرة على أهوائهم، والتحكم في أموالهم، ولم يكن الأعشى كذلك إلا بقدراته الفذة في حسن المفاضلة بين الكلمات، وجودة سبك العبارات، وإحكام نظم الجمل، فما كل من نطق الشعر يصير سلطاناً على اللغة أو قادراً على سحر السامعين.

ولقد أعان الأعشى على النفاذ إلى قلوب من يقف بين يديهم بشعره أنه يُسمعهم ضرباً من الكلام تميل إليه النفس البشرية بفطرتها، وتأنس له، وترتاح لسماعه، ألا وهو المديح الذي يعد «مُلطِّفاً للطباع والمزاج بما يتركه من أثر عميق في النفوس...ويذهب سيرة حسنة بين الناس يحاولون تمثّلها وتقليدها، ويطلبونها، ويشجعون عليها، ويكافئون»(١٧). فإذا اجتمع للأعشى مع هذا جودة النظم ودقة الاختيار وروعة التركيب كانت نتيجة قوله الشعري متوجهة على الأغلب نحو نجاح الغاية وفرض السلطان على الممدوح.

وربما تحسن الإشارة هنا إلى أن الأعشى كان يتجه نحو المديح بدافع واحد من عوامل ثلاثة: الأول الرغبة في المال، وفي قصائد هذا الضرب لم يكن يطلب المال صراحة بل يكتفي بالتعريض به والتوسع في معاني المديح، لإرضاء الممدوح وملئه إعجاباً بذاته ورضى بشخصيته. والعامل الثاني هو الإعجاب والحب الصادق. أما الثالث فهو التوسل بالمديح في مهمة قبلية كفكِّ بعض أسرى قومه، أو طلب التحالف مع زعيم له شأن وقوة لتعزيز موقف قبيلته داخل نسيج المجتمع الجاهلي.

وفي هذا البحث لن يكون محور الرحى هو معاني المديح عند الأعشى، أو معجمه المدحي، أو صور البناء الأسلوبي لديه، بل سيتوجه الحديث نحو شأن آخر لا يقف عند جزئيات النص، أو يتناول مقطعاً منه دون آخر، بل سيلقي نظرة شمولية فاحصة على القصيدة كاملة لاستجلاء الوعي الشعري لدى الأعشى في بناء أفكار قصيدته وهندسة معمارها، بدءاً من أول شريحة في النص سواء أكانت غزلية أم طللية، ومروراً بمقطع الرحلة، وانتهاء بغرض الأعشى الرئيس وهو المديح، هذه المقاطع المتنوعة ستُنظم في سلك واحد للوقوف على مدى تناغمها وتجانسها، وقدر صدورها عن موقف واحد، ومستوى تأثرها بنفسية الأعشى وانعكاس مشاعره على قصيدته ومعانيها وأفكارها واختياراته اللغوية لها، ومدى بروز ذلك كله في شرائح النص كافة .

والواقع أن هذا المنهج في تناول النص الشعري منهج أنتجتْه كثافة الدراسات الأدبية في عصرنا هذا،

مع تباين كبير بينها في مستوى التناول، وزاوية الرؤية، واختلاف درجة التركيز على مقطع في النص دون آخر، وفي هذا البحث ستكون درجة العمق التحليلي واحدة في كل مقاطع النص بهدف الوصول إلى غاية البحث وهي إبراز قدر الوعي الشعري لدى الأعشى في بناء مدائحه، وكيف كانت عنايته في إجادة مقاطع القصيدة المدحية، وإحكام شرائحها المختلفة الموضوعات، انتهاءً إلى إنتاج نص كامل متوازن يجسد موقفاً واحداً برغم تعدد شرائحه، ويعبر عن نفسية واحدة، ويتلون بلون شعوري واحد يسيطر على الأعشى لحظة البث الشعري.

وبتتبّع مناهج النقاد الأوائل وعلماء اللغة قديماً في تناول النصوص الشعرية يتبين أنها كانت قائمة على العناية بالجزء لا الكل، بل وتتجاوز ذلك أحياناً إلى الإغراق في تفتيت النص بإطالة الوقوف عند أصغر وحدة فيه وهي الكلمة، ولم يكن التناول في الحالين يتخطى معنى البيت، أو معنى الكلمة، أما النظرة الشمولية إلى النص كاملاً، وربْط أوله بآخره، ومحاولة استجلاء نفسية قائله، وأثر موقف الشاعر على كل مقاطع النص، وتفسير الإشارات الرمزية الواردة فيه، فهو منهج لا تكاد تجد له أثراً في تراثنا النقدي واللغوي.

وفي رحلة التفتيش عن خيوط هذا المنهج في آثار علمائنا الأوائل هناك إشارة ربما تكون هي الأقدم في الخروج على منهج التناول السائد في تلك المرحلة القائم على التفسير والشرح، وهي إشارة يسجل بها صاحبها الأصمعي ريادة في اقتناص رموز الشعراء واستظهار مكنونات نفوسهم من خلال معاني شعرهم، جاء هذا في الخبر الذي رواه المرزباني بقوله: «أخبرني محمد بن يحيى قال: حدثنا محمد بن يزيد النحوي، قال حدثنا المازني، قال سمعت الأصمعي يقول: كان امرؤ القيس ينوح على أبيه حيث يقول:

رُبَّ رامٍ من بني ثُعلٍ
مخرجٍ زنديه من سُترَهْ

ثم قال: أما علمَ أن الصائد أشد ختْلاً من أن يُظهر شيئاً منه ؟» [18].

ولو أن نقاد الشعر الأوائل وجهوا شطراً من اهتمامهم في تناول الشعر إلى محاولة الإجابة عن (لماذا؟) أكثر من التركيز على الإجابة عن (ماذا؟) لوصلت إلينا نفائس نقدية وتحليلية رائعة، ولكن هذا لم يكن، لأن العناية انصبت على ما يوجد في النص فقط فاكتفت بالإجابة على ماذا يعني هذا البيت؟ وماذا تعني هذه الكلمة؟ وليتهم تجاوزوا ذلك إلى لماذا ساق الشاعر هذا البيت؟ ولماذا اختار هذه الكلمة دون سواها؟ ومعلوم أن إجابة مثل هذه التساؤلات لا تقع داخل النص بل خارجه، وتتطلب تتبع خيوط نسيجه والتفتيش في صلاتها بالمنشئ نفسه وموقفه ساعة الإنشاد.

ويُحسب لابن قتيبة أنه فتح باباً لمن جاؤوا بعده يخرجون به من الأفق الضيق للمنهج القائم على الشرح والتفسير إلى التحليق في فضاءات النص الرحبة، إلا أن النقاد من بعده لم يستثمروا هذا الفتح منه أو يتوسعوا فيه فيوظفوه على النصوص الشعرية، بل اكتفوا بإعادة ما قال في إطار تنظيري فقط، وابن قتيبة نفسه لم يبعد كثيراً في ساحة هذا الباب الذي فتحه. وأعني بذلك إشارة ابن قتيبة إلى أن الهدف الذي يرمي إليه الشاعر المادح من وراء نسيبه، ووَصْف وجْده وشوقه وفرط صبابته، ثم الحديث عن عنائه في رحلته، إنما هو استحثاث الممدوح على المكافأة [19]. فهذه اللفتة من ابن

قتيبة تعد منعطفاً نحو نسق جديد في التناول الشعري يهتم بالإجابة عن (لماذا) دون (ماذا)، إلا أنه منعطف لم يتعزز على مستوى التطبيق، ومع ذلك صار علامة فارقة في تاريخ النقد العربي، ومحط اهتمام الدارسين المتأخرين، بل والمستشرقين أيضاً، حتى إنه «سيطر على البحث في الغرب منذ أن ترجمه وعلّق عليه نولدكه عام ١٨٦٤م حتى الآن، وليس هناك استعراض عام للشعر العربي، ولا كتاب أو بحث إلا وقد اقتبس هذا النص، أو أشار إليه، أو على الأقل ارتضى ضمناً أن يكون قد شكّل القاعدة المرجعية الموثوقة في تأليف عناصر النوع الأسلوبي للقصيدة»[٢٠].

وأتى بعد ابن قتيبة أبو هلال العسكري فاكتفى بإعادة جانب من فكرة ابن قتيبة في سياق حديثه عن مبادئ الكلام ومقاطعه، منبهاً الشعراء على التحرز من ذكر ما يُتطيَّر منه في مدائحهم[٢١]. ثم جاء بعده ابن رشيق فكرر ما قاله سلفه ابن قتيبة دون محاولة منه لتوسيع الفكرة أو تثميرها، إذ قال: «والعادة أن يذكر الشاعر ما قطع من المفاوز، وما أنضى من الركائب، وما تجشّم من هول الليل وسهره، وطول النهار وهجيره، وقلة الماء وغؤوره، ثم يخرج إلى مدح المقصود، ليوجب عليه حق القصد، وذمام القاصد، ويستحق منه المكافأة»[٢٢].

وهذه الإشارات بدءاً من ابن قتيبة ومروراً بالعسكري وانتهاءً بابن رشيق، تعد مع ضيق المساحة التي تحركت فيها بذوراً لمنهج جديد في التحليل الشعري يتجاوز إطار النص إلى خارجه لاستثمار معطيات نفسية وتاريخية في فهم النص ومعرفة دوافعه ودواخله. وهذا البحث لن يكتفي بالتحرك داخل إطار هذه الدائرة فحسب، بل سيتخطاها إلى ربط كل شرائح النص في سارية واحدة، وإبراز أثر الموقف الشعري على كل شريحة، وإظهار ملامح نفسية الشاعر «الأعشى» في كل مقطع بألفاظه المختارة، ومعانيه المنتقاة، ليظهر في النهاية أن القصيدة كلها بتعدد شرائحها تجسد موقفاً واحداً، وحالة واحدة، ونَفَساً واحداً لا يتغير مع تغير موضوعات القصيدة.

ولقد كان أول ما استلفت النظر في مرحلة استعراض مدائح الأعشى وتأمل مقاطعها وألفاظها ومعانيها، مهارته الفائقة في تكييف الجو العام للقصيدة وفق هوى الممدوح، فكان بذكائه الشعري وخبرته اللغوية ودقة تمييزه بين فنون القول يسوق القصيدة سوقاً نحو الجهة التي يعلم أنها تملأ نفس الممدوح إعجاباً ورضى، فهاهو حين وقف بين يدي الأسود بن المنذر اللخمي يمدحه جعل النص كله غناءً بقوة الممدوح، وحديثاً عن شدة بطشه، وانخذال خصومه عنه، فكانت القصيدة في جوها العام معركة تعلو فيها أصوات طبول النصر والانتشاء والغلبة، فلماذا وجه الأعشى قصيدته نحو هذه الوجهة؟ لأن وعيه الشعري كان يدرك أن القصيدة إن لم تتجه نحو هذا المسار فلن تفلح في نيل غايتها وهي فكاك أسرى قومه من الأسود اللخمي، فكان تغنّيه بقوة الأسود وشجاعته وشدة قهره اعترافاً ضمنياً له بالغلبة، واعتذاراً عن الأسرى لتطاولهم على من هذه صفته. والشواهد على هذا الوعي الشعري عند الأعشى كثيرة جداً سيُبسط القول فيها لاحقاً في هذا البحث.

وإذا كان الأعشى قد جسّد هذا الوعي فنياً دون أن يصرح به، فإن شعراء آخرين أتوا بعده قد أعلنوا صراحة أنهم يصنعون مدائحهم حسب مراد الممدوح،

وربما لو أدرك الأعشى زمن التدوين لحفظ له التاريخ مرويات تؤكد عنايته بصب مدائحه وفق تكوين شخصية الممدوح وطبيعته. وفي هذا السياق روى ابن قتيبة خبراً عن حماد الرواية جاء فيه: «قال لي كثيِّر: شخصتُ أنا والأحوص ونصيب إلى عمر بن عبدالعزيز ... فأقمنا عنده أربعة أشهر ... فلم يُؤذن لنا إلى أن قلت: ... لو أني دنوت من عمر فسمعت كلامه فتحفَّظته كان ذلك رأياً، ففلعت، فكان ما حفظت من قوله يومئذ: لكل سفر زاد لا محالة، فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة التقوى... وانصرفت إلى صاحبيَّ فقلت لهما: خذا في شرج من الشعر غير ما كنا نقوله لعمر وآبائه، فإن الرجل أخروي ليس بدنيوي...» [٢٣].

وإذا كان الموقف الذي مرّ به كثيِّر استدعى توجيه القصيدة من ناحية المعاني وفق مراد الخليفة، فإن بشار بن برد قد حمله وعيه الشعري على توجيه ألفاظ قصيدته المدحية لا معانيها نحو الجهة التي تروق لممدوحه سلم بن قتيبة والي البصرة، فقد جاء في الأغاني أن خلف بن أبي عمرو بن العلاء وخلف الأحمر أتيا بشاراً يوماً فقالا له: «ما هذه القصيدة التي أحدثْتَها في سلم بن قتيبة؟ قال: هي التي بلغتكما، قالا: بلغنا أنك أكثرتَ فيها من الغريب، فقال: نعم، بلغني أن سلماً يتباصر بالغريب فأحببت أن أورد عليه ما لا يعرفه. قالا: فأنشِدْناها، فأنشَدَهما:

بكّرا صاحبيَّ قبل الهجيرِ

إن ذاك النجاح في التبكيرِ

حتى فرغ منها. فقال له خلف: لو قلتَ يا أبا معاذ مكان (إن ذاك النجاح): بكّرا فالنجاح في التبكير، كان أحسن. فقال بشار: بنيتُها أعرابية وحشية ... ولو قلتُ: (بكّرا فالنجاح) كان هذا من كلام المولدين...» [٢٤].

هذه النصوص وغيرها في تاريخنا الأدبي تثبت أن قصيدة المديح ليست مساراً واحداً، أو باباً فرداً يدخل منه كل مادح، بل هي فضاء رحب يزدحم بألوان مدحية مختلفة، وطبقات متباينة من القول تستدعيها طبيعة الموقف الشعري، وتنوّع شخصيات الممدوحين، واختلاف أمزجتهم.

والحقيقة أن التحدي الذي كان يواجه شاعرنا الأعشى، بل وكل شاعر مادح، لم يكن ينحصر في صعوبة معرفة هوى الممدوح وتوجّهاته ورغباته لتكييف النص وفقها، بل كانت هناك ناحية أخرى لا تقل عن هذه صعوبة، ألا وهي مشقة التجديد في معاني المديح التي استهلكها الشعراء بكثرة الاستخدام حتى لم يعد يجد الشاعر المادح شيئاً جديداً يمكن أن يمدح به غير تكرار ما يمدح به الشعراء عادة كالكرم والشجاعة والعقل والحكمة والعفو والعدل وغيرها، وهو ما جمعه قدامة بن جعفر في أربع صفات هي العقل والشجاعة والعدل والعفة، وجعل تحت كل صفة حزمة من السجايا تتبعها [٢٥].

ولعل أبرز الأمثلة وأشهرها على ضيق المعاني أمام الشعراء يتجلى في صورة التلقي الاحتفالية التي استقبل بها نقاد الشعر ببيتَيْ عنترة بن شداد في وصف الذباب، إذ كانت مبنية على الحفاوة والإطراء، والإقرار له بالفضل والسبق، والاعتراف له بالتفرد في سبك هذا المعنى الذي بذَّ به الشعراء جميعاً في قوله:

فترى الذباب بها يغني وحده

غَرِداً يُسنُّ ذراعَه بذراعِه

هَزِجاً كفعلِ الشاربِ المترنّمِ

فِعْلَ المُكِبِّ على الزنادِ الأجذمِ [٢٦]

فالجاحظ قبل أن يسوق هذين البيتين أورد ما نصه: «قالوا: لم يدع الأول للآخر معنى شريفاً ولا لفظاً بهياً إلا أخذه، إلا بيت عنترة...»[٢٧] . وقال في مصنف آخر: «غلب عنترة على قوله: [فأورد البيتين ثم قال:] فلو أن امرأ القيس عرض في هذا المعنى لعنترة لافتُضِح»[٢٨] . ويأتي ابن رشيق بعد ذلك سائراً على هذا الطريق نفسه من الحفاوة بالشاعر وبيتَيْه فيقول: «ومن التشبيهات عُقْم لم يُسبق أصحابها إليها، ولا تعدّى أحدٌ بعدهم عليها ... نحو قول عنترة العبسي يصف ذباب الروض...»[٢٩] .

فهذه الحفاوة من هؤلاء العلماء ببيتَي عنترة دليل بيِّن على ضيق المعاني أمام الشعراء، وعسر ابتكار معنى جديد منذ ذلك الزمن المتقدم، زمن عنترة، فكيف بزمن الأعشى ومن جاؤوا بعده؟ فالأول لم يدع للآخر شيئاً - على حد قول الجاحظ - ولذا فالمهمة أمام الأعشى في مديحه عسيرة، إذ يجب عليه توليد المعاني وتفتيق الأفكار لإبهار سامعه بما ليس له به عهد، علماً بأن هذا المسلك الابتكاري في غرض المديح خاصة ربما لا يعد شرطاً لازماً فيه، أو جسراً وحيداً يوصل لمكافأة الممدوح، لأن المديح بطبيعته محبَّب إلى النفوس، مرغوب إلى القلوب، يطرب له سامعه، ويلتذّ بما فيه من إطراء له حتى ولو كان ما يسمعه قد تكرر عليه كثيراً، لأن النفس في العادة لا تمل من تغني الآخرين بسجاياها، وتشعر في كل مرة أنها تسمعه لأول مرة، ولذا فإن الممدوح لا يميل إلى أمر المادح بالتوقف بل يواصل الاستماع إليه بطرب ورضى وابتهاج.

وقبل تجاوز هذا الموضوع ربما يحسُن التوقف قليلاً عند بيتَيْ عنترة اللذين طار بهما النقاد وعدوا صاحبهما قد غلب غيره بهما، كما قال الجاحظ، وصار من أصحاب التشبيهات العقم التي لم يُسبق إليها ولم يلحقه أحد فيها، كما قال ابن رشيق، فبتأمل هذا المعنى الذي تميز به عنترة عند النقاد نجده في الواقع معنى ساقطاً سخيفاً، فأي ميزة أو جمال أو حسنٍ في وصف حشرة حقيرة مستقذَرة تحك ذراعاً بذراع؟ وهي الحشرة التي يقول فيها الجاحظ: «لا شيء أقذر من الذباب»[٣٠] . وفي الذباب يقول أيضاً: «والذباب أقذر ما طار ومشى»[٣١] . ويصفه بقوله: «والذباب يُضرب بها المثل في القذر وفي استطابة النتن»[٣٢] . بل ويبلغ بها حد استطابة النتن أنها: «لو رأتْ عسلاً وقذراً لكانت إلى القذر أسرع»[٣٣] .

وليس أحد في زماننا هذا ولا في أي زمن مضى يرى الذباب إلا حقيراً كريهاً، يُتأفَّف منه، ويُطرد باليد وبالثوب، ولا يجلب مَرآه إلا الضيق والتبرّم، وتُكره المجالس بسببه، ولكل ذلك فإن هذا المعنى الذي سقط عليه، أو سقط فيه عنترة، فصار لأجله عند أصحاب النظر بالشعر سابقاً إليه ومتفرداً فيه، إنما هو في الحقيقة معنى لم تخطئه عيون الشعراء فيما يُقدَّر، ولم يفتْ حاستهم الشعرية، ولاسيما أن الذباب يخالط الناس في حياتهم وفي مساكنهم، فهو ليس خافٍ على أحد، وصورة حكه ذراعه بذراعه مألوفة مشهورة، بل لا يُرى الذباب عادة إلا كذلك، ولكن الشعراء فيما يظهر ترفعوا بشعرهم وبذواتهم عن الانحدار إلى هذا الدرك بوصف حشرة منبوذة مستكرهة، في حين لم يجد عنترة، وهو العبد الحبشي، حَرجاً في النزول بشعره إلى هذا الحد، ولم يجد ممانعة في نفسه من إفساح مساحة في شعره لهذه الحشرة التي وجد شعراء بكر وتميم وتغلب وطيِّئ وأسد وغيرهم من شعراء القبائل العربية العريقة

حواجز منيعة تحول دون الانحدار بالشعر وبالنفس إلى هذا المستوى المتدني.

وبعد هذا الاستطراد الموجز، الذي ربما يكون مهماً في السياق الذي ورد فيه، يعود الحديث إلى أزمة الشاعر، وهو الأعشى في هذا البحث، وضيق المعاني أمامه وعسر التوليد فيها، وخصوصاً في غرض المديح الذي تكاد تكون معانيه متفقة عند الشعراء، فبأي شيء يستطيع الأعشى الثناء على ممدوحيه بغير الشجاعة والكرم وتمام العقل والحكمة وغيرها مما جمعه النقاد تحت باب الفضائل التي يُمدح بها، وكيف يمكن الاختراع أو التجديد في قائمة هذه الفضائل التي عزف على وترها الشعراء جميعاً منذ بداية التاريخ الشعري؟

إن الأعشى، وهو الشاعر المشهور له بالجودة والبراعة، قد قاده وعيه الشعري إلى الخروج من هذه الأزمة بمهارة فائقة، وذلك أنه أدرك أن تغيير القالب الذي يسكب فيه معاني شعره كفيل بتغيير النظرة إلى تلك المعاني وتحويلها في عملية التلقي إلى معانٍ جديدة تطرب لها النفس وتهشّ لها حتى ولو كانت مكرورة مسبوقة، ولذا ركز الأعشى على هذه الناحية فاعتنى بتجديد ألفاظ قصائده، والابتكار في أوزان شعره، واستحداث صور جديدة من النظم، فكانت مدائحه بهذا التجديد الشكلي حاملة على الاعتقاد بتجديد مماثل على مستوى المضمون، فهو مرة يُدخِل في معمار قصيدته المدحية معجماً ثرياً جديداً من الألفاظ الفارسية غير المألوفة في القصيدة العربية، كما فعل في مدحيته لإياس بن قبيصة الطائي[٣٤]. ونجده مرات يضرب على وتر قافية ذات نغم مختلف تنتهي بحرف ساكن، كما صنع في مدحيته لقيس بن معد يكرب الكندي ذات النون الساكنة[٣٥]، وقصيدته الأخرى فيه ذات الميم الساكنة[٣٦]، وهو الأمر الذي أضفى على الجو العام للقصيدة طابعاً مغايراً، وبعث فيها طابعاً من التجديد الذي يؤنس نفس الممدوح، ويقصّر المسافة بينه وبين المادح، ويستحث يده للسخاء في إعطائه.

وقد وقف بعض علماء اللغة والبلاغة عند أزمة الشاعر في صعوبة التجديد في المعاني فأشاروا إلى أن المخرج له هو إجادة رصف الكلام، وإحسان سبكه، وإحكام نظمه وترتيبه حتى ولو كان المعنى مطروقاً مسبوقاً، فهذا أبو هلال العسكري يقول: «وإذا كان المعنى وسطاً، ورصف الكلام جيداً، كان أحسن موقعاً، وأطيب مستعماً ... وحسن الرصف أن توضع الألفاظ في مواضعها، وتمكّن في أماكنها...»[٣٧]. وهذا القول من العسكري يدل على أن باب الشاعر نحو التجديد إنما يكون بحسن الاختيار والمفاضلة بين الألفاظ، مع الحرص على تلائمها وحسن تجاورها. ويأتي عبدالقاهر الجرجاني بعد العسكري فُيغرق في هذه المسألة ويبسطها بسطاً مطوّلاً في سياق عرضه لنظرية النظم، وكان فيما قال: «وإنك ترى الشاعر قد عمد إلى معنى مبتذل، فصنع فيه ما يصنع الصانع الحاذق إذا هو أغرب في صنعة خاتم وعمل شنف وغيرهما من أصناف الحلي»[٣٨].

ويعدُّ الأعشى أنموذجاً رفيعاً في ركوب هذا المسلك في التجديد، والقدرة على إبراز المعنى المستهلك في صورة مستحدثة حسنة، فمدائحه، مع تأخر زمانه عن شعراء عصره الجاهليين، لوحات فنية رائعة يشعر الواقف أمامها متأملاً أنها فريدة غير مسبوقة في خطوطها وألوانها، «وهذا سر من لطائف أسرار الاختبار الجمالي عند العرب القدماء، تتشابه القصائد وتتعاود المعاني

المدحية، وتظل القصيدة لا تغني عن القصيدة أو تنوب عنها»[٣٩]. ومما ساعد الأعشى على إلباس المعاني المطروقة أردية جديدة تروق النفس وتطرب السمع، نظام اللغة نفسه وقابليته للتجديد والاستحداث، «فاللغة ليست نظاماً هندسياً محكماً، ولو كانت كذلك لتوقفت عن الحياة وخلت من الإبداع ... ولنا أن نسأل: هل انقطع الإبداع الجماعي في العربية بعد القرون الأولى؟ والجواب حسب الواقع أنه لم ينقطع قط، ولم يزل الناطقون بالعربية إلى يوم الناس هذا يزيدون فيها مفردات وتراكيب لم يسمع بها الأوائل»[٤٠].

وعند هذه النقطة ينتهي الحديث في الناحية التنظيرية لهذا البحث ليتحول بنا القول إلى الناحية التطبيقية، وهنا ستُؤخذ مدائح الأعشى بالفحص والتحليل والنفاذ إلى نظامها الداخلي لتلمُّس شبكة العلاقات الرابطة بين شرائح النص، والخيط النفسي أو الشعوري الدقيق الذي ينتظم كل المقاطع، وترتد إليه كل المعاني والصور، لنستجلي بعد كل ذلك قدر الوعي الشعري لدى الأعشى في رسم لوحاته المدحية، وفطنته في اختيار الألفاظ وانتقاء المعاني لفرض سلطانه على الممدوح وامتلاك حسه وهواه، والظفر بعد ذلك بالغاية غير المعلنة في النص وهي استحثاث كرم الممدوح على العطاء.

وحيث إن حدود هذا البحث لا تتسع لاحتواء كل ما قال الأعشى في المديح، ولاسيما أنه كثير يبلغ ثلث ديوانه، فإننا سنكتفي بالوقوف على قصائد منتقاة تصلح لأن تكون نماذج جيدة لتجسيد الوعي الشعري عنده، على أن إبراز هذه الخاصية في شعره لا تستوجب عرض كل مدائحه، فحسبنا إثبات حضورها في عدد من القصائد ليكون الجزء دالاً على الكل، ولتكون النماذج المدروسة تبياناً لواحدة من سمات التفكير الشعري لدى الأعشى، ومهارته الفذة في إنتاج نص شعري ينتظمه نَفَس شعوري واحد مهما تعددت شرائحه أو بلغ عدد أبياته.

وباستعراض سجل المديح في ديوانه تبيَّن أن أبرز مدائحه وأجودها هي تلك التي قالها في ملك اليمن قيس بن معد يكرب، وما يميز مجموعة مدائحه فيه أنها تمثل حالات مختلفة للأعشى، فهو مرة شاب يمتلئ حياة ونشوة وانطلاقاً، ومرة يبدو شيخاً متقدم السن، ومرة يعاني انكساراً نفسياً وضيقاً اجتماعياً، ومرة يهنئ ممدوحه بالنصر، وأخرى يقف بين يديه في مهمة سياسية، متكلماً بلسان قومه. وهذا التنوع في طبيعة المواقف الشعرية يجعل لهذه المجموعة المدحية قوة جاذبة للشغل التحليلي، وقدرة على دفع طاقة التأمل والنظر لاستشفاف أنظمتها الداخلية.

وستكون أولى الوقفات التحليلية في هذا البحث مع القصيدة الثالثة - حسب ترتيب الديوان- التي مدح الأعشى بها قيساً، وفيها يظهر الأعشى في مرحلة الشباب كما يبدو من جوها الداخلي، وكذلك صورها، وخلوها التام من أي إشارة إلى الشيب أو تقدم السن أو التحسر على أيام الشباب، فهو يفتتحها بقوله:

رحلتْ سُميَّةُ غُدوةً أَجمالَها

غَضْبَى عليك فما تقولُ بدا لها[٤١]

وتبرز روح الأعشى الشابة على كل شرائح القصيدة، وطريقة معمارها، فقد جاءت مفعمة بالحركة والانطلاق، والإسهاب في الحديث عن الذات، والتغني بالبطولات الشخصية وهو في حضرة ملك، إذ دفعتْه هذه الروح

الشـابة بطاقتهـا الجارفة إلى الاعتـداد بذاته في موقف لا يحسُن فيه إلا التصـغير من شأنها، وعدم الحديث إلا بشـيء يعمِّق معاني الانكسار والضـعف بين يدي الممدوح وإظهار الحاجة إليه.

وقد بدتْ معالم هذه الروح المنطلقة بدءاً من أول كلمة في القصـيدة: (رحلتْ) الدالة على الحركة لا السـكون، وتتتابـع بعدها ملامح هذه الـروح في كل المقاطع، فهاهي في المقطـع الغـزلي -الـذي لا يبدو فيـه أي طابع للغزل- تبدو واضحة عبر قراءة أبياته التالية:

رحلتْ سُميَّةُ غُدوةً أجمالَها

غَضْبى عليك فما تقول بدا لها

هذا النهار بدا لها من همِّها

ما بالها بالليل زالَ زوالها

سَفَهاً، وما تدري سُميَّةُ ويحها

أنْ رُبَّ غانيةٍ صرمتُ وِصالَها[42]

إن روح الحركـة والانطـلاق تبـدو في هـذا المقطـع على مسـتويي الكم والكيـف، فمن حيث الكـم يظهر أنه مقطع قصـير، أو قصـير جداً، على غير عادة الشعراء، ومنهم الأعشـى في قصـائده الأخرى، الذين يسهبون في الحديث بألم وحرقة عن موقف الانفصـال عن المحبوبة، متعرضـين لوصـف الماضي الخصـيب والحاضر المقفر، والذات المتقطعة ما بين المرحلتين. أما الأعشى فلا يشير هنا إلى أي شـيء من ذلك، بل ولا يُظهِر أي حسـرة على فراق سـمية، وكأن الأمر لا يعني له شيئاً البتة، لدرجة أنْ توجه نحوها بروح الشـاب المكابر يصـغِّر من شـأنها من جهة، ويشـمخ بقامتـه أمامها من جهة أخـرى، حتى عدّ رحيلهـا ذاك (سـفهاً) منها، وهو ما يوحـي بأن الطرف الخاسـر من هذا الرحيل إنما هو سـمية لا هو، ويسـتمر رافعـاً رأسـه معتـدّاً بذاته بالإشـارة إلى أن الصـرم في علاقاتـه العاطفية إنمـا يأتي عادة من طرفـه هو لا من طرف خليلاته:

سَفَهاً، وما تدري سُميَّةُ ويحها

أنْ ربَّ غانيةٍ صرمتُ وِصالَها

ويبـدو أن السـر في هذه الـروح المتعالية إنما يرجع إلى أن الأعشـى لا يـزال في مرحلـة الشـباب، أي أن البدائـل لديـه كثيـرة، فهنـاك غيـر سـمية كثيـرات ينتظرنـه على درب الحياة، ولو كان متقدماً في السـن لمـا رمى بسـمية بهـذه الطريقـة المتعالية، بل سـيُظهِر تشـبّثاً بهـا، وتهالـكاً علـى اسـتمرار الصـلة بهـا، بل وربما قدَّم التنازلات، وتحمَّل الأذى والصـد والهجران في سبيل دوام العلاقة معها.

وتستمر روح الحركة والانطلاق في التدفق في الأبيات التالية لتلك مباشـرة، وفيها يصف واحدة من مغامراته العاطفية، وما أقدم عليه من الترصـد والتسـلّل واقتحام خـدور النسـاء دون مبـالاة بخطـورة الفعل ومـا فيه من تعريض النفس للهلاك في سبيل شهواتها:

فَظَلَلْتُ أرعاها وظلَّ يحوطُها

حتى دنوتُ إذا الظلامُ دنا لَها

فرميتُ غفلةَ عينه عن شاته

فأصبتُ حبةَ قلبها وطحالَها

حفظَ النهارَ وباتَ عنها غافلاً

فخلتْ لصاحبِ لذةٍ وخلا لَها

هذا المقطع قريب الشـبه من صـورة حربية يترصـد فيهـا أحـد الخصـمين للآخر مترقبـاً تراخيـه أو غفلته ليباغته بهجوم خاطف ينال منه، وهذا هو عين ما صـنعه الأعشـى مع صـاحب محبوبته. ولنا أن نتساءل عن سر

انسياب هذه الصورة الحربية هنا؟ والجواب يظهر من معرفة المحور الذي تلتفُّ عليه القصيدة كلها، ألا وهو صورة الحرب، والمبالغة في وصف شجاعة الممدوح قيس بن معد يكرب، والحديث عن بطولاته على أرض المعركة، حتى إن الأعشى لا يكاد يدع هذا المحور في مدحه لقيس إلا ويعود إليه ثانية، فقد مدحه به في الأبيات (٣٢-٣٤) ثم في الأبيات (٣٩-٤٧) وأخيراً في الأبيات (٥١-٥٤)، والحاحه على هذا المعنى يأتي منسجماً مع روحه الشابة المنطلقة التي وجهت القصيدة ومعاني المديح فيها نحو صورة الحرب الملتئمة مع ملامح روحه وطبيعتها، وستأتي شواهد ذلك في المقاطع اللاحقة.

وبعد أن فرغ الأعشى من التغني ببطولته في اقتحام خدور النساء واصل العزف على هذا الوتر متحدثاً عن جودة ما يشرب من الخمر:

وسبيئةٍ مما تعتّقُ بابلٌ

كدمِ الذبيحِ سلبتُها جِرْيالَها[٤٣]

ولعلها لا تفوتنا الإشارة إلى صورة الدم في قوله: (كدم الذبيح) المنتزعة من معجم الحرب المسيطر على خيال الأعشى لانشغاله بوصف شجاعة قيس وشدة قهره للخصوم وقتلهم.

ثم يتغنّى الأعشى بعد ذلك بجودة شعره قائلاً:

وغريبةٍ تأتي الملوكَ حكيمة

قد قلتُها ليقالَ من ذا قالها[٤٤]

وينتقل بعد ذلك انتقالاً لافتاً للحديث عن كرمه وإقدامه على نحر الإبل إكراماً لندمائه:

وجزورِ أيسارٍ دعوتُ لحتفها

ونياطِ مقفرةٍ أخافُ ضلالَها[٤٥]

والعادة ألا يتحدث الشاعر عن كرمه إطلاقاً إذا كان في موقف مدحي، لأنه بذلك يزاحم الممدوح في صفاته ولا يجعله متفرداً بها، الأمر الذي سيؤثر بلا شك على استحثاثه على العطاء، إلا أن روح الأعشى المنطلقة في قصيدته هذه أدت إلى اختراقه هذا الحاجز، أو أن انغماسه فكرياً في جو الحرب والقتل الذي بالغ في إضفائه على ممدوحه قد أدى إلى استدعاء هذا المعنى القائم على صورة (الذبح)، ذبح الجزور للأقران.

ولا ينقطع نَفَس التغني بالذات بين يدي الممدوح عند هذا الحد، بل يواصل الأعشى بعد ذلك الحديث عن بطولته في اعتساف الصحراء واختراق امتدادها الموحش وهو صلب متماسك لا يهزه شيء، في الوقت الذي تتهدم فيه ناقته ويدركها الهزال لطول الرحلة وشدة مشقتها وإرهاقها:

فتركتُها بعد المِراح رذيةً

وأمنتُ بعد ركوبها إعجالَها[٤٦]

وهنا ربما استوقفنا التساؤل عن سر حصر الأعشى حديثه عن مشقة الرحلة على ناقته فقط وإهماله المتعمد الحديث عن مشقتها عليه هو؟ ولعل إجابة هذا التساؤل تعود إلى رغبة الأعشى في إبراز قوته هو، وهو الشاب المملوء طاقة وقوة، فإذا كانت الرحلة قد أضرّت بناقته، وهي الحيوان المعروف بتحمّل الصحراء ومقاومة ظروفها العسيرة، في حين لم تتمكن من الإضرار به، فإن هذا يحمل مؤشراً على صلابته هو التي فاقت قوة الناقة، فقد سلِم مما لم تسلم منه هي من الهزال والضعف وتهدم البدن. وفي هذا المنحى من التصوير وعي شعري لافت من الأعشى، هدفه استدرار عطاء الممدوح بأسلوب ضمني لبق لا ينحو إلى المباشرة بالسؤال، وذلك أن هزال الناقة، وهي المشهورة بشدة التحمل، دليل جلي على طول

الرحلة ومشقتها، ومع ذلك تحملها الأعشى شوقاً إلى الممدوح، ورغبة في المثول بين يديه بالمديح لاستحقاقه تحمّل كل ذلك العناء من أجله. هذا الذي يبدو على السطح، أما العمق فتسكن فيه رغبة متوارية في نفس الأعشى تأمل في العطاء، وتحمله على تجشم عناء السفر في سبيل الظفر بمال الممدوح.

والواقع أن الأعشى قد توسع في تمجيد ذاته في بداية قصيدته بإبراز نفسه في صورة الشاب المتعالي الذي لا يهزه صدود الأنثى عنه، والبطل المقدام على اقتحام خدور الغواني، والمرفّه الذي لا يشرب إلا أجود الخمر وأعتقها، والشاعر الفحل المجيد الذي يتسامع الناس بشعره وتلفتهم جودته، والكريم الذي ينحر الإبل لأقرانه، والشجاع القادر على اختراق امتداد الصحراء دون أن تؤثر فيه. هذا هو الأعشى في مطلع قصيدته، يقدم نفسه بصورة لا يختارها الشعراء المداحون عادة لأنفسهم، ولكن طاقة الشباب وفورته هي السبب في اعتداده بذاته إلى هذا الحد. وكان في اجتماع هذه الروح مع صورة الحرب والشجاعة والقتل التي يتهيأ لإضفائها على الممدوح أثر في استمداده من معطيات معجم الحرب ومعانيها في مطلع القصيدة، إذ ظهر الأعشى فيها بطلاً صلباً لا يهزه رحيل الأنثى، وبطلاً في اقتحام الخدور، وشجاعاً في اعتساف الصحراء، وقادراً على حيازة أجود الخمر، ونَظْم أحسن الشعر.

وحيث كان حديث الأعشى عن مشقة الرحلة وضرّائها محصوراً على ناقته فقد جعل مطلع المقطع المدحي حديثاً عن الناقة أيضاً، ولكن ليس عن سوء ما نالها من طول الطريق، بل عما ينتظرها من صلاح الحال والبدن حين تحل بديار قيس:

فتناولتْ قيساً بحرّ بلاده
فأتتْه بعد تنوفةٍ فأنالها
فكأنها لم تلقَ ستة أشهر
ضُرّاً إذا وضعتْ إليكَ جِلالها
ولقد نزلتِ بخير من وطئ الحصى
قيسٍ فأثبتَ نعلَها وقبالَها [٤٧]

هذا التوازن في الحديث عن الناقة يمثل وعياً شعرياً لدى الأعشى يضبط مسار الحديث عن الشخوص الواردة في قصيدته لتأتي كل وِحْدة في القصيدة مكملة لسابقتها بلا نقص أو تضارب. ويظهر الوعي الشعري عند الأعشى جلياً في هذه الأبيات في اختياره زمن الأفعال الواردة فيها، إذ جاءت كلها بصيغة الماضي عن أمر يؤمل حدوثه في المستقبل، يبدو ذلك في حديثه عن ناقته وممدوحه قيس: (فتناولتْ، فأتتْه، فأنالها، نزلتِ، وضعتْ، أثبتَ) وكأنه بهذه الحيلة الشعرية في توظيف زمن الفعل يريد إلزام قيس بما يتحدث عنه في هذه الأبيات، وجَعْل العطية المؤملة مستقبلاً في صورة الأمر المتحقق في الماضي.

ويحلق الأعشى بعد ذلك في فضاء الغناء بسجايا قيس، بادئاً ذلك بسجية انتقاها بعناية ليفتح لنفسه بها باباً نحو مال قيس، ألا وهي الكرم الذي عبر عنه بقوله: (طَلْق اليدين) حتى يدفع أن يكون كرمه كرماً عادياً، ويؤكد أنه ملك معطاء بطبعه، ففي طلاقة اليد معنى زائد على وصف الكرم، يعمق المعنى ويؤكد الصفة:

قِبَلَ امرئٍ طَلْقِ اليدينِ مبارك
ألفى أباه بنجوةٍ فسما لَها

ويتأكد لنا من هذا البيت ومن الأبيات المدحية اللاحقة، بل وفي كل مدائح الأعشى، أنه لا ينحو إطلاقاً

إلى طلب المال صراحة، بل يكتفي بالإشارة العرضية للكرم، ووصف جود الممدوح، ثم يترك له تحليل الرسالة، والتفاعل معها بحسب ما فيه من قوة العطاء. واللافت أن الأعشى في هذا البيت قد مدح أبا قيس بقوله: (ألفى أباه بنجوة فسما لها) ومعلوم أن تقريض الأب يستحث الابن على السير على خطاه، وهذا يعني أن الوعي الشعري لدى الأعشى هو ما حمله على استدرار عطاء قيس بهذه الحيلة المدحية. ووجدت بعض النقاد يستحسن هذا المسلك من الشاعر المادح، كأبي هلال العسكري الذي قال في سياق حديثه عن غرض المديح وما يحسن فيه: «ومع ما ذكرناه فإنه لا ينبغي أن يخلو المدح من مناقب لآباء الممدوح، وتقريض من يُعرف به ويُنسب إليه»[48].

ولقد بدت ملامح الروح الشابة المنطلقة على كل الصور المدحية التي وضع الأعشى قيساً فيها، وليس على بعضها، فصار المقطع المدحي كله يتفجر حركة وانطلاقاً، فهاهو حين أراد تصوير سعة كرم قيس استعان بمشهد النيل الزاخر المدفوع بريح الصبا حتى اشتد جريانه وأزبد:

ما النيلُ أصبحَ زاخراً من مدِّه

جاءتْ له ريحُ الصَّبا فجرى لَها

زبداً ببابلَ فهو يسقي أهلَها

رغداً تفجره النبيطُ خلالَها

يوماً بأجودَ نائلاً منه إذا

نفسُ البخيلِ تجهَّمتْ سُؤَالَها[49]

فهذا المنظر المملوء نشاطاً وحركة هو بلا شك أحد نواتج الروح الشابة التي تغلف القصيدة كلها، وهي التي تظهر جلية أيضاً في الأبيات التالية لهذه مباشرة في وصف عطايا قيس:

الواهب المائةَ الهجانَ وعبدَها

عوذاً تُزجّي خلفَها أطفالَها

والقارحَ العدَّا وكلَّ طمرَّة

ما إنْ تنالُ يدُ الطويلِ قَذالَها[50]

تزدحم في هذه الصورة عدد من الشخوص: مائة من الإبل، وراعيها، وأطفالها، والجواد العداء، والفرس الخفيفة، إنه أشبه بتجمع حربي لخوض معركة، فكأن عين الشعر لدى الأعشى بدأت تفيض بمعاني الحرب التي يتهيأ لتقديم ممدوحه قيس فيها بأحسن صورة وأكثرها جلالاً، فقد صور قيساً بطلاً محارباً في ثلاثة مواضع من القصيدة، حتى إنه لا يكاد يترك هذا المعنى إلا ويعود إليه ثانية، بل ويبدأ أوصافه له في هذا المعنى بالقَسَم على خبرته في الحرب:

فلَعَمْرُ من جعلَ الشهورَ علامةً

قَدَراً فبيَّنَ نصفَها وهلالَها

ما كنتَ في الحربِ العَوانِ مغمَّراً

إذ شبَّ حرُّ وقودِها أجزالَها[51]

ويصف جودة خيل قيس وسبقها وارتفاع الغبار من وقع أقدامها:

فترى سوابقَها يُثرْنَ عجاجةً

مثلَ السحابِ إذا قفوتَ رعالَها

متبارياتٍ في الأعنَّة شُزَّباً

حتى تفيءَ عشيةً أنفالَها[52]

وتبدو روح الشباب المندفعة في هذه الصورة الحربية التي يقدم الأعشى فيها قيساً على رأس كتيبة يقود المعركة بلا ترس يستره أو خوذة تحميه:

وإذا تجيءُ كتيبةٌ مَلْمومةٌ

خرساءُ تفشي من يذودُ نِهالَها

كنتَ المقدَّمَ غيرَ لابسِ جُنَّةٍ
بالسيفِ تضربُ مُعلماً أبطالها[٥٣]

ويبدو أن حماسة الأعشى المتقدة كانت هي المحرك لرسم هذه الصورة التي ربما لا يختارها قيس لنفسه في الواقع، ولكن انغماس الأعشى في جو البطولة والحرب، وحرصه على المبالغة في التأكيد على شجاعة قيس، حملاه على جعل قيس يخوض المعركة بلا جُنَّة، والمحارب العاقل مهما كانت شجاعته لا يميل إلى ذلك، فهذا كثيِّر يرد على الخليفة عبدالملك بن مروان حين انتقد مديحه إياه بغشيان الحرب مدججاً بالسلاح لا عارياً منه كما مدح الأعشى قيساً، بقوله: «يا أمير المؤمنين، وصفتك بالحزم والعزم ووصف الأعشى صاحبه بالطيش والخُرق»[٥٤].

وتلخيصاً لم سبق يتبيَّن أن هذه القصيدة مع تعدد شرائحها، وامتداد أبياتها، يغلفها طابع شعوري واحد وهو روح الشباب الوثابة المنطلقة المشدودة نحو معاني الشجاعة والحرب، وقد غلب هذا الطابع على صوت الأعشى في طلب المال فبدا خافتاً حتى إنه لم يُفسح له في قصيدته سوى ستة أبيات فقط من مجموع أبياتها الأربعة والخمسين، وهي أبيات تعرِّض بالمال ولا تصرِّح بطلبه وذلك بوصف كرم الممدوح وجزالة عطاياه، وهي عادة الأعشى في كل مدائحه. والحقيقة أنه لا توجد للأعشى قصيدة تماثل هذه في خفوت صوت الرغبة في المال، وهذا الملمح منسجم مع طبيعة مرحلة الشباب التي لا تحسب للمال والاستكثار منه قيمة توازي تلك التي لدى الشيوخ، ولذا مرّ الأعشى الشاب على قضية المال مروراً سريعاً يناسب المرحلة العمرية التي يعيشها، وهو ما لم يصنعه في القصيدة التالية التي سيتناولها الآن هذا البحث بالتحليل، لكونه قالها في مرحلة عمرية مختلفة بعد أن تقدم به السن فعرف للمال وظيفة وقدراً في الحياة لم تكن قد تكشَّفت له قبل ذلك.

وهذه القصيدة، وهي الثانية بترتيب الديوان، قال فيها الرواة، حسب ما نقل المحقق، إنها أول ما مدح به الأعشى قيساً، وقراءة القصيدة بتأمل تحمل على ترجيح خطأ هذا القول لأن الأعشى فيها يظهر شيخاً متقدم السن، خلافاً للقصيدة السابقة التي تقدم الحديث فيها، وبدا الأعشى فيها شاباً منطلقاً وهو يمدح قيساً، الأمر الذي يؤكد أنها سابقة لهذه. وقد كان لتقدم السن في هذه القصيدة الثانية انعكاس جلي لا على معاني القصيدة وصورها فحسب، بل حتى على قافيتها وعدد أبياتها، أما القافية فجاءت نوناً ساكنة، والنون من الأنين والتوجع، وسكونها من السكينة والوقار الغالبان على صورة الشيخ الكبير، وهذا يناقض قافية القصيدة السابقة التي جاءت مطلقة بألف مدٍّ غير مقيَّدة، فناسبت روح الشاب المنطلقة المتوثبة. أما الأبيات فامتدت في قصيدتنا هذه حتى بلغت ثلاثة وثمانين بيتاً لتكون سعة قالبها قادرة على احتواء وبث أحزان الشيخ الكبير، أما القصيدة السابقة فلم تتجاوز أبياتها أربعة وخمسين بيتاً. وكذلك فإن صوت الرغبة في المال جاء عالياً طاغياً في هذه القصيدة، حتى ملأ سبعة وعشرين بيتاً مقابل ستة أبيات فقط في القصيدة السابقة، وهذا يرجع إلى ما سلفت الإشارة إليه من أن التقدم في السن يجعل للمال قيمة أكبر، ويولّد حرصاً على جمعه وحيازته والتكثر منه بصورة أشد مما تكون عليه مرحلة الشباب التي يطغى عليها الإنفاق والعبث، ولهذا كان صوت الرغبة في المال خافتاً حين كان الأعشى شاباً يافعاً في القصيدة السابقة، وحاداً طاغياً بعد أن صار شيخاً كبيراً في هذه القصيدة،

على أنه في كلا الحالين لا تظهر فيه صراحة الطلب.

وبالتفتيش عن المحور الذي ينتظم شرائح هذه القصيدة، ويوجه مسار معانيها وصورها، نجد أنه شعور الغربة الذي يظهر ضاغطاً على الأعشى لحظة إنشائه لها، والميسم البارز عليها كلها، فهو أولاً بسبب تقدمه في السن بات يشعر بغربته عن الحياة ودنو الموت منه، حتى إن فاتحة القصيدة جاءت مصدَّرة بقسم يؤكد هذا:

لَعَمْرُكَ ما طولُ هذا الزمنْ
على المرءِ إلا عناءٌ مُعَنّ
يظلُّ رجيماً لريبِ المنون
وللسقم في أهلهِ والحزنْ(٥٥)

وبلغ الإحساس بالغربة لدى الأعشى حداً جعله يشعر بأن الحياة في زمنه إنما هي لجيل آخر غير جيله، أصغر منه سناً، وأقوى نبضاً بالحياة وإحساساً بنعيمها، حتى صار يحس بأنه ميت حتى ولو كان حياً، فلا فرق بينه بظروفه التي يعيشها وآخر قد هلك ودفنه أهله:

وهالكِ أهلٍ يُجنّونه
كآخرَ في قَفْرةٍ لم يُجنّ(٦٥)

ثم أخذ يؤكد هذا المعنى بالإشارة إلى أن الموت آتٍ لا محالة، وألا نجاة للإنسان منه مهما احترس:

وما إنْ أرى الدهرَ في صرفه
يغادرُ من شارخٍ أو يفَنْ
فهل يمنعنّي ارتيادُ البلا
دِ من حذرِ الموتِ أن يأتينْ
أليس أخو الموتِ مستوثقاً
عليّ وإنْ قلتُ قد أَنْسَأنْ(٥٧)

وإلى جانب هذه الغربة يقاسي الأعشى غربة البعد عن الأنثى، فهو لم يفتتح قصيدته بالغزل كعادة شعراء عصره، وعادته هو أيضاً في عامة قصائده، ولم يسمّ أنثىً بعينها، بل لم يشرْ إلى أي علاقة تربطه بأي امرأة، فقد هجم بغتة في مطلع القصيدة بالحديث عن معاناة تقدم السن وهمّ الإحساس بالموت. ويُعدُّ انفصاله هذا عن الأنثى وهو المشهور بمجونه وتهتكه مؤشراً على عمق الإحساس بالغربة لديه، والشعور بأن الحياة باتت لأناس آخرين غيره تتحقق فيهم السمات التي تطلبها الأنثى. ولكنه أمام ضغط هذا الإحساس راح يعزي نفسه باسترجاع بطولاته الغرامية الماضية مشيراً إلى أنه قد أخذ نصيبه من هذا الجانب حتى قَرَّت عينه كما يزعم:

وأقْرَرْتُ عيني من الغانيا
تِ إما نكاحاً وإما أُزَنْ
من كلّ بيضاءَ ممكورة
لها بَشَرٌ ناصعٌ كاللبنْ(٥٨)

ويمضي مسترسلاً في الحديث عن هذا الجانب ووصف أطراف منه استرسالاً يؤكد حنينه إليه، وأن عينه لم تقرّ بعد كما يزعم، وربما أنه وجد، ولو بغير قصد منه، أن في الحديث عن البطولات الماضية تحقيقاً لوجوده وتأكيداً لقيمته في الحياة وقدرته على الاستمتاع بها، وهذا المنحى القائم على استرجاع الماضي من شأنه أن يعيد إليه توازنه النفسي ويبعث فيه قدراً من الشعور بالرضا.

وهناك غربة ثالثة يعيشها الأعشى تقع داخل بيته، فهو قد أدركه العجز، وحلَّ به السقم حتى صار عبئاً على أهله، فأورثتْ حاله المتردية هذه انفصالاً بينه وبينهم، إذ باتوا يحملون هم كبره وسقمه، وهو يحمل هم العجز والموت:

يظلُّ رجيماً لريبِ المنونْ

وللسقم في أهلهِ والحزنْ

وإلى جانب ما سبق يقاسي الأعشى غربة اجتماعية تتمثل في صدود الناس عنه، حتى إن محاولاته في الاقتراب منهم والتودد إليهم لا تعود عليه إلا بانصرافهم عنه، فيعتقد أن ذلك بسبب جهلهم به فيسارع إلى التعريف بنفسه وتذكيرهم بنسبه ولكن دون جدوى:

تيمَّمتُ قيساً وكم دونه

من الأرض من مَهْمَهٍ ذي شَزَنْ

ومن شانئٍ كاسفٍ وجهُهُ

إذا ما انتسبتُ له أنكرنْ[٥٩]

وحتى الجار المجاور لا يلقى منه الأعشى خيراً ولا عوناً على هذه الحياة وهمومها :

وجارٍ أجاوره إذ شتو

تُ غيرِ أمينٍ ولا مؤتمنْ

وزاد على أنواع الغربة هذه التي يتألم الأعشى بسببها غربته عن وطنه بوقوفه هناك بعيداً بين يدي قيس بن معد يكرب في اليمن التي يفصلها عن وطنه طريق طويل جداً يحتاج منه لقطعه ستة أشهر كاملة، كما قال في إحدى قصائده له حين أتاه مادحاً[٦٠].

وبسبب امتلاء نفس الأعشى بهذه المشاعر الضاغطة فقد انسابت منه إلى بعض مشاهد النص وشخوصه فغدت صوراً رمزية لحياته الواقعية التي يعيشها، إذ أتت تحمل بعض ملامحها وألوانها، فالصحراء التي قطعها نحو قيس، والناقة التي حملته إليه، يمكن تأويلهما بأنهما صورتان رمزيتان لحياة الأعشى وواقعه:

وبيداءَ قفرٍ كبردِ السدير

مشاربُها داثراتٌ أُجُنْ

قطعتُ إذا خبَّ رَيعانُها

بدوسرةٍ جسرةٍ كالفَدَنْ

فأفنيتُها وتعالَلْتُها

على صحصحٍ كرداء الرَّدنْ[٦١]

فهذه البيداء الممتدة المملة يمكن تأويلها بأنها حياة الأعشى الواقعية التي طالت حتى سئمها، ومشاربها الداثرة الآجنة صورة دقيقة لنفسه التي كانت أيام شبابه غزيرة صافية فتحولت اليوم إلى الجفاف والامتناع عن ري الراغب في السقيا. وكذلك فإن هذه الناقة (الدوسرة الجسرة) هي صورة للأعشى أيام شبابه، ولكنها بعد هذه البيداء الممتدة الداثرة المشارب فنيتْ واعتلَّ بدنها، تماماً كالأعشى الذي شاخ وأثقلته الهموم وغادرته اللذات بعد أن طال به الرحيل على درب الحياة الشاق.

وكما أن الأعشى بسنه الكبيرة صار دائم التخوف من مفاجآت الدهر وخطفة الموت وتوقع مباغتتها في كل لحظة، فإن الناقة أيضاً، وهي الصورة الرمزية له، تعاني هماً مماثلاً وهو لسعة السوط التي قد تبغتها في أي لحظة، ولذا أمست دائمة الانشغال بمراقبته خوفاً منه:

تراقبُ من أيمنِ الجانبين

بالكفِّ من محصدٍ قد مَرَنْ[٦٢]

وأمام كل ذلك ألقى الأعشى رحله وهموم نفسه على ممدوحه قيس ليخلصه من أنواع الغربة التي تنهشه من الداخل، وليعينه على استعادة شيء من نضارة الحياة التي فارقته:

ولكن ربي كفى غربتي

بحمد الإله فقد بلّغنْ

أخا ثقةٍ عالياً كعبُهُ

جزيلَ العطاءِ كريمَ المِننْ

كريماً شمائلُهُ من بني

معاويةَ الأكرمينَ السنَنْ(٦٣)

وهنا أيضاً، كما في القصيدة السابقة، تأتي الإشارة إلى آباء الممدوح، وكأنها صارت شيئاً لازماً للأعشى في مدحياته أو سمة من سماتها، ربما لأنه لمس جدواها في استحثاث الممدوح على العطاء فتمسك بها بعد أن ثبت لديه أنها مفتاح من مفاتيح خزانة مال الممدوح، وبهذا تكون للغة في مثل هذه المواقف قوة سحرية يستعين بها الأعشى في امتلاك قلب الممدوح، و«كلما اكتشف الإنسان مدى جدوى استخدام بعض العبارات في تجارب معينة يمر بها ازداد تمسكه بتلك القوة وحرصه على توظيفها في تجارب جديدة تزيد من حذقه في ذلك الاستغلال وتفننه في اللعب بمفرداتها وبظلال المعاني المختلفة بين مترادفاتها»(٦٤).

وبالتأمل الدقيق في ألفاظ وجمل مقطع المديح تتجلى لنا المهارة الفائقة لدى الأعشى في توظيف اللغة، وقدرته اللافتة في تحفيز الممدوح على العطاء بحشده أوصافاً متتالية تهدف إلى ملامسة العِرق الذي يريده الأعشى أن ينبض وهو عِرق الكرم، فقيس في الأبيات الثلاثة الماضية (أخا ثقة)، و(عالياً كعبه)، و(جزيل العطاء)، و(كريم المنن)، و(كريماً شمائله)، ومن شأن هذه النعوت المتتالية بلا فواصل بينها أن تحدث هزة في نفس الممدوح توجهه نحو الجهة التي يريدها الأعشى، ولذا مال إليها ثانية في موضع آخر من القصيدة نفسها فقال:

رفيع الوساد طويل النجا

دِ ضخم الدسيعة رحبَ العَطَنْ(٦٥)

ويمضي الأعشى فيصف قيساً بأن من طبعه عدم منع المال عن طالبه، ومعلوم أن الأعشى لم يأته متعرضاً لمشقة هذا السفر الطويل إلا طلباً للمال، إلا أنه تحاشياً لمذلة المسألة لا يجعل نفسه هو الطالب للمال، بل يجعل الفاعل ضميراً متصلاً - واو الجماعة - لا يعود في الحقيقة على أحد معين، لتكون هذه رسالة إيحائية يفهمها قيس دون أن يذل الأعشى نفسه بالسؤال المباشر:

فإن يتبعوا أمرَه يرشدوا

وإن يسألوا مالَه لا يضِنْ

ويتقدم الأعشى خطوة أخرى فيصف قيساً في موضع آخر بأن ليس من طبعه تجميع المال، وكأنه بهذا يحمله حملاً على إعطائه:

وأقبلنَ يعرضنَ نحو امرئٍ

إذا كسبَ المالَ لم يختزنْ

ثم تتلو الخطوتين السابقتين خطوة ثالثة تتحول بطرفي المعادلة من مديح وإعطاء، إلى بيع وشراء، وهذه الخطوة تعد أرفع من السابقتين، لأن الأعشى لا يقدم نفسه فيها شاعراً مادحاً فحسب، بل تاجراً يحمل بضاعة مميزة تعد فرصة للمشتري قيس، إلا أنها فرصة ستفلت من بين يديه إن لم يبادر إلى شرائها بما يرضي البائع وهو أغلى الثمن، وبهذا ينقلب الأعشى من طالب إلى مطلوب:

ولكن على الحمد إنفاقه

وقد يشتريه بأغلى الثمنْ

ولا يدعُ الحمدَ أو يشتري

ـه بوشكِ الفتور ولا بالتَّونْ

إن الأعشى في قصيدته هذه يظهر في شخصيتين مختلفتين، فهو في بدايتها يائس من الحياة، يشعر بالغربة والوحدة والحرمان، ويضغط عليه الإحساس بالفناء، أما في آخرها فينزع عنه هذا الرداء البالي المشقق، ويلبس رداء آخر ضافياً جميلاً انعكس عليه بالثقة بنفسه فتحول

مـن متعرِّض للمال إلى تاجـر، ومن طالب إلى صـاحب سـلعة نفيسـة مطلوبـة، ومن نفس يتنازعها الإحسـاس بالغربـة والموت إلى نفس تعتـد بقومهـا وقوتهـا، وهذا يناقض صراحة إحساسه بالغربة التي اشتكى منها:

وحـــوليَ بـكـرٌ وأشـيـاعُـهـا

ولـسـتُ خَـلاةً لمن أوعـدنْ[٦٦]

وفوق كل ذلك يتجه الأعشـى في آخر أبيات القصيدة نحو الملك قيس بخطاب قائم على صـيغة النهي، إذ ينهاه عـن حرمانه مـن العطاء معتداً بذاته في السياق نفسـه بالتأكيـد على أن أحداً لم يتعرض لـه يوماً بالإهانة، وهو يعني الحرمان من العطاء في هذا الموقف:

فلا تحرمنّي نـداكَ الجزيلَ

فـإني امـرؤٌ قبلَكم لم أُهَـنْ

وهنـا يمكن القـول بأن هـذا التحـول أو الانقلاب في شخصـية الأعشـى هـو ضـرورة تمليهـا طبيعـة موقفه الشـعري، وهـو من جهـة أخرى تجسـيد لدقـة وعيه في حفظ التوازن بين كرامة الذات ورغباتها، وذلك أن البدء بشخصـية تلفها الهمـوم وأثقال الحيـاة إنما يهدف إلى اقتناص الجانب الإنسـاني في الممدوح وكسـب تعاطفه، فـإذا تحقـق لـه ذلك بـدأ بعدهـا يملـي عليه شـروطه ومواصـفات العطاء الذي يريده، فالشراء يجب أن يكون بأغلـى الثمن، ويجب أن يكون حاضـراً بلا فتور ولا توانٍ، والعطـاء يجب أن يكون جزيـلاً، مع تنبيه قيـس على أن هذا الواقف بين يديه وهو الأعشـى لم يتعرض لما يسـوؤه أبداً في مثل هذه المواقف: (فإني امرؤ قبلكم لم أهن) أي أنه في كل المواقف السابقة المماثلة لموقفه المدحي هذا بين يدي قيس كان ينصرف راضياً جذلاً، وهذا إلزام ضمني لقيس بأن يكون كسابقيه.

ولعلـه قـد بدا لنا كيـف أن الأعشـى قد سـلك طرقاً مختلفـة لنيل هدفه وهو المال، فهو في البداية أبرز عجزه وشيبه، واشتكى غربته، وصدود الناس عنه، ثم توجه إلى الممدوح يتلمس منه تخليصـه مـن غربته وهمومه، فأخذ يعرِّض بالمال عبر المبالغة في وصف كرم الممدوح، وإدراج أوصاف متتالية لكرمه بلا فواصل بينها وكأنه يجبره بها على إعطائه، وبعد أن اسـتوثق لنفسـه مـن هذه الناحية صـعد على السـلم درجات فقدم نفسـه في صـورة تاجر سـلعة، وهـي الكلمة، إلا أنـه لا يبيع إلا بأغلـى ثمن. وما يجب التنبيه عليه هو أن الأعشى وإن سلك طرقاً متعددة نحـو مال قيـس إلا أنه فيها كلها كان يصـون كرامته عن ذل السـؤال، مكتفياً بالتعريض والتلميح والوحي، جاعلاً مطيتـه إلى ذلك الحرص البالـغ على إجادة القول، لا في مقطع المديح وحده بل في كل شرائح القصيدة ومكوناتها، وهكـذا كانـت قصـائده دائمـاً، تأتـي جودتهـا موزعـة بالتسـاوي على كل مقاطع القصيدة وأبياتها كما في هذه القصـيدة، دون أن تتركز في مقطع المديـح وحده مع أنه القطعة الأهم التي يعبُر منها الأعشى نحو مال الممدوح.

وفي هذا الموضع أعرض لوحة مدحية أخرى للأعشى في قيـس، تتميـز بتناسـق لافـت في الخطـوط والألوان، وتعكس وعياً شـعرياً كبيراً لديه في سكب مقادير محددة مـن موضـوع القصـيدة الرئيس علـى كل شـريحة من شـرائحها، حتـى صـارت تحمـل طابعاً واحـداً، ونَفَسـاً واحداً، وشـعوراً واحـداً ينطق به كل مقطع. ولا شـك أن قـدرة الأعشـى علـى تحميـل كل مقاطع القصـيدة روح الموضوع الرئيس مهما كانت بعيدة عنه إنما تعكس مهارة شعرية فائقة في قيادة القصيدة والسيطرة على جوانبها، وتسخيرها لخدمة غرضه وأهدافه.

والقصيدة المعنية هنا هي الرابعة حسب ترتيب الديوان، وموضوعها الرئيس بعد استقراء أبياتها وتأمُّل معانيها هو تهنئة قيس بن معد يكرب بالنصر على بني عامر بن عُقيل واستنقاذه ابن عمه قيسبة بن كلثوم من أسرهم، ومَدْحه خلال ذلك بالشجاعة وشدة البأس:

وإنَّ غَزَاتكَ من حضرموت

أتتني ودوني الصفا والرُّجُمْ

مقادَك بالخيلِ أرضَ العدوّ

وجذعانها كلفيظ العجمْ

تؤمُّ ديارَ بني عامرٍ

وأنت بآل عُقيلٍ فَغمْ[٦٧]

بهذه الروح المفعمة بنشوة النصر جاء النص كله، حتى صار النصر والتمكن والاستعلاء ميسماً يمكن استجلاؤه في كل المقاطع والصور. وقد تجلى بعد تقليب النظر أن الأعشى يطرح في كل شريحة من القصيدة طرفين مختلفين في كل مرة، ولكنهما يتفقان دائماً في كون أحدهما غالب والآخر مغلوب، واقع تحت سلطة المنتصر، مقهور بقوته وتمكنه، ظهر هذا جلياً في عشر صور من القصيدة لتثبت قدرة الأعشى الفائقة على صبغ القصيدة كلها باللون الذي يراه مناسباً لموضوعها الرئيس، وهذا وعي شعري كبير لديه، وتمكُّن من إحكام القبضة على القصيدة مع طولها، فلا تجد في أي موضع منها انفلاتاً أو خروجاً عن المسار الذي يريده.

وأول صور التمكن والاستعلاء المنسابة من الموضوع الرئيس للقصيدة وهو التهنئة بالنصر، تظهر في طبيعة العلاقة بين الأعشى والأنثى، فهو لا يبدي ما يبديه الشعراء عادة من الوجد وشدة الشوق، بل يناقض ذلك بالظهور رزيناً مترفعاً عن أنثى نكرة لا يسميها، وهذه إحدى صور الاستعلاء عليها والزهد فيها، ثم يحاور نفسه في أمر صلته بها مقرراً أن ذلك كان منه طيشاً وجهالة، وبهذا يتأكد أنه في هذا المقطع هو المنتصر الغالب، والأنثى هي المغلوبة المتروكة، وهذا عكس الصورة النمطية عند الشعراء عامة:

أتهجرُ غانيةً أم تُلمْ

أم الحبلُ واهٍ بها منجذمْ

أم الصبرُ أحجى فإن امرءاً

سينفعُهُ علمُهُ إنْ عَلِمْ

كما راشدٍ تجدنَّ امرءاً

تبيَّنَ ثم انتهى أو قَدِمْ

وما كان ذلك إلا الصبى

وإلا عقابَ امرئٍ قد أثِمْ[٦٨]

وبعد هذا المشهد تأتي صورة ثانية تضم طرفين هما الخمر والأعشى، وفيها يبدو الأعشى قادراً متمكناً من اقتناء أجود الخمر وأصفاها، وهي مسلوبة القدرة عن الامتناع عليه بغلاء ثمنها أو نفاسة نوعها، فهو متمكن منها أياً كانت، يفض خاتمها دون أن يسبقه عليها أحد، ويشربها شرباً فيه تمكن واستعلاء، يواجه بها الأقران والندماء، بارزاً لهم دون تخفٍّ:

وصهباءَ طافَ يهوديُّها

وأبرزَها وعليها خُتُمْ

تمزَّزتُها غيرَ مستدبرٍ

عن الشَّربِ أو منكرٍ ما عُلِمْ[٦٩]

تلك صورتان يظهر فيهما الأعشى غالباً متمكناً، تتلوهما صورة ثالثة له تسير على النمط نفسه المتأثر بجو النصر والتهنئة به الذي يتهيأ لإضفائه على ممدوحه قيس، والصورة هنا هي وصف الأعشى نفسه

بالتمكن من مال غيره، والاحتكام فيه، والتملُّؤ منه مع أنه لا يملكه، وهذا أمر غير مألوف عادة، ولكن الأعشى تمكن منه بقدرته على تخطي الحواجز نحو مُلك الآخرين بفضل فاعلية آلته الشعرية التي صار بها حكماً مستعلياً، وصاحب الغلبة على طرف رفيع المقام لا يمكن التغلب عليه عادة، وهو هنا أحد ممدوحيه الوجهاء الذين يهابهم الناس عادة ويأملون القرب منهم والظفر بنوالهم:

وأبيضَ كالسيفِ يعطي الجزيـ
تضيَّفتُ يوماً على نارِهِ
ـل يجودُ ويغزو إذا ما عَدِمْ
من الجودِ في مالهِ أحتكمْ[٧٠]

وتأتي بعد ذلك صورة رابعة للتمكن والاستعلاء، وفيها يتعاون الأعشى مع ناقته على الانتصار على طرف آخر في هذه الصورة هو الصحراء المقفرة، الممتدة بلا علامات تعين السالك على معرفة الطريق، المخيفة بجنِّها العازفة بين أرجائها في سواد الليل، ومياهها الآجنة الضحلة المتغيرة اللون والطعم. هذه العوامل تمثل تحدياً صعباً يقف معها قاطع الصحراء على شفير الموت، إلا أن الأعشى بناقته الضخمة تمكن من قهر هذه العوامل والانتصار عليها بالخروج من جوف هذه الصحراء سالماً:

ويهماءَ تعزفُ جنَّانُها
قطعتُ برسّامةٍ جَسْرةٍ
كتومِ الرُّغاءِ إذا هجَّرتْ
تفرِّجُ للمرءِ من همِّهِ
مناهلُها آجناتٌ سُدُمْ
عُذافرةٍ كالفنيقِ القَطِمْ
وكانتْ بقيةَ ذودٍ كُتُمْ
ويُشفَى عليها الفؤادُ السَّقِمْ[٧١]

ولا يتوقف الأعشى عن تقديم نفسه بطلاً غالباً في صور متتالية يعلقها على حوائط قصيدته، وكأنه يريد أن يصنع من نفسه بطلاً كممدوحه قيس المنتصر في حربه على بني عامر، مع الإبقاء على فارق بينهما يحفظ للممدوح مكانته، ولذا ذهب يعرض صورة خامسة لاستعلائه وتمكنه، تتمثل في قدرته على تخطِّي حاجز بشري من الجهلة الطائشين الذين اعترضوه على طريقه إلى ممدوحه قيس للنيل منه أو صده عن مقصده، إلا أنهم خابوا وعجزوا، يقول مخاطباً قيساً:

وكم دونَ بيتِكَ من معشرٍ
إذا أنا حيَّيتُ لم يرجعوا
صُباةِ الحلومِ عُداةٍ غُشُمْ
تحيَّتَهمْ وهُمُ غيرُ صُمّ[٧٢]

وعند هذه الصورة يتوقف الأعشى عن طرح المزيد من صور الاستعلاء الذاتية متحولاً عن هذا الغناء الذاتي إلى رسم صور أخرى للقوة والتمكن تخص الشخصية المحورية في القصيدة وهي شخصية ممدوحه قيس، بادئاً بمشهد انتصاره على خصومه وقهرهم واستنقاذ أسير قبيلته منهم:

وجيشُهُمُ ينظرونَ الصبا
فأظعنتَ وتُركَ من دارِهِم
أذاقتْهُمُ الحربُ أنفاسَهَا
حَ فاليومَ من غزوةٍ لم تَخِمْ
ووِتْرُكَ في دارِهِمْ لم يُقِمْ
وقد تُكرهُ الحربُ بعدَ السَّلمْ[٧٣]

هذه الصورة المستلة من جوف المعركة هي المصدر الرئيس للبثّ الشعري الذي عمَّ طابعه البطولي كل شرائح القصيدة، حتى صورة الكرم التي أضفاها الأعشى على ممدوحه قيس لم تخلُ هي أيضاً من اشتمالها على طرفين يغلب أحدهما الآخر، ويملأ نفسه خوفاً ورهبة، ألا وهي صورة الفرات الهائج الذي جعله مثالاً لكرم قيس، وجعل في داخل الفرات المرتفع موجه طرفاً آخر يكمّل به معادلة الغالب والمغلوب، ألا وهو سفينة تتمايل من شدة الموج حتى كادت تتحطم من قوته، وملاحها على ظهرها قد استبدَّ به الخوف والوجل، فالتجأ إلى آخرها أملاً في النجاة. والأعشى بهذه الصورة إنما يخلع القوة والغلبة على ممدوحه قيس بإشارته إلى شدة تدفق كرمه:

وما مُزبدٌ من خليج الفرا
ت جون غواربُهُ تلتطمْ
يكبُّ الخليةَ ذاتَ القلا
ع قد كاد جُؤجُؤها ينحطِمْ
تكأكأَ ملاحُها وسطَها
من الخوف كوثلَها يلتزِمْ
بأجودَ منهُ بماعونه
إذا ما سماؤُهُمُ لم تغِمْ[٧٤]

وقد أيد بعض النقاد أن يجمع الشاعر في مديحه بين الشجاعة والكرم، كما صنع الأعشى مع قيس هنا، يقول قدامة بن جعفر مستحسناً هذا المسلك: «فإن أضيف إلى ذلك المدح بالجود والسماحة والتخرّق في البذل والعطية كان المديح حسناً، والنعت تاماً، إذ كان السخاء أخا الشجاعة»[٧٥]. ويؤكد هذا ابن رشيق بقوله: «وأفضل ما مُدح به القائد الجود والشجاعة وما تفرع منهما نحو التخرّق في الهبات، والإفراط في النجدة...»[٧٦].

ويواصل الأعشى عرض الصور المتضمنة طرفاً غالباً وآخر مغلوباً، فيجعلها هذه المرة ماثلة في الخيل التي يهبها ممدوحه قيس لطالب نواله، فهذه الخيل عدّاءة تطير الحجارة من شدة عدْوها، وتصيد الطرائد بغير جهد، وهذه هي الصورة الثامنة من صورة القوة والاستعلاء المبثوثة في القصيدة:

هو الواهبُ المائةَ المصطفا
ةَ كالنخلِ طافَ بها المجترِمْ
وكلَّ كُميتٍ كجذع الخصا
ب يردي على سَلِطاتٍ لُثُمْ
يصيدُ النحوصَ ومسحلَها
وجحشَهما قبلَ أنْ يستحمْ[٧٧]

وظل معنى القوة والاستعلاء مسيطراً على القصيدة حتى حين أراد الأعشى مدح قوم قيس، إذ قفزت إلى ذهنه، أو على الأصح سيطرت عليه، فكرة القوة فمدحهم بالمبادرة إلى الحرب، وسرعة إجابة الداعي إليها:

فإن معاويةَ الأكرمينْ
عظامُ القبابِ طِوالُ الأُمَمْ
متى تدعُهُمْ للقاءِ الحرو
ب تأتكَ خيلٌ لهمْ غيرُ جُمْ[٧٨]

وعند هذا الموضع يُنهي الأعشى مديحه قيساً، فيعود بعده إلى الغناء الذاتي مقدماً صورتين تبدوان مترابطتين جداً على مستوى الترتيب الشعري، إذ هما في موضعهما وترتيبها يخدمان غاية الأعشى وهي المال، ففي الأولى قدم نفسه في صورة رجل قوي لا يستطيع أحد النيل منه،

ومن تجرأ عليه بكلمة ردها عليه بداهية تقمعه وتشله عن مجرد التفكير في الثأر، وهذه هي الصورة العاشرة من صور القوة والتمكُّن:

وعـوراءَ جـاءتْ فجاوبتُـها
بشنعـاءَ نـافيـةٍ للـرَّقـمْ
بـذاتِ نـفـيٍّ لـهـا سَـورةٌ
إذ أُرسلتْ فهي ما تنتقمْ(٧٩)

وبعد هذا المعنى المملوء تهديداً وقوة يفاجئنا الأعشى بمشهد يناقضه كل المناقضة، مشهد يفيض إنسانية ورحمة، يستدر عطف السامع، ويحمل المتلقي، وهو تحديداً قيس الممدوح بهذه القصيدة، على الوقوف معه والسعي إلى إرضائه، ولاسيما بعد كل ذلك المديح الذي أفاضه عليه، يقول الأعشى في حوار يرشح حزناً بينه وبين ابنته:

تقولُ ابنتي حين جدَّ الرحيلْ
أرانـا سـواءً ومـن قـد يَـتِمْ
أبـانـا فـلا رِمـتَ مـن عندنا
فـإنـا بـخـيرٍ إذا لم تَـرِمْ
ويـا أبـتـا لا تـزلْ عـنـدَنا
فـإنا نـخـافُ بـأنْ تُـختَرَمْ
أرانـا إذا أضـمـرتْـكَ البلا
دُ نُجفى وتُقطعُ منا الرَّحِمْ(٨٠)

هذه القفزة من منصة القوة إلى وادي الضعف تنطوي في الحقيقة على مهارة استحلابية فائقة يوظفها الأعشى لاستدرار عطاء الممدوح في هذا الموضع تحديداً وبهذا التتابع على الأخص، وتفسير ذلك أن الأعشى قد قدم نفسه بطلاً ذا قدرة على القهر والاستعلاء في عدد من الصور، إلا أن صورة القوة فيها قائمة على التضمين والوحي لا المباشرة والتصريح، وذلك للحفاظ على قدر صالح من التفاوت بينه وبين ممدوحه قيس، حتى إذا انتهى من الغناء الذاتي تحول يتغنى ببطولة قيس وشجاعته، غناء يجهر فيه بصوته، متوسعاً في ذلك، حريصاً على إغناء الصورة وحشدها بكل ما يعزز معاني قوة قيس، وحين قارب نهاية القصيدة أراد أن يستحث كرم قيس مرة أخرى بعد أن مسَّه في عدد من الأبيات مساً رفيقاً في سياق الإشادة بكرمه، إلا أنه في هذا الموضع الواقع في آخر القصيدة نحا إلى العزف على وتر العاطفة وتحريك الرحمة بعرض مشاعر ابنته المتوجِّدة على رحيله، الوجلة من ظلمة الدنيا عليها وانصراف الناس والأقربين عنها بعد غياب والدها، وكأن الأعشى بذلك يستعيد لدى قيس حالة الانفصال المشابهة التي وقعت بينه وبين ابن قبيلته، المأسور عند بني عامر حتى حرك جيشاً لاستنقاذه منهم، وفي هذا الموقف لن يحصل الالتئام بين الأعشى وابنته إلا بمال يصلح به حاله، ويُغْني به ابنته، ويثبت لها به جدوى رحلته، وجدارة ممدوحه بالقصد والمديح.

ولأن الأعشى يريد لنفسه مستوى رفيعاً من العطاء فقد قدم نفسه قبل عرض حواره مع ابنته في صورة رجل قوي ذي شأن ومهابة، يصون نفسه بكل قوة، ويقمع كل من يتجرأ عليه، ويرد الكلمة الجارحة بداهية تخزي صاحبها، وهو بذلك إنما يريد تنبيه قيس على جعل عطائه إياه عطاء متميزاً في حجمه ونوعه، يتناسب مع مكانته الشخصية في النسيج الاجتماعي.

وتتجلى صورة رفيعة من الوعي الشعري لدى الأعشى في القصيدة الخامسة بترتيب الديوان التي يمدح بها قيسَ بن معد يكرب، وهي آخر القصائد المختارة

للتحليل في هذا البحث، وفيها يبدو الأعشى رجلاً كبير السن، يقف موقفاً سياسياً بين يدي ممدوحه قيس لعقد تحالف بينه وبين قومه، متوسعاً في الحديث عن قوة قيس ومَنَعَته التي تعد السبب الرئيس الحامل على التحالف معه، ومعرِّجاً كذلك على كريم سجاياه وجميل صفاته الشخصية والأخلاقية.

ولأن لكل قصيدة محوراً تلتف عليه، أو خيطاً نفسياً رفيعاً ينتظم كل شرائحها وصورها، فإن هذه الناحية التي تخفى غالباً في القصائد فلا يوقع عليها إلا بعد مشقة لم تكن بالغة الاستتار هنا، وبيان ذلك أن الأعشى يهدف من وراء هذه القصيدة إلى عقد تحالف سياسي مع شخصية قوية هي شخصية قيس، وهذا يفرض عليه المبالغة في وصف قوته وجعل هذه الناحية هي الصوت الغالب على النص كله، مع تأكيد هذه القوة عبر إضعاف كل شخصية أخرى غيرها يمر بها، وذلك ليبدو قيس هو الوحيد القوي في النص كله في حين يبدو غيره ضعيفاً منكسراً. وهذا الوعي الشعري لدى الأعشى في ترتيب النص وتوجيه مسار بنائه وصوره يقدم مسوغاً لعملية التحالف التي سيعقدها قومه مع قيس.

وكانت أولى علامات الوعي الشعري بادية في تنبّه الأعشى إلى أن هذه المهمة السياسية التي يقفها في قصيدته تفرض عليه الظهور بمظهر جاد ينسجم مع جلال الموقف، ولذا ظهر في المقطع الغزلي يعلن ترفّعه عن النساء وتعاليه على التصابي ودواعي الهوى، وارتداءه ثوباً يليق بموقفه السياسي، وهو ثوب الحكمة والعقل:

فأصبحتُ لا أقربُ الغانيا

ت مزدجراً عن هوايَ ازدجارا

وإنَّ أخاكِ الذي تعلمينْ

لياليَنا إذ نَحُلُّ الجِفارا

تبدَّلَ بعد الصِّبي حكمةً

وقنَّعَهُ الشيبُ منه خِمارا[٨١]

ويبدأ الأعشى بعد ذلك يلف كل شخصية في القصيدة بطابع من الضعف والانكسار والوهن، مفتتحاً ذلك بنفسه، إذ قدمها في صورة رجل متقدم السن، قد قيده الكبر، وأثقله الشيب بهمومه:

أحلَّ بهِ الشيبُ أثقالَه

وماأعترَّهُ الشيبُ إلا اعترارا[٨٢]

ويمكن النظر إلى علاقته المنقطعة مع الأنثى بأنها -إضافة إلى حكمته وتعقّله الذي أعلن عنه- نقص يعانيه في حياته يتمنى سده لو كان يستطيع، إلا أن كبر سنه يقف حائلاً بينه وبين ذلك، ولكن وعيه الشعري مال به إلى استثمار هذا النقص في الموقف السياسي الذي يقفه بين يدي قيس فحول سبب عجزه عن التواصل مع الأنثى من كبر وضعف إلى عقل وحكمة ليتناسب ذلك مع طبيعة الموقف الشعري.

وبعد أن انتهى الأعشى من إضعاف شخصيته بين يدي قيس استجابة لطبيعة الموقف بدأ في الحديث عن ناقته فانهال عليها بالمطارق حتى كادت تهلك، إذ لم يكد يدع فيها عضواً إلا هدّه وأضعفه حتى بدت ناقته بين يدي قيس بالغة الهزال، في حاجة ماسة إلى من ينقذها من ذلك الضعف، ويعيد إليها حياتها وقوتها، وهو الأمر نفسه الذي يريده الأعشى وقومه من قيس بعقد التحالف معه لتوفير الحماية لهم للاستمتاع بإحساس القوة، يقول الأعشى واصفاً حال ناقته:

فأبقى رواحي وسيرُ الغُدُ

وِّ منها ذوات حذاءٍ قصارا

وألواحَ رَهْبٍ كأنَّ النُّسو

عَ بينَّ في الدَّفِّ منها سِطارا

ودأياً تلاحكْنَ مثلَ الفؤو

سِ لاحمَ منها السَّليلُ الفقارا (٨٣)

ومما يؤكد عمق الوعي الشعري لدى الأعشى أنه لم يتحدث عن ناقته بمثل هذا الحديث المفصَّل الذي ركز على ضعفها وهزالها وتسمية أعضائها المتهدمة إلا في هذه القصيدة فقط، وذلك بسبب أن الوعي الشعري -كما مرَّ- يفرض عليه تأكيد معاني القوة في شخصية قيس بن معد يكرب بإضعاف كل شخصية سواها، وهذا خلاف قصائده الأخرى في قيس التي لم تكن موضوعاتها تفرض عليه توجيهها هذه الوجهة، ولذا رأيناه في القصيدة الثانية من الديون لا يزيد في حديثه عن ناقته عن قول:

فأفنيتُها وتعالَلْتُها

على صَحْصَحٍ كرداء الرِّدنْ (٨٤)

دون أي تفاصيل أو تسميات لأعضائها، لأنه كان منشغلاً بالحديث عن نفسه وآلامها أكثر من أي شيء آخر، ولذا جاء حديثه منصباً على استعطاف قيس عبر إبراز ما يعانيه من ألوان الغربة، والحديث عن ذاته المنكسرة، وتصوير واقعه النفسي والاجتماعي مع المبالغة في وصف كرم قيس، حتى لقد ساقه الحديث عن نفسه إلى أن جعل ذاته هي الفاعل لما حصل على الناقة من ضعف وذلك بنسبته الفعل إلى نفسه: (فأفنيتُها)، وليس إلى طول الطريق أو مشقته، كما فعل في هذه القصيدة التي جعل فيها سبب اعتلال ناقته هو سير الغدو والرواح: (فأبقى رواحي وسير الغدو)، وهذا يشير إلى أن الأعشى في هذه القصيدة التي يتناولها التحليل هنا مشغول بموقفه السياسي أكثر من انشغاله بموقفه النفسي كما ظهر في تلك القصيدة.

وفي القصيدة الثالثة من الديوان لم يزد الأعشى في وصف هزال ناقته على كلمة واحدة فقط:

فتركتُها بعدَ المراح رذيَّةً

وأمنْتُ بعدَ ركوبها إعجالها (٨٥)

والسبب أنه كان يحلق في هذه القصيدة بروح الشباب فصرفه وعيه الشعري عن الوقوف على مشاهد الهزال والضعف غير المنسجمة مع موقفه الشعري وروحه المنطلقة، ولذا ترك الحديث عن تهدم ناقته مكتفياً بكلمة واحدة فقط: (رذية) قالها على عجل، خلافاً لموقفه في قصيدتنا هذه التي توسع فيها بالحديث عن حال ناقته في ثلاثة أبيات كاملة، مع فرق آخر أيضاً وهو نسبة الفعل -كما في القصيدة الثانية- إليه هو: (فتركتُها) لا إلى الطريق ولا إلى مشقته، وهذا بتأثير نَفَس الشاب المملوء قوة ونشاطاً وقدرة على الفعل والتأثير، وهو ما جعله ينسب ما حلَّ بناقته إليه هو.

أما في القصيدة الرابعة فلم يشرْ الأعشى إلى ضعف ناقته إطلاقاً، ولم يصفها بكلمة واحدة تظهرها ضعيفة أو منهكة من لأواء الطريق، فقد استبعد هذا المعنى تماماً مكتفياً بالحديث عن قوتها وأهليتها للاعتماد عليها في السفر:

قطعتُ برسَّامةٍ جَسْرةٍ

عُذافرةٍ كالفنيقِ القَطِمْ

كتومِ الرُّغاءِ إذا هجَّرتْ

وكانتْ بقيةَ ذَوْدٍ كُتُمْ

تفرِّجُ للمرءِ من همِّه
ويُشفى عليها الفؤادُ السَّقِمْ

وسبب هذا الاتجاه لدى الأعشى في وصف ناقته أنه كان في موقف شعري يفرض عليه التحدث عنها بهذا النحو، لأنه كان يهنئ قيساً بالنصر، وهو ما جعله مفعماً بمعاني القوة، مملوءاً بإحساسها المتدفق، ولذا هداه وعيه الشعري إلى عدم إقحام أي صورة لضعف ناقته داخل هذا الجو المشحون قوة، ولاسيما أن الناقة جزء منه، وهو لا يريد لنفسه صورة هزيلة على مسرح النص، لأن حديث القوة والتهنئة بالنصر كلما كان من شخصية تحمل هذه المعاني كان أكثر تأثيراً وأشد وقعاً من أن تتحدث بها شخصية تبدو في ملامح ضعيفة تحمل على الشفقة.

ونعود إلى قصيدتنا لمتابعة توجه الأعشى فيها إلى إضعاف شخصياتها والإبقاء على شخصية ممدوحه قيس، فبعد أن رأينا حديثه عن نفسه وعن ناقته نتابع هنا حديثه عن قومه الذين يدعوهم للتحالف مع قيس:

فمن مبلغٌ وائلاً قومَنا
وأعني بذلك بكراً جِماراً
فدونكُمُ ربَّكمْ حالفوه
إذا ظاهرَ المُلْكُ قوماً ظِهاراً
فإنَّ الإلهَ حباكُمْ به
إذا اقتسمَ القومُ أمراً كُباراً
فإنَّ لكمْ قربَه عِزَّةً
ووسَّطكمْ مُلكَهُ واستشارا(87)

هذا الخطاب الهادف إلى إمضاء عقد تحالفي بين طرفين لم يسرْ على الطريق الذي تسير عليه مثل هذه الخطابات عادة، وذلك أن الأصل في مثل هذا الموضوع إبراز ما يتميز به كلا الطرفين ليكون قبول التحالف مبنياً على معرفة كل طرف بما لدى الآخر من إمكانيات، ولكن حديث الأعشى هنا اقتصر على إبراز مزايا قيس مع تهميش كامل لمزايا قومه، مع أن قبيلة بكر التي ينتمي إليها الأعشى وقومه كانت من أعرق القبائل وأقواها وأكثرها هيبة وفرساناً، ولكن الموقف الشعري يستلزم تجاوز الحديث عن القبيلة وجعله محصوراً على قيس وحده، لأنه ملك متوج لا تنطبق عند الحديث معه الأعراف المألوفة في التحالفات القبلية. ولهذا كان إمساك الأعشى عن التحدث عن قومه وعياً شعرياً منه حتى لا يبدو في منزلة تنافس منزلة قيس، ولتكون القوة لقيس وحده فيحافظ الأعشى بهذا البناء الشعري على الطابع العام الذي يلون القصيدة كلها.

ويمضي الأعشى مواصلاً تفخيم جانب ممدوحه قيس وتضخيم معاني قوته إلى درجة أن جعله المنقذ للناس إذا فسدت الأمور واضطربت أحوالهم؛ وفي حديثه عن هذا المعنى استعان بصورة تحتوي على شخصية خائفة ضعيفة التزاماً بمبدئه الشعري في قصيدته هذه، القائم على إضعاف كل شخصية عدا شخصية قيس:

فإني وجدِّكَ لولا تجئ
لقد قلقَ الخُرتُ أن لا انتظارا
كطوفِ الغريبةِ وسطَ الحياضْ
تخافُ الرَّدى وتريدُ الجفارا

ويواصل الأعشى هذا النهج فيصور نفسه مأسوراً مهزوماً ضعيفاً حتى جاءه قيس فخلّصه من آسريه بقوته وشجاعته:

فيا ليلةً ليَ في لَعْلَعٍ
كطوفِ الغريبِ يخافُ الإسارا

فلما أتانا بُعيدَ الكرى

سجدنا له ورفعنا عَمَارا[٨٩]

وحين بدأ الأعشى التغنّي بمديح قيس أسبغ عليه أشد معاني القوة والشجاعة والبطولة الحربية، وهو إنما قصد إلى ذلك قصداً لإرضائه من ناحية، ولتنبيه قومه من بكر إلى ضرورة المسارعة إلى التحالف معه للاستظلال بفيء حمايته في زمن لا حياة فيه إلا للقوي:

أخو الحربِ إذ لقحتْ بازلاً

سما للعلا وأحلَّ الجِمارا

وساورَ بالنَّقع نقعَ الكثيـ

ـب عبساً ودودان يوماً سِواراً

فأقلَلْتَ قوماً وأعمرتَهم

وأخربتَ من أرضِ قومٍ ديارا

ويومٍ يُبيلُ النساءَ الدّما

جعلتَ رداءَكَ فيه خِمارا[٩٠]

ورأى الأعشى لزاماً عليه إبراز كل السمات التي يتحلى بها قيس أمام قومه البكريين، فالقوة وإن كانت هي أهم صفة في عرف ذلك المجتمع إلا أن هناك صفات أخرى لازمة ذهب الأعشى إلى إبرازها في شخصية قيس كحماية الجار والحلم وحفظ العهد وحمل الثقل الكبير والكرم، بل وحتى التقى وصلاح الدين، وذلك لإظهار التكامل في شخصية قيس، وإثبات كونها نمطاً فريداً، ومكسباً لمن يقترب منه، وعزاً ونصراً لمن يتحالف معه:

إلى حاملِ الثقلِ عن أهله

إذا الدهرُ ساقَ الهَنَاتِ الكِبَارا

ومن لا تُفزَّعُ جاراتُهُ

ومن لا يُرى حلمُهُ مستعاراً

ومن لا تُضاعُ له ذمةٌ

فيجعلها بين عينٍ ضِمارا

هو الواهبُ المائةَ المصطفا

ةَ إما مخاضاً وإما عشارا[٩١]

ويرسم بعد ذلك صورة لتقاه مستعيناً بأداة التشبيه ليربط بها بينه وبين راهب معتكف دائم السجود والتضرع. وما يُلحظ في هذه القصيدة أن الأعشى لم يتوسع في الحديث عن كرم قيس، ولم يسأله المال إطلاقاً، بل اكتفى بتعريض موجز به لأنه لم يكن في موقف سؤال بل في موقف رسمي يؤدي فيه مهمة سياسية قَبَلية.

ومن هذا تظهر لنا يقظة الأعشى في عملية الصياغة الشعرية، واختيار المعاني، وترتيب الصور، وكيف استطاع ضبط قصيدته مع طولها لتعبر عن معنى محوري واحد يلف كل شرائحها، وهو حصر القوة على قيس وحده، وإبرازه في صورة البطل الحربي الذي تزين شجاعته سجاياه الكريمة، مع توجّه لافت لإضعاف كل شخصية أخرى غير هذه الشخصية المسيطرة على القصيدة.

وبهذه الوقفات التحليلية على طائفة من مدائح الأعشى يتجلى لنا قدر الوعي الشعري عنده، وعمق نظره في اختيار الصور وتوزيع اللوحات، ودقة معرفته بمسالك النفاذ إلى قلب الممدوح، مع صيانة ذاته عن ذل السؤال بالاكتفاء بالتعريض بالمال والتلميح به عبر استثارة كوامن العطاء لدى الممدوح بمهارة شعرية فائقة تلمّح ولا تصرِّح، وهذا ما ظهر جلياً في كل النصوص التي تناولها هذا البحث بالتحليل. وإلى جانب هذا ثبت من هذه الجولات التحليلية قدر تعقُّد العملية الشعرية لدى الأعشى واعتمادها الكامل على عمل فكري منظم، ووعي مثير في الاختيار والسبك والبناء، مع حرص واضح لديه على جعل النص قطعة

واحدة في الجودة بلا تفاوت بين أجزائه، أو ميل إلى العناية بمقطع المديح على حساب المقاطع الأخرى بوصف المديح مفتاح خزانة مال الممدوح، بل كان يعتني بكل شريحة عنايته بمقطع المديح، ويسكب في كل الشرائح طابع الموضوع الرئيس للقصيدة لتخرج مشدودة بكل شرائحها إلى سارية واحدة، تجسد معنى واحداً، وتعبر عن فكرة واحدة.

الهوامش

(١) قدامة بن جعفر، نقد الشعر؛ تحقيق كمال مصطفى.- ط٣ .- القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص ١٧.

(٢) يُنظر: عبدالقادر المازني، الشعر غاياته ووسائطه؛ تحقيق د.فايز ترحيني.- ط٢ .- بيروت: دار الفكر اللبناني، ١٩٩٠م، ص ٣٦. ومحمد حماسة عبداللطيف، الجملة في الشعر العربي .- ط١ .- القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص ٦.

(٣) تُنظر: مقدمة ابن خلدون؛ تحقيق علي عبدالواحد وافي.- ط٣ .- القاهرة: دار نهضة مصر، (د.ت)، ١٣٠٥/٣.

(٤) ديفد صمويل مرجليوت، نشأة الشعر العربي، ضمن مجموع دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، جمع وترجمة: عبدالرحمن بدوي.- ط٢ .- بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٦م، ص٨٩.

(٥) هلال الجهاد، فلسفة الشعر الجاهلي «دراسة تحليلية في حركة الوعي الشعري العربي».- ط١ .- دمشق: دار المدى للثقافة والنشر، ٢٠٠١م، ص ٥٢.

(٦) محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري «استراتيجية التناص».- ط٣ .- الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٢م، ص ٤٠.

(٧) للاستزادة في هذه القضية يُنظر: لطفي عبدالبديع، الشعر واللغة.- ط١ .- القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر، ١٩٩٧م، ص٤. وموسى ربابعة، جماليات الأسلوب والتلقي.- ط١ .- الأردن: مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م)، ص ص١٠٦-١٠٧. ومحمد حماسة، الجملة في الشعر العربي، ص٢٢.

(٨) الجاحظ، البيان والتبيين؛ تحقيق عبدالسلام محمد هارون.- ط٥ .- القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ٢٥٥/١.

(٩) المصدر السابق، ٢٥٥/١.

(١٠) المصدر السابق، ٢٥٩/١.

(١١) ابن جني، الخصائص؛ تحقيق محمد علي النجار.- ط٢ .- القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م)، ٤٧/١.

(١٢) المصدر السابق، ٤٧/١.

(١٣) عبدالقاهر الجرجاني، أسرار البلاغة: تحقيق محمود محمد شاكر.- ط١ .- جدة : دار المدني، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ص٣٤٢-٣٤٣.

(١٤) الطاهر لبيب، سوسيولوجيا الغزل العربي «الشعر العذري نموذجاً»، ترجمة: محمد حافظ دياب.- ط١ .- القاهرة: سينا للنشر، ١٩٩٤م)، ص٥٦.

(١٥) أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني .- ط١ .- بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ٨٦/٩.

(١٦) فالح شبيب العجمي، اللغة والسحر.- ط١ .- الرياض: د.ن، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص٦٠، وتُنظر أيضاً الصفحات: ٢٧، ٣٨، ٦٠، ٦٨، ١١٨.

(١٧) السعيد حامد شوارب، المدح في الشعر الجاهلي «رؤية جديدة»- ط٢ - القاهرة: أجيال لخدمات التسويق والنشر، ٢٠٠٨م)، ص١٩.

(١٨) محمد بن عمران المرزباني، الموشح «مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صنعة الشعر»؛ تحقيق علي محمد البجاوي - القاهرة: دار نهضة مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص ٢٣.

(١٩) يُنظر: الشعر والشعراء؛ تحقيق أحمد محمد شاكر - القاهرة: دار المعارف، د.ط، ١٩٦٦م، ١/ ٧٤-٧٥.

(٢٠) عبدالقادر الرباعي، جهود استشراقية معاصرة في قراءة الشعر العربي القديم - ط١ - عمّان: دار جرير للنشر والتوزيع، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص ٨٦.

(٢١) يُنظر: كتاب الصناعتين؛ تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم - بيروت: المكتبة العصرية، د.ط، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص ٤٣١.

(٢٢) العمدة في صناعة الشعر ونقده؛ تحقيق النبوي عبدالواحد شعلان- ط١ - القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ٣٦١/١.

(٢٣) الشعر والشعراء، ١/ ٥٠٤-٥٠٥.

(٢٤) الأغاني، ٣/ ١٣٢-١٣٣.

(٢٥) يُنظر: نقد الشعر، ص ص ٦٦-٦٧.

(٢٦) ديوانه؛ تحقيق محمد سعيد مولوي - ط١ - القاهرة: المكتب الإسلامي، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، ص١٩٧-١٩٨.

(٢٧) البيان والتبيين، ٣/ ٣٢٦.

(٢٨) الحيوان؛ تحقيق عبدالسلام محمد هارون - بيروت: دار الجيل، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ٣/ ١٢٧.

(٢٩) العمدة، ١/ ٤٨٥-٤٨٦.

(٣٠) الحيوان، ٣/ ٣٣٠.

(٣١) الحيوان، ٣/ ٣٥٨.

(٣٢) الحيوان، ٣/ ٣٨١.

(٣٣) الحيوان، ١/ ٢٣٨.

(٣٤) ديوانه؛ شرح وتعليق محمد محمد حسين - بيروت: المكتب الشرقي للنشر والتوزيع، (د.ط)، (د.ت)، القصيدة ٥٥، ص٣٢٩.

(٣٥) ديوانه، القصيدة ٢، ص ٥١.

(٣٦) ديوانه، القصيدة ٤، ص ٧١.

(٣٧) الصناعتين، ص ١٦١.

(٣٨) دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر - ط٣ - القاهرة: مطبعة المدني، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ص ٤٨١.

(٣٩) حسين الواد، جمالية الأنا في شعر الأعشى الكبير - ط١ - الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠١/، ص ١١٦.

(٤٠) شكري محمد عياد، اللغة والإبداع - ط١ - القاهرة: المطبعة الدولية، ١٩٨٨م، ص ١٠٨.

(٤١) ديوانه، القصيدة ٣، ص ٦٣.

(٤٢) زال زوالها: استفزت من الفزع.

(٤٣) سبأ الخمر: اشتراها للشرب لا للبيع. الجريال: صبغ أحمر.

(٤٤) غريبة: أي قصيدة غريبة لأنها تنتقل على أفواه الرواة.

(٤٥) الجزور من الإبل يقع على الذكر والأنثى. دعوت لحتفها: أي دعا لذبحها في الميسر. المقفرة: الصحراء، ونياطها: بُعد طريقها، يُقال: ناطت الدار: أي بعدت.

(٤٦) رذية: هالكة من الهزال.

(٤٧) حر بلاده: حر كل شيء وسطه. التنوفة: الصحراء. الجلال: جمع جُل وهو ما تلبسه الدابة لتصان به. القبال: زمام النعل وهو السير الذي تُشد به بين الأصبع الوسطى والتي تليها.

(٤٨) الصناعتين، ص ١٠٤.

(٤٩) النبيط: جيل من العجم، قيل سُموا بذلك لكثرة النبط عندهم وهو الماء. التجهّم: عبوس الوجه.

(٥٠) الهجين: الخيار من كل شيء. العوذ: الحديثات النتاج. زجى الشيء: دفعه برفق. القارح: هو ما تجاوز الخمس سنين. طمرّة: خفيفة وثّابة. القذال: جماع مؤخر الرأس.

(٥١) العوان: هي الحرب التي قوتل فيها مرة بعد مرة. مغمراً: جاهلاً لم يجرب الأمور. أجزالها: جمع جزل وهو ما عظم من الحطب ويبس.

(٥٢) العجاجة: الغبار. قفا الشيء: تتبّعه وسار على أثره. الرعال: جمع رعلة وهي القطعة من الخيل. شُزّب: جمع شازب وهو الضامر. الأنفال: الغنائم.

(٥٣) ململمة: مجتمعة. يذود: يدافع. نهالها: رماحها وسيوفها. النهال: العطاش. الجنة: الترس.

(٥٤) قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص ص ٦٩-٧٠.

(٥٥) ديوانه، القصيدة ٢، ص ٥١. رجيماً: مرمياً مقذوفاً مقتولاً. ريب المنون: صروف الدهر ومصائبه.

(٥٦) يجنّونه: يدفنونه.

(٥٧) صرف الدهر: نوائبه. الشارخ: الشاب. اليفن: الشيخ الكبير. أنسأه: أخّره وأجّله.

(٥٨) أُزن: من الزنى. المكورة: الممتلئة. بَشَر: جلد.

(٥٩) ذي شزن: غليظ. شانئ: مبغض. كاسف وجهه: عابس متغير.

(٦٠) ديوانه، القصيدة، ٣، ص٦٣، بيت ٢٠.

(٦١) السدير: أرض باليمن. والبُرد: الثوب المخطط. داثرات: مطموسة بالتراب. أُجُن: جمع آجن وهو الماء المتغير اللون والطعم لركوده. خب ريعانها: اضطرب سرابها. الدوسرة: الناقة الضخمة. جسرة: ضخمة. الفدن: القصر. تعاللتها: أخذت علالتها، والعلالة البقية من كل شيء. الصحصح: المستوي من الأرض. الردن: الخز.

(٦٢) محصد: مفتول، يعني السوط. المارن: اللين الذي قد ألانه الضرب.

(٦٣) المنن: جمع منة وهي النعمة والعطاء. بنو معاوية: رهط قيس بن معد يكرب. السنن: الوجوه والطبائع.

(٦٤) فالح العجمي، اللغة والسحر، ص ص ١٨-١٩.

(٦٥) رفيع الوساد: كناية عن علو المكانة. طويل النجاد: كناية عن طول القامة، والنجاد حمائل السيف. الدسيعة: الجفنة الكبيرة، كناية عن الكرم. العطن: المناخ.

(٦٦) الخلى: الرطب من النبات، يريد أنه ليس ضعيفاً حتى يتوعده أحد أو يهدده.

(٦٧) ديوانه، القصيدة ٤، ص ٧١. جذعانها: جمع جذع وهو ما بلغ الثالثة من الخيل. العجم: النوى. لفيظ: ملفوظ من الفم. فغِم: يُقال: فغم بالمكان أي أقام به ولزمه.

(٦٨) ألمّ بالقوم: زارهم زيارة قصيرة. واهٍ: ضعيف. منجذم: منقطع. أحجى: أفعل تفضيل من الحجا وهو العقل. انتهى: كفّ وارعوى. قدِم: أي قدِم على العيب رضىً به.

(٦٩) الصهباء: الخمر، والصهبة الحمرة. تمزز الشراب: تمصصه قليلاً قليلاً.

(٧٠) تضيّفتُ: نزلتُ ضيفاً.

(٧١) يهماء: عمياء مطموسة المسالك. عزفت الجن: صوّتت في المفاوز. آجنة: راكدة. سدم الماء: تغير وعلته الطحالب ووقع فيه التراب. الرسيم: ضرْبٌ من العدْو. جسرة: ضخمة. العذافر: العظيم الشديد من الإبل. الفنيق: الفحل المكرم عند أهله لا يُركب. القطم: الفحل الهائج. كتوم الرغاء: كناية عن أدبها. الذود من الإبل: ما بين الثلاث إلى العشر.

(٧٢) صباة الحلوم: فيهم طيش وجهل. الغشوم: الظالم الغاصب.

(٧٣) خام: نكص وجبن. الوتر: الثأر. أظعن وتره: نقله لأنه أخذ بثأره.

(٧٤) مزبد: يعلوه زبد الأمواج. جون: أبيض، وهو من الأضداد يُطلق على الأبيض والأسود. غواربه: أمواجه. الخلية: السفينة الكبيرة. القلاع: الشراع. جؤجؤ السفينة: صدرها. تكأكأ: تمايل من الخوف. كوثل السفينة: مؤخرها. الماعون في الجاهلية: كل عطاء.

(٧٥) نقد الشعر، ص ٨٥.

(٧٦) العمدة، ٢/٨٠٦.

(٧٧) المجترم: جامع الثمر. الخصاب: النخل، وقيل: الكثير الحمل منه. يردي: يعدو. سلطات: سنابك طوال. لُثّم: تلثمها الحجارة. النحوص: الحائل التي لم تحمل، وهي أسرع جرياً. المسحل: حمار الوحش. يستحم: يعرق.

(٧٨) القبة: الخيمة الضخمة. الأمم: جمع أم وهو رئيس القوم.

(٧٩) العوراء: الكلمة القبيحة. الرقم: الداهية. النفيّ: ما تناثر من القدر عند الغليان. ما تنتقم: لا يُؤخذ بثأرها.

(٨٠) رام: برح وزال. اخترمه الموت: أخذه، واخترمه المرض: أهزله.

(٨١) ديوانه، القصيدة ٥، ص ٨١. الجفار: موضع. الخمار: ما تغطي به المرأة رأسها، وكل ما ستر شيئاً فهو خماره.

(٨٢) اعترّه: عرض له.

(٨٣) الرهب: الناقة المهزولة. النسوع: السيور التي يُشد بها الرحل. الدف: الجنب. سطار: آثار. الدأي: الفقار. تلاحكنَ: تلازمْنَ. السليل: النخاع أو طرائق لحم طوال على الظهر.

(٨٤) ديوانه، القصيدة ٢، ص ٥١، البيت ٢٧.

(٨٥) ديوانه، القصيدة ٣، ص ٦٣، البيت ١٦.

(٨٦) ديوانه، القصيدة ٤، ص ٧١، الأبيات ١٦-١٩.

(٨٧) جمارا: جماعة، يقال: تجمّر القوم إذا اجتمعوا. ربكم: سيدكم. ظاهر: عاون.

(٨٨) قلق خرت فلان: أي فسد أمره، والخرت: ثقب الأذن والإبرة. الغريبة: الناقة الغريبة. الجفار: الآبار، جمع جفر.

(٨٩) لعلع: جبل كانت به وقعة. العمارة: ريحانة كان الرجل يحيي بها الملك.

(٩٠) البازل: البعير إذا بزل نابه أي ظهر. أحل الجمار: استباحهم، والجمار: ضبة وعبس والحارث بن كعب. النقع: غبار المعركة. ساور: واثب. أقللتَ قوماً: أي رفعتهم. أعمرتهم: أعطيتهم.

(٩١) الهنات: جمع هنة، وهي الشيء أياً كان. العين: الحاضر. الضمار: الغائب، أو ما لا تكون منه على ثقة. المخاض: التي دنت ولادتها. العشار: الحوامل.

المصادر والمراجع

- الأعشى، ميمون بن قيس، الديوان؛ شرح وتعليق محمد محمد حسين بيروت: المكتب الشرقي للنشر والتوزيع، (د.ط)، (د.ت).
- الأصبهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني ٠- ط١ ٠- بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. البيان والتبيين؛ تحقيق عبدالسلام محمد هارون ٠- ط٥ ٠- القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. الحيوان؛ تحقيق عبدالسلام محمد هارون ٠- بيروت: دار الجيل، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
- الجرجاني، أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن. أسرار البلاغة؛ تحقيق محمود محمد شاكر ٠- ط١ ٠- جدة: دار المدني، ١٤١٢هـ/١٩٩١م. دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر ٠- ط٣ ٠- القاهرة: مطبعة المدني، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- ابن جعفر، أبو الفرج قدامة، نقد الشعر؛ تحقيق كمال مصطفى ٠- ط٣ ٠- القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص؛ تحقيق محمد علي النجار ٠- ط٢ ٠- القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م.
- الجهاد، هلال، فلسفة الشعر الجاهلي «دراسة تحليلية في حركة الوعي الشعري العربي» ٠- ط١ ٠- دمشق: دار المدى للثقافة والنشر، ٢٠٠١م.
- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون؛ تحقيق علي عبدالواحد وافي ٠- ط٣ ٠- القاهرة: دار نهضة مصر، (د.ت).
- ربابعة، موسى، جماليات الأسلوب والتلقي ٠- ط١ ٠- الأردن: مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م.

- الرباعي، عبدالقاهر، جهود استشراقية معاصرة في قراءة الشعر العربي القديم -ط١ - عَمّان: دار جرير للنشر والتوزيع، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
- ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده؛ تحقيق النبوي عبدالواحد شعلان -ط١ - القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- شوارب، السعيد حامد، المدح في الشعر الجاهلي «رؤية جديدة» -ط٢ - القاهرة: أجيال لخدمات التسويق والنشر، ٢٠٠٨م.
- عبدالبديع، لطفي، الشعر واللغة -ط١ - القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر، ١٩٩٧م.
- عبداللطيف، محمد حماسة، الجملة في الشعر العربي -ط١ - القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
- العبسي، عنترة بن شداد، الديوان؛ تحقيق محمد سعيد مولوي -ط١ - القاهرة: المكتب الإسلامي، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.
- العجمي، فالح شبيب، اللغة والسحر -ط١ - الرياض: د.ن، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله، كتاب الصناعتين؛ تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم - بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، (د.ط).
- عياد، شكري محمد، اللغة والإبداع -ط١ - القاهرة: المطبعة الدولية، ١٩٨٨م.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم، الشعر والشعراء؛ تحقيق أحمد محمد شاكر - القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٦م، (د.ط).
- لبيب، الطاهر، سوسيولوجيا الغزل العربي «الشعر العذري نموذجاً»، ترجمة: محمد حافظ دياب -ط١ - القاهرة: سينا للنشر، ١٩٩٤م.
- المازني، عبدالقادر، الشعر غاياته ووسائطه؛ تحقيق فايز ترحيني -ط٢ - بيروت: دار الفكر اللبناني، ١٩٩٠م.
- مرجليوث، ديفد صمويل، نشأة الشعر العربي، ضمن مجموع دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي؛ جمع وترجمة عبدالرحمن بدوي -ط٣ - بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٦م.
- المرزباني، أبو عبيدالله محمد بن عمران، الموشح «مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صنعة الشعر»؛ تحقيق علي محمد البجاوي - القاهرة: دار نهضة مصر، (د.ط)، (د.ت).
- مفتاح، محمد، تحليل الخطاب الشعري «استراتيجية التناص» -ط٢ - الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٢م.
- الواد، حسين، جمالية الأنا في شعر الأعشى الكبير -ط١ - الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠١م.

«الأزمة الماليّة العالميّة» في عناوين الصحافة العربيّة

ناصر بن عبدالله الغالي

أستاذ علم اللغة الاجتماعي المساعد - معهد اللغة العربية

جامعة الملك سعود

منصور بن مبارك ميغري

أستاذ علم اللغويات المساعد - معهد اللغة العربية

جامعة الملك سعود

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث جانباً من خطاب الصحافة العربيّة حول «الأزمة المالية العالميّة» لسنة ٢٠٠٨م مركزاً على فحص عناوين المادّة الخبرية في ثلاث صحف ضمن فترتين زمنيتين مختلفتين وبالتركيز على مجالين جغرسياسيين مختلفين . ينطلق البحث من افتراض أنّ العنوان حدث اتصالي ذو خصائص شكلية ومعنوية تعمل متضافرة لتحقيق أهداف اتصالية قد توافق جزئيّاً أهداف «عقد التواصل الإعلامي «ولكنّها تتجاوزها فتؤمّن وظائف أخرى كالتمكين للمواقف السياسية من الأزمة وتحمُّل ونشر مضامين إيديولوجيّة وتمثّلات سائدة أو مرغوبة. ويستهدف البحث متوسّلاً بآليات تحليل الخطاب، استقراء الخصائص التركيبيّة والدلاليّة والاتصاليّة التي تجعل العنونة استراتيجيّة خطاب لمدلولاتها ورهاناتها الضمنيّة أهمية تفوق المصرّح به غالباً.

الكلمات المفتاحية:

العنوان، الخبر الصحفي، تحليل الخطاب، استراتيجيّة خطاب، الحدث الاتصالي، الأزمة المالية العالمية.

١ - القسم النظري: الفرضيات والإجراءات المنهجيّة

هذا البحث قراءة في خطاب العنونة ضمن الخبر الصحفي العربي حول «الأزمة المالية العالمية». وهي قراءة يوجهها عدد من الضوابط النظرية والمنهجيّة بيانها في الفقرتين الآتيتين؛نرسم في الأولى مفهوم العنوان ونوضّح في الثانية فرضيات البحث الأساسيّة والإجراءات المنهجيّة المعتمدة فيه.

١، ١ - العنوان الصحفي: تعريفات ومداخل.

ما «العنوان الصحفي»؟ قد يبدو السؤال ساذجاً ولكن ما إن نشرع حقاً في محاولة الإجابة عنه حتّى نصطدم بصعوبة المهمّة فعليّاً. فهذه الظاهرة التي هي جزء من حياتنا اليومية الأكثر بساطة وروتينية تنطوي في الواقع على مستويات من التعقيد لا يمكن للمرء أن يتوقعها حقّاً، فمن أي زاوية نعرّف العنوان؟ أمن جهة كونه بنية لغويّة أم من حيث هو عمل اتصالي أم بالنظر إلى وظائفه المتعددة؟ وهل هو كيان خطابي قائم بذاته أم مجرد ملفوظ قد نُصب دليلاً على غيره؟ فلا وجود في واقع الأمر لتعريف للعنوان غير ملتبس، وما استعمالنا للفظ إلاّ

استعمال حدسي عفوي لا يكاد يختلف في شيء عن طريقة تداولنا لآلاف المفردات التي نتواطأ عادة على عدم التوقّف عند مدلولاتها الدقيقة تجنباً لسوء التفاهم وتأميناً لمبدأ التعاون في نشاط التواصل الاجتماعي. ضمن هذا المستوى الأدنى يعرّف العنوان بأنه جملة العناصر اللغويّة المكّونة للملفوظ الموافق للسطر الواقع أعلى الخبر(٢) في الصحيفة والذي يعبّر للقارئ عمّا يدور الخبر حوله(٣)، والعادة فيه أن يكتب بخطّ وبنط مختلفين عما يلي من أسطر المتن وأن يكون تشكيله تبعاً لقواعد عامّة أو مميّزة لصحيفة بعينها وبما يؤمِّن شدّ انتباه القارئ من بعد محسوب.

إذا كان التعريف السابق عامّاً بدرجة ليس مهمّاً معها أن نتقصّى عن الجهة المعرفية التي يصدر عنها، فإن اعتبار مقولة وجهة النظر ودورها في تشكيل موضوعات المعرفة يقودنا إلى تمييز أربع مقاربات متمايزة لظاهرة العنوان الصحفي وهي: المقاربة الاتصاليّة، والمقاربة اللسانيّة، والمقاربة النصّية، والمقاربة من منظور تحليل الخطاب، وليس من شك أن بين هذه المقاربات مظاهر من التداخل تفسّرها من بين أشياء أخرى وحدة الموضوع.

العنوان الصحفي من منظور الدراسات الإعلاميّة:

العنوان في منظور علوم الأخبار والإعلام حدث اتصالي وهو يعتبر في سياق بنية الخبر أحد الأعمدة أو الأجزاء الثلاثة الرئيسية المكوّنة لهذا الجنس من أجناس الكتابة الصحفية وهي: العنوان the headline، والمقدمة the lead وجسم الخبر the body(٤). ويتميّز العنوان بخصائص تيبوغرافية مميّزة ترشد القارئ إلى توزيع الموضوعات وتميّز موضوعاً من موضوع آخر.» وتفيد العناوين تحريرياً في تلخيص مضمون الأخبار والموضوعات المختلفة بحيث يمكن أن يكتفي القارئ المتعجل الذي لا يجد الوقت الكافي لقراءة موضوع ما بقراءة العناوين فقط»(٥).

وتتمثل الخصائص التيبوغرافية في اختلاف الخطّ والبنط واللون بما يجعل الإخراج الطباعي للعنوان واضحاً سهل القراءة، وتوجد في هذا المجال أدبيات كثيرة وتقنيات مختلفة يُفترض أن تكون موضوع تفاوض بين جهة التحرير وجهة تنفيذ الإخراج المادي للصحيفة.

و أمام وجود طرائق متعددة في توزيع العنوان ضمن فضاء الصفحة المخصص فإن له من حيث الاستخدام أقساماً تضبطها أدلّة التحرير الصحفي من أبرزها التقسيم إلى:

١ - عنوان رئيسي: هو العنوان الأساسي الذي يلخص مضمون الخبر ويحتوي على القدر الأعلى من كم الإخبار.

٢ - عنوان تمهيدي من شأنه أن يوطئ للعنوان الرئيسي دون أن يحمل إخباراً مفيداً كثيراً ما يكتسي طابعاً مرجعياً.

٣ - عنوان فرعي: وعادة ما يكون للفقرات المكونة لمتن الخبر إذا طال. لكن أكثر استعماله في التحقيقات والتقارير والمقابلات الصحفية .

٤ - عنوان ثابث: مثل عنوان الصفحة والركن والعمود في مقالات الرأي، وهو عنوان إطاري مرجعي يعين مجالاً أو اختصاصاً أو يقترن بكاتب بعينه.

ويتداول المحررون في شأن العنوان مجموعة من أصول الصنعة وقواعدها كما يقال، هي عبارة عن تعليمات وتوصيات ذكر عدداً منها نبيل حدّاد(٦)، يهمّنا من بينها ما يقترب من المعايير اللغوية والأسلوبية. ونوردها فيما يلي:

١- يستحسن في العنوان متعدد الأسطر أن يكون كل سطر وحدة لغوية مستقلة تؤدي معنى كاملاً.
٢- لا يتحمّل العنوان أي كلمة زائدة يمكن الاستغناء عنها.
٣- تُتجنب في العنوان صيغ المبني للمجهول وتختار صيغ الإثبات لا النفي.
٤- الأفضل استعمال المضارع أو الصيغ المصدرية وتجنب السين وسوف في الدلالة على الزمان المستقبل.
٥- من الأهمية أن يكون العنوان موضوعياً لا يحمل رأي المحرر أو توجهه.

العنوان في المقاربة النصيّة:

ينتمي العنوان في نطاق المقاربة النصية، إلى مجموعة من الظواهر المشابهة له وظيفياً مثل أسماء المؤلفين والمقدمات وعبارات الإهداء والتنبيهات والهوامش والمقتبسات وأنواع أخرى من العلامات والإشارات تكوّن ما يُسمّى في بعض مدارس النقد المعاصر: نصّاً موازياً[٧] Paratexte ، وهي عبارة عن سوابق ولواحق ومرافقات نصيّة وغير نصيّة تحيط بالمتن سواء من الداخل أو من الخارج وتتصل به بصفة مباشرة أو غير مباشرة وقد شاع التعبير عنها بـ «خطاب العتبات»[٨]. ويندرج الاهتمام بها ضمن سياق نظري وتحليلي عام يعتني بإبراز ما للموازيات من وظيفة في فهم خصوصية النصوص وتحديد جانب أساسي من مقاصدها الدلالية وقد أضحى هذا، في الوقت الراهن، مصدراً لصياغة أسئلة دقيقة تعيد الاعتبار لهذه المحافل النصيّة المتنوعة الأنساق وقوفاً عند ما يميّزها ويعيّن طرائق اشتغالها»[٩].

وينطوي وضع العنوان عامة والعنوان الصحفي بوجه أخصّ، ضمن هذا المقترب على إشكالية يصوّرها السؤال التالي: هل العنوان علامة نُصبت لتدل على غيرها ممّا في المتن بحيث لا يكون لها من كينونة أخرى عدا كونها عتبة لغيرها؟ أم العنوان محفل نصيّ قائم الذات وكيان خطابي مكتف بنفسه له مقوماته الخاصّة اللسانية والعلاميّة ؟

إنّ العنوان بالاعتبار الأول عتبة لنصّ الخبر لا ينفصل عنه ولهذا فإنّه يمثل جزءاً من عناصر البنية الكلية له يحقق وظيفتي التسمية والإشهار ويتوخّى، إذ يتركّب من عناصر لغوية وغير لغويّة، تكثيف مضمون الخبر والإعلان عن جانب من قصديّته الخاصّة التي لا تكتمل مقوماتها إلاّ باكتمال قراءة النص الأكبر. من هنا تأتي أهمية الوظيفة الاستدراجيّة التي تنهض بها الخصائص اللسانية والعلامية. فالعناوين الجيّدة تخبر وتبيع في آن واحد على حدّ العبارة الإنجليزية، The best headlines both «tell and sell» .

و العنوان بالاعتبار الثاني، محفل نصيّ مستغن بذاته له تشكيل دلالي مستقل وله قدرة على إنتاج معنى هو عبارة عن علاقة اجتماعية ملموسة بين متخاطبين في فضاء التفاعل الاجتماعي الذي يكرّسه «عقد التواصل الإعلامي»، مما يمكن أن يبرّر دراسته في ذاته، بقصر النظر على مميزاته الموضعيّة من الناحيتين البنيوية والوظيفيّة وصولاً إلى استكشاف طبيعة الخصائص التداوليّة الكامنة والتي تمنح التفكير فيه موقعه ضمن نظريات تحليل الخطاب[١٠].

العنوان في المقاربة اللسانية:

تبدو الخصائص اللغوية المميّزة للعنوان من حيث هو ملفوظ لغوي مترتبة على حقيقة أنّ الهدف الأساسي منه هو تبليغ فكرة واضحة باستخدام أقل قدر ممكن من المواد اللفظية بما يتناسب مع ضيق الفضاء المتاح.ينتمي

العنوان باعتبار هذا إلى طائفة من أنواع الخطابات ذات الخصائص البنيوية المشتركة مثل البرقيات والمذكرات والعبارات المستعملة في الإعلان والملصقات والوصفات الطبيّة والنشرات الدعائية. وتجمع هذه الخصائصَ عبارةُ «اللغة القالبية» block language، التي تشير إلى الحضور الطاغي للتحويلات بحذف الروابط والكلمات النحوية والاختزال الاسمي واستعمال الصيغ المصدرية في ما يسمى «جميلات» minor sentences فضلاً عن جملة من الخصائص الشكلية الأخرى[١١]. ومن الناحية التداوليّة تهيمن في لغة العنوان، في الأخبار خاصّة، الجملة الخبريّة بحكم تمحّضها الأصلي لإنشاء الأعمال اللغوية التقريرية الإثباتية. وتعمل صيغ الاستفهام وأبنية التعجّب والطلب بدائل أسلوبية للجملة الخبرية في سياقات محدودة عموماً وفي ارتباط بوظائف خطابية بلاغيّة[١٢].

العنوان من منظور تحليل الخطاب: نحو مفهوم جامع:

يفضي استصفاء أهم الخصائص المميّزة لتعريف العنوان الصحفي ضمن المقاربات الثلاث التي استعرضناها أعلاه إلى صياغة تعريف إجرائي جامع نتوسل به في القسم التطبيقي أدناه إلى تنظيم المعطيات الجزئيّة وتحليل ما بينها من العلاقات:

نعتبر العنوان محفلاً نصيّاً قائماً بذاته ذا تشكل لغوي وعلامي متميّز وقدرة، في سياق التواصل الإعلامي، على إنتاج قيمة معنوية تامّة هي عبارة عن علاقة تخاطبيّة ذات بعدين: بعد القصد إلى الإخبار عن الأحداث الجارية؛ وبعد القصد إلى التأثير واستدراج الجمهور القارئ إلى تمثلات بعينها حول الأحداث. يهيؤ العنوان للاضطلاع بهذا الدور كونُه حدثاً اتصالياً ذا بنية مركّبة من ثلاث طبقات: من شكل لغوي وبنية دلاليّة وعمل اتصال.

٢، ١ - الفرضيات والإجراءات المنهجيّة:

تستند القراءة من الناحية النظرية إلى:

- رصيد الفرضيات والمفاهيم التي يقدمها الفرع المعرفي المدعو بتحليل الخطاب، حيث ينظر إلى اللغة على أنها أبعد من أن تختزل في وظيفة تسمية الموجودات وتمثيلها في ذهن الإنسان تمثيلاً مطابقاً، ويسود اعتقاد بأنّها، في الاستعمال أداة عمل وتأثير. فرعاية العلاقات الاجتماعية والتمكين للمواقف الفئوية والذاتية وتحمّل المضامين الأيديولوجية ونشرها ليست من الوظائف اللغوية الهامشية كما يسود الاعتقاد ضمن المقترب البنيوي الكلاسيكي، بل هي من صميم ما يضطلع به الخطاب في الحياة الاجتماعية. فالخطاب حركة تخرج النص من الإمكان الماثل في قواعد اللغة إلى الوجود القائم في استعمال الناس فتجعله ركناً في العلاقة التي يؤسسها عمل التلفظ بين المتكلّم والمخاطب تؤطره إحداثيات زمانيّة ومكانيّة ويوجهه غرض أو غاية سيق من أجلها الكلام[١٣]. لذلك فإنّ مفاهيم العمل اللغوي والمتكلم والمخاطب والسياق والإحالة وسياسة المتلقي أساسية هنا وسيأتي ذكرها في موضعه.
- تعريف الخطاب الصحفي على أنّه الإنتاج اللغوي المكتوب الذي تؤمنه مؤسسة الجريدة بمقتضى «عقد التواصل الإعلامي». وهو عقد ينشأ بين طرفين: منشئ الخطاب الصحفي (وهو جهة مركبة متعددة يُعبّر عنها المحرر الصحفي الذي قد يمضي

المقال وقد لا يمضيه، تعبيراً كنائياً) والجمهور المستهلك لهذا الخطاب (وهي جهة ليست أظهر تعيّناً من الجهة المنتجة، وأقرب إلى الصورة الذهنيّة التي يرسمها منشئ القول لخصائص الفرد المتقبل لخطابه). وبينهما علاقة يصفها العقد صراحة بمفردات القصد إلى الإخبار عن الوقائع (أخبرك بأنّ الحادث الفلاني قد جدّ في الزمان (ز)، والمكان (م) إلخ....) وتفسيرها: حدث ما حدث على الصورة (ص)، وتبيّن أنّ أسبابه هي (س) وإبداء الرأي فيها (بمقتضى العقد الذي بيننا أفيدك برأيي في الموضوع (ض)، وهو موضوع يُفترض أن يشغلك بحكم كونك طرفاً في العقد الأشمل الذي هو العقد الاجتماعي) وتوصف ضمناً بمفردات القصد إلى التأثير وعطف الرقاب الذي يبرّر المبادرة إلى أخذ الكلمة في كلّ عمل لغوي[١٤].

أمّا المقام الاجتماعي اللغوي، فهو عبارة عن جهاز ينظّم إنتاج الخطاب ويتضمّن عدداً من الفاعلين، الذين يتداولون على أنماط أساسيّة من الأدوار، يحصرها شارودو في خمسة أنماط هي[١٥]:

- البحث عن المعلومة: ويصل هذا الدور الصحيفة بمصادر الخبر كوكالات الأنباء والمراسلين الميدانيين والشهود إلخ...
- تقويم المعلومة، مما يفضي إلى عملية اختيار ما هو «جدير» بأن ينشر على الناس وفق معايير متعددة يخضع بعضها لأهمية المادة الإعلامية نفسها وبعضها الآخر لاعتبارات معقدة كخط التحرير الخاصّ بالصحيفة ومقدار الحريّة المتاح للإعلام، ودرجة التفاعل المتوقع من الجمهور.
- إبلاغ المعلومة، وهو ما يفرض إخراجاً خاصّاً في ضوء المقاصد القائمة والآثار المراد إحداثها، بالتصرّف في طرق السرد والوصف، وفي كمّ المادّة النصيّة وموضعها من العدد ومن الصفحة.
- التعليق على المعلومة، بإنتاج خطاب تفسيري ينظم العلاقات بين الأحداث والأقوال.
- إثارة النقاش، من خلال عرض وجهات نظر الفاعلين الاجتماعيين المختلفين حول الحدث الواحد.

لا يهتم البحث بمجمل الخطاب الصحفي، بل يكتفي منه بأكثر أجناسه أهمية وهو الخبر. ونتبنّى في شأن الخبر التعريف الآتي:

- الخبر الصحفي: تقرير عن حدث أو قول مستجدّ يقدّر جهاز التحرير في الصحيفة أنّ من الضروري إحاطة جمهور القراء بفحواه. وتخضع صياغة الخبر، بعد الاختيار[١٦]، إلى معايير أو تعليمات خطابيّة.
- فمن الناحية البنائيّة، يُفترض في الخبر أن يكون نوعاً من السرد الموقوت للأحداث والكشوف والآراء، يجيب عن ستة أسئلة هي: من؟ ماذا؟ متى؟ أين؟ لماذا؟ كيف؟ ومن الناحية التلفظيّة يفترض في صياغته أن تتّسم بنبرة «موضوعيّة» محايدة، ممّا يعني عدم مناسبة الصيغ الشخصيّة، والعناصر اللغوية المشحونة بالذاتيّة لمقام الخبر.
- ومن الناحية العلاميّة يبنى الخبر تبعاً لمواضعات مستقرّة في أدبيات التحرير الصحفي كثنائيّة العنوان والمتن، ويخضع موقعه من الصحيفة لاعتبارات الأهميّة والجدّة والمجال الذي يتعلّق به محتواه الإخباري.

ويتركز الاهتمام في دراسة الخبر على مقوّم واحد من مقوماته العلامية هو العنوان.

- الأزمـة الماليّة/ العالميّة» هي التسـمية التي كرّسـتها المدوّنة التي نشتغل عليها لسلسلة من :
- الأحداث الماديّة الاقتصادية والماليّة والاجتماعيّة.
- و مجموعة من الإجراءات والقرارات السياسيّة.
- وعـدد مـن الأحـداث الكلاميّـة كخطابـات الزعماء وتصريحات المسؤولين وتقارير الخبراء إلخ...

ولا بدّ من التأكيد هنا على جانب من الأهمية الذي تكتسيه التسمية، لاسيّما إذا اعتبرنا تفوّقها العددي على التسميات الموازدة لها[١٧].

وقـد أُخضِـع البحث في عناويـن الأزمـة إلى مجموعة مـن الإجـراءات المنهجيـة للمسـاعدة في حصـر المدونة وانتقـاء العناويـن، ويجدر بنـا التنويه هنـا إلى أنّ المدونة المعتمـدة قـد ضـبطت في الواقع في ضـوء أهـداف بحثية تتجاوز النطاق الذي يتحرك فيه هذا المقال. فقد اختيرت الصحف الثلاث: «الشرق الأوسط» و«الأهرام» و«الجزيرة السعودية»، وضـبطت الفترة الزمنية الممتدة من ١٦-٠٩-٢٠٠٨م إلى ٢١-١٠-٢٠٠٨م، وهو ما يعادل خمسة أسابيع كاملـة من أجل النظـر في وجوه تمثل الخطاب الصـحفي العربي «للأزمة الماليـة العالمية» والطرق التي أخرجها بها للناس[١٨]. وقد تطلّب الاهتمام بالعناوين دون المتن تعديلات ضرورية على مبادئ اختيار المادة موضوع الفحص.

تمهّد الأرضيّة النظرية التي عرضناها أعلاه للقسم التطبيقي، وفيه ينصبّ الاهتمام على معطيات مستمدّة من الجدول والقائمتين المكوّنة للملاحق عدد (١ و٢ و٣). أعدّ الجدول في الأصل لتكميم المادّة الخبرية في الصحف الثلاث على امتداد الأسابيع الخمسة الأولى من اندلاع الأزمة وتحولها إلى حدث إعلامي، وبالنظر إلى متغيّر رئيس هو توزّع مجال الأخبار بين الدولي والمحلي. يراد بالدولي اصطلاحاً هنا المجال الجغرسياسي الشامل لأمريكا وأوروبا أساساً ويقصد بالمحلي المجال العربي إمّا الأوسع وإمّا القطري[١٩]. وأعدّت القائمتان خصيصاً لهذا البحث.

غـير أنّ اتجـاه البحث ليس كميّاً بقدر ما يسـتهدف ترجمـة القيم الكميّـة إلى دلالات نوعيّـة. إنّ المنطلق هو الملاحظة الآتية: تشـير العناصـر الإحصـائيّة للأسبوع الأول إلى أن الصـحف الثـلاث قـد تعاملـت مع الحدث باعتباره حدثاً دوليّاً بالأساس، لكنّ هذا المنحى في تصوّر الوقائـع سـيتمّ تعديله تدريجيّـاً، تعديلاً يبلـغ منتهاه في الأسـبوع الرابع ، حيث تنقلب القيم الإحصـائيّة لتعكس تصوّر للأزمة على أنّها حدث يجري «هنا».

ويهدف البحث من خلال استنطاق أهم الخصائص الشكليّة والدلالية والاتصاليّة في عناوين الأسبوعين الأول والرابع إلى الإجابة عن الأسئلة الثلاثة الآتية:

- كيف صوّر خطاب العنونة في الصحف الثلاث حدث الأزمة في المرحلتين؟
- مـا أثر المتغيّر الدولي/ المحلّي في تعديل اسـتراتيجية خطـاب العنونـة وفي الكشـف عـن الرهانـات غـير الإعلاميّة في الخطاب الصحفي العربي؟
- أيّ موقع لعناوين «الأزمة» في الخطاب الصحفي العربي بين بعدي القصدِ الصريح إلى إخبار القارئ والمناورة الضمنيّة من أجل التأثير؟

٢ - القسم التطبيقي:

يتضمّن القسـم التطبيقي من البحث فحصاً لعناوين المـادّة الإخباريـة في الصـحف الثـلاث ضـمن الفترتين الزمنيتين المشـار إليهما أعلاه وبالنظر إلى الخصـائص الثـلاث المعرّفـة للعنوان مـن حيث هو حدث اتصـالي أي باعتبار خصائص التركيب والبنية الدلاليّة وعمل الاتصال.

٢،١ - تحليل عناوين الأسبوع الأول: الأزمة «هناك» خصائص التركيب:

تكاد تكون السمة الغالبة التي لا تخطئها العين في عناوين الأسبوع الأول في المدونة الإخبارية التي نشتغل عليها هي الطول الظاهر. فغالبية العناوين عبارة عن نصوص كاملة تتكون من متتاليات من الجمل الأصلية أو المحولة.

وتترجم النماذج الواردة أدناه هذه السمة في الصحف الثلاث:

أ - انهيار خطير في أسواق المال وتراجع حاد بالبورصات الكبرى.. الأزمة المالية العالمية تضرب بقوه وتجبر أكبر رابع بنك أمريكي على إشهار إفلاسه .. الاحتياطي الفيدرالي يضخ ٧٠ مليار دولار في الأسواق لتوفير السيولة .. وبوش يتعهد باحتواء الأزمة (الأهرام).

ب - إفلاس مصرفي يهز وول ستريت.. وتحذيرات من انهيار النظام المالي الأمريكي .. تراجع حاد يغلق معه المؤشر خاسراً ٥٠٤ نقاط (الجزيرة).

ج - البنوك المركزية تضخ مليارات الدولارات بعد إفلاس رابع أكبر بنك أميركي.. وبيع ميريل لينش (الشرق الأوسط).

ولئن كانت هذه الخاصية لا تبدو متسقة مع منطق «نحو العناوين» واللغة القالبية كما ذكرناه في المدخل اللساني أعلاه فإن لها ما يبررها. إن جدّة الحدث تفرض منطقها على اللغة وتعيد عملية الإبلاغ إلى محدداتها الأولية باعتبارها حركة مراوحة بين الوفاء بمدلول الرسالة من ناحية والاقتصاد في اللفظ من الناحية الثانية. على أننا لا بد أن نشير إلى التفاوت الظاهر في توظيف هذه الخاصية بين الصحف الثلاث، ففحص الملحق المتضمن للعناوين يبيّن بوضوح أن عناوين الأهرام المصرية هي الأكثر إطناباً وتطويلاً بينما تبدو هذه الخاصية أقل أهمية في الشرق الأوسط. لا نملك تفسيراً مقنعاً لهذا الفرق وإن كنا نخمّن أن طبيعة الجمهور المستهدف وكذلك تقاليد التحرير الصحفي السائدة لهما دور فيها. فكون «الشرق الأوسط» صحيفة «نخبوية» تتجه إلى قارئ من طراز مثقف يبرر الاختصار في عدد الوحدات المعجمية والنحوية المكونة للعنوان مقابل التعويل على دور الواسمات الصرفية والدلالية وكذا المداليل الإيحائية في الإحاطة بعناصر الرسالة الإعلامية الموكول إلى العنوان تأديتها وبما لا يؤثر في اضطلاعه بوظائفه العلامية بلفت انتباه القارئ وحفز الرغبة في قراءة المقال وبوظائفه الإيديولوجية بالتركيز على عنصر الجدّة في المحتوى. هذه الخصائص المميزة لعناوين الأزمة في الصحيفة المذكورة تبدو واضحة في أول عنوانين ظهرا فيها:

أ - أزمة أسواق المال: الأسوأ منذ قرن (الشرق الأوسط ١٦-٠٩).

ب - «تسونامي» يضرب أسواق المال العالمية بعد انهيار بنك ليمان براذرز الأميركي (الشرق الأوسط ١٦-٠٩).

ولكن مهما كان مدى هذا الفرق فإنه لا يؤثر في الجانب الوظيفي للعناوين حول الأزمة، ففي الحالتين وبالنظر إلى طابع الجدّة في الحدث فإن العناوين الأولى في الصحف الثلاث تكتسي أهمية من حيث أنها ستصبح عناوين عليا ذات طابع مرجعي خلافاً للعناوين اللاحقة التي ستظل عناوين إخبارية[٢٠].

فالعناوين الأولى هي التي تسمي الحدث: «(ال) أزمة المالية العالمية» «(ال) إفلاس (ال) مصرفي» «أزمة أسواق المال»، وإحداثياته الجغراسياسية: («البورصات

الكبرى» «وول ستريت» «النظام المالي الأمريكي») وأهم توصيفاته الكمية والنوعية: («٧٠ مليار دولار» «٥٠٤ نقاط» «انهيار خطير» «تراجع حاد» «الأسوأ منذ قرن»).

ومن شأن هذه التسميات والإحداثيات والتوصيفات أن تتحول إلى مراجع تستقطب فئات مختلفة من العناوين ذات مواضيع شتى ككرة القدم ودفن الموتى والحياة الخاصة لموظفي البنوك:

أ - الأزمة المالية تلقي بظلالها على كرة القدم الأوروبية. (الشرق ٠٩-١٠).

ب - الأزمة المالية تؤجل دفن الموتى في بريطانيا (الجزيرة ١٣-١٠).

ج - رجال البنوك فقدوا وظائفهم وزوجاتهم (الأهرام ١٢-١٠).

وأما العناوين اللاحقة الإخبارية فينحصر دورها في تعهد الخبر المرجعي من خلال آلية الإعادة بتنويعات محدودة تولّد إحساساً بالاستمرارية والثبات فيتكرس الخبر بحيث لا يفقد مكانته طالما ظل مؤثراً في المشهد الإعلامي وفي ما وراء المشهد الإعلامي[٢١] ولا يمكن أن تتحول إلى عناوين مرجعية إلا مع حصول تحولات دراماتيكية من شأنها أن تغير زاوية النظر إلى الأحداث أي أن تحوّر في صيرورة تمثلها فتعدّل في طريقة إخراجها، وهذا جانب قد ينطوي على قدر كبير من المناورة والتلاعب بالمعلومة لحساب أجندات سياسية حكومية أو معارضة وهو ما سنتبين جزءاً منه في تحليلنا لعناوين الأسبوع الرابع من مدونتنا.

الخصائص الدلالية:

تنطوي عناوين الأسبوع الأول من تغطية الصحف الثلاث لحدث الأزمة المالية باعتبارها حدثاً دولياً على حزمة من الخصائص الدلالية المميزة. هذه الحزمة يمكن تنظيم جزئياتها في عدد من المحاور هي: التسمية، ومخصصاتها، ومبيناتها.

أ - التسمية:

يكشف فحص جداول أول العناوين التي خرجت بها الصحف على الناس عن مجموعة من المفردات والعبارات التي تبناها المحررون في تسميتهم الحدث.اختارت الشرق الأوسط والجزيرة «أزمة أسواق المال» كأول اسم تتخذانه للظاهرة، مع ملاحظة فارق في مستوى التعهد بالاسم . ففي حين ورد في الشرق الأوسط مباشراً ورد في الجزيرة ضمن خطاب منقول عن الرئيس الأمريكي في صيغة مباشرة مما قد يعفي الصحيفة مبدئياً من تبعات التسمية.

أ - أزمة أسواق المال: الأسوأ منذ قرن.

ب - أوباما: أزمة أسواق المال خطر كبير على الاقتصاد.

وأما في الأهرام «فقد كان اختيار المحرر حاسماً منذ اليوم الأول عندما جعل عبارة «الأزمة المالية العالمية»، تظهر بوضوح في منشيت الصفحة الأولى ليوم ١٦-٠٩-٢٠٠٨ كتسمية رسمية للحدث:

انهيار خطير في أسواق المال وتراجع حاد بالبورصات الكبرى

الأزمة المالية العالمية تضرب بقوة

وتجبر أكبر رابع بنك أمريكي على إشهار إفلاسه

الاحتياطي الفيدرالي يضخ ٧٠ مليار دولار في الأسواق لتوفير السيولة .. وبوش يتعهد باحتواء الأزمة

لا تخلو مدونة العناوين من بدائل ومواردات عديدة من قبيل «أزمة الائتمان» (الشرق الأوسط) و«إفلاس مصرفي» و« الأزمة المالية» (الجزيرة) و«الأزمة العقارية

الأمريكية» و«أزمة أسواق المال العالمية» (الأهرام).

وتفرّدت الشرق الأوسط باستعمال وحيد وفريد لعبارة «الأزمة الاقتصادية» ذات الدلالة الإيحائية السلبيّة لما يرتبط بها من تجربة أزمة الكساد العظيم لسنة ١٩٢٩م، حيث كرّس الخطاب السياسي والتاريخي والاقتصادي عبارة «الأزمة الاقتصادية» مرادفاً للحدث التاريخي الأليم، وذلك في أحد عناوينها المتركز حول المجال الأمريكي تخصيصاً:

الأزمة الاقتصادية والإعلانات المسيئة تهيمن على الحملة الانتخابية في أميركا (الشرق الأوسط)

وبغض النظر عن جزئيات التسميات وفويرقاتها التي ستسير نحو الانصهار. فإن ما يستدعي الإضاءة في موضوع التسمية نقطتان:

أما الأولى فتخص تمثل الحدث، ففي حين تنطوي التسمية بـ«أزمة أسواق المال» على تعامل موضعي حذر مع الأحداث بحيث تقيّد بإطار مكاني حتى ولو كان من قبيل المكان المجازي («أسواق المال؟») وإطار زماني تحدده زمانية الإعلام نفسها، ترد التسمية بـ «الأزمة المالية العالمية» مرسلة لا قيود عليها مع ما ينطوي عليه الوصف بـ «العالمية» من تورط المحرر في «تبني» توصيف لا يخلو من رائحة الأيديولوجيات الاقتصادية الليبرالية التي تجعل الوصف بالعالمية مرادفاً لإخلاء طرف بعينه من أي مسؤولية عن تبعات هذه الأزمات السياسية والاجتماعية.

وأما الثانية فلا تنفصل عن الأولى إلا من حيث التركيز على خصائص لفظ التسمية الذي اعتمدته جريدة الأهرام: «الأزمة المالية العالمية تضرب بقوة». إذ ما الذي يبرر في هذه الحالة استعمال العبارة مشبعة بالتعريف؟ ما محل المعرّف من معهودات القارئ المخاطب؟ يكفي لإدراك مقدار الخطورة التي ينطوي عليها التعريف أن نقارن العبارة السابقة بنظيرتها النكرة: «أزمة مالية عالمية تضرب بقوّة». فمن الواضح أن الأولى تنطوي على إلزام للقارئ يقرّ بمقتضاه إقراراً ضمنياً بوجود «الأزمة» وبتوصيف لتلك الأزمة («المالية») وبمدى لها («العالمية»)، على حين تبدو الثانية أقل حمولة ضمنية وأدنى إلى الحياد. من هنا فإن تسمية الحدث إن بدت في جزء منها خيطاً أو قيداً للتحكم فيه وعقلنته وجعل التواصل في شأنه أمراً ممكناً، فإنها في جزئها الآخر والذي ربما يكون أبعد خطراً، إدارة ضمنية للصراع بين الرؤى المختلفة بشأن الحدث المسمى. فوراء التسمية ما وراءها من منظومات مفاهيمية ورهانات إيديولوجية.

ب - مخصصات التسمية:

مخصصات التسمية هي العبارات العامة التي تستبدل من اسم الحدث والمفردات التي تكرسها مدونة العناوين أكثر من غيرها لتوصيف جوانبه المختلفة. ويتضمن الجدول التالي قائمة بأهم هذه المخصصات في كل صحيفة على حدة:

الأهرام	الشرق الأوسط	الجزيرة
- انهيار حاد	- انهيار بنك ليمان براذرز؟	- خطر كبير
- تراجع حاد		- انهيار النظام المالي
- تدهور		- تراجع حاد
- انخفاض حاد		
- كارثة غير مسبوقة		

تكشف المعطيات في الجدول، على بساطتها، عن الفرق بين خطابين: أمّا الأول فتمثله صحيفةُ الشرق الأوسط حيث تبدو المخصصات شبه منعدمة وتسود في الإخبار عن الحدث لغة «رسمية» قوامها:

- نبرة محايدة يعكسها الغياب شبه الكلي لوسائل الإبراز باستثناء عنوان واحد حمل محوّراً طبوغرافياً لدرجة التعهد بمؤدى القول وتمثل في وضع عبارة «خطة عملاقة» (أميركا ترسم تفاصيل «خطة عملاقة» قد تصل تكلفتها إلى تريليون دولار) بين مزدوجين في إشارة إلى أن المحرر ينأى بنفسه عن حكم القيمة المتضمن في الوصف؛ إما لكونه خطاباً منقولاً ترجع المسؤولية فيه إلى المنقول عنه ؛ وإما لأنه يتباعد عن وجهة نظر «أخرى» مما يكسب العنوان بعداً سجالياً وملمحاً ساخراً خلافاً للقيمة التلطيفية والبعد الميتالغوي في وضع مفردة» تسونامي» في («تسونامي» يضرب أسواق المال العالمية بعد انهيار بنك ليمان براذرز الأميركي) بين علامتي التنصيص.
- مكون تركيبي نمطي يعتمد الجملة الاسمية النموذجية على غرار: (بوش يطلب ٧٠٠ مليار دولار من الكونغرس لإنقاذ النظام المالي) ويقترب أكثر من طراز «نحو العنوان» في ميله بصفة أوضح من الصحيفتين الأخريين إلى الملفوظ أحادي الجملة من ناحية وإلى اختزال العناصر القابلة للاسترجاع من السياق اللغوي أو من المقام من ناحية أخرى.
- مكون معجمي فقير نسبياً وغير موسوم ، بحيث نلحظ غياباً شبه كلي للعناصر المعجمية المشحونة برؤى الذاتية أو أحكام قيمة على غرار ما في المواد الخاصة بجريدة الأهرام.

أمّا الخطاب الثاني فتمثله الصحيفتان الأخريان، وتبدو سماته متضخمة نسبياً في «الأهرام» حيث يسود في العنونة نظام قول مغرق في الخصائص النقيضة لما استخلصناه أعلاه . ومن مميزات هذا النظام:

- نبرة عالية تتميّز بما تحمله من أحكام القيمة (انهيار خطير، وتراجع حاد...) والشحنات الذاتية (يسجل أدنى انخفاض أكبر إعادة هيكلة.....).
- تراكيب غير معيارية فيها ميل واضح إلى الإطناب والتطويل بل المعاضلة أحياناً كما يبدو في النموذج الآتي:

استمرار تداعيات أزمه أسواق المال العالمية
بورصات آسيا وأوروبا تشهد تراجعاً حاداً..
وداوجونز يسجل أدنى انخفاض له منذ هجمات سبتمبر
الاحتياطي الفيدرالي يضخ ٥٠ مليار دولار لمواجهة الطوفان المالي ويبقي على سعر الفائدة دون تغيير

حيث يصل عدد الجمل المكونة للعنوان خمساً كاملة دون النظر في التركيب الداخلي، فينقلب العنوان إلى ملخص للمقال بل إلى مقال. مثل هذا الاختيار غير الموفق تماماً من الوجهة الإعلامية قد تكون له مسوّغات أخرى تتعلق بنوع الجمهور المتلقي وكذا آليات استدراج الجمهور التي تطوّرها كل صحيفة وهو قد يجد مبرراً من الوجهة النصية في ما يضطلع به العنوان من وظائف التسمية والإشهار، غير أنّ الأهم من منظورنا ربما كان يكمن في الوظيفة الإيديولوجية للعنوان على نحو ما سيتضح لاحقاً عندما نحلل عناوين الأسبوع الرابع في نفس الصحيفة.

- مكون معجمي ثري من حيث تعدد مرادفات الأزمة (انهيار، تدهور، تراجع، إفلاس، كارثة، خطر....إلخ)

وتعدد مواردراتها (خطير، حاد، كبير، غير مسبوقة... إلخ)، ولكنه ذو لون دلالي واحد:

إن النتيجة المنطقية لهذه الخصائص الماثلة في خطاب العنوان في الصحيفتين المعنيتين هو انتشار التعابير الحاملة لأحكام قيمة والتقييمات المفعمة بالذاتية.

ج - مبينات التسمية:

يمثل ما اسميناه بمبيّنات التسمية جزءاً من المكون التصويري في الخطاب، وهو المكون الذي يضطلع بإخراج المحتوى الفكري التعييني الذي تحمله التسمية والمخصصاتُ على هيئة دون أخرى، وعادة ما يتكفّل في الخطابات ذات المقصد الحجاجي بإنتاج المعاني والرسائل الضمنية وإدارتها بما يجعلها مستساغة عند القارئ؛ وسيتركز اهتمامنا ضمن هذا المستوى من التحليل على جانبين هما منظور التصوير وآلياته الأساسية:

نتوقف في الجانب الأول عند ما يعرف بخطاطة الفاعلين التي يندرج فيها اسم الأزمة مع مرادفاته ومواردراته. وقد جعلنا في الجدول أدناه الملفوظات التي ورد فيها هذا الاسم أو أحد مرادفاته القريبة جداً، والحق أن الأمر لا يحتاج إلى كبير عناء ليتبيّن أن الغالب هو وروده في محل الفاعلية النحوية وأنّ وروده فاعلاً دلالياً أو منطقياً هو القاعدة بحيث لا يشذ النموذجان الأخيران من جريدة الأهرام حيث تكوّن الأزمة محور المركب الاسمي والحرف الواردين مفعولاً لأجله. و يلعب المكون المعجمي دوراً مؤثراً في تشكيل منظور التصوير أو زاوية الإخراج، فأفعال من قبيل «تضرب بقوّة» و«تجبر» و«تهدد» و«تسيطر» و«ترغم»... إلخ إذ تسند إلى أسماء الأزمة يتولّد منها ضروب من التعابير الاستعارية الناتئة تنقل البعد الكارثي من التجربة والطاقة التدميرية التي تنطوي عليها مدلولات الأفعال المذكورة من مرحلة الانطباع الذي يعسر التعبير عنه إلى حالة «الجسم الملموس».

الشرق الأوسط	الجزيرة	الأهرام
- الأزمة المالية العالمية تضرب بقوه وتجبر أكبر رابع بنك أمريكي على اشهار إفلاسه	- إفلاس مصرفي يهز وول ستريت	- «تسونامي» يضرب أسواق المال العالمية بعد انهيار بنك ليمان براذرز الأميركي
- شبح الإثنين الأسود يهدد الأسواق العالمية	- الأزمة المالية ترغم ماكين على تبديل مواقفه وتغذي حجج أوباما	- الأزمةالاقتصادية والإعلانات المسيئة تهيمن على الحملة الانتخابية في أميركا
- الأزمة المالية تسيطر على المعركة الانتخابية	- أثنين (أسود) يفقد المؤشر ٤,٦٪ ويضع السوق عند أدنى مستوى منذ عام	
- تدهور أسعار الأسهم في العالم لليوم الثاني تأثراً بالأزمة العقارية الأمريكية	- الأزمة المالية أطاحت ببعض أعضاء الأغنياء	
- انخفاض حاد في أسعار البترول بسبب الأزمة المالية		

إن هذه الخطاطة التي تسيرها مقولات النحو التركيبية والدلالية، تنطوي من منظور تحليل الخطاب على دلالات نظمية مجاوزة للنحو، فورود الأزمة فاعلاً نحوياً ودلالياً على غرار ما تعكسه النماذج الواردة في الجدول أعلاه ليس موضع اضطرار أبداً. فلا شيء، في الواقع، يمنع من تصوير التجربة من منظور يجعل الأزمة ظرفاً زمانياً أو نوعياً يكتنف الأحداث والأشخاص، لا بل إن تغيير الأدوار الدلالية المسندة إلى الأزمة ومرادفاتها في تصوير الحدث ضمن السياق المحلي سيكون هو الخيار النظمي المعبّر عن «هوى» المحرر في سياق آخر سيأتي ذكره لاحقاً.

أما الجانب المتعلق بآليات الإبانة في المكون التصويري من خطاب العنونة، فإن ظاهرة الاستعارة تبدو الظاهرة الرئيسية منه، لا بل إن حديثنا السابق في الخطاطة الفاعلية يتأسس في الحقيقة من منظور إدراكي على ما يسميه لايكوف وجنسون في كتابهما «الاستعارات التي نحيا بها»[٢٢] استعارة انطلوجية تُتَمثّل فيها التجربة البشرية- في أبعادها المجرّدة خاصّة-باعتبارها كياناً قائم الذات متجسداً في محسوس حيّ غالباً، هذا المنحى إلى «التشخيص » يسمح بتسمية التجربة أوّلاً وبالإحالة عليها ثانياً مثلما يسمح ببناء تحليل عقلاني معرفي وإيديولوجي لتمثّل الظواهر والأحداث.

يضاف إلى نموذج الاستعارة الأنطولوجية سلسلة من الاستعارات البنيوية أو التصورية[٢٣] يجري في سياقها تمثل الأزمة المالية من خلال تجارب سابقة اختزنتها ذاكرة الخطاب الصحفي في شكل أسماء وصفات تحيل إن صراحة وإن ضمناً أو بالوجهين معاً ،على كيان إدراكي مركب. تتفاعل في هذا الكيان تجربتان؛ الأولى معيشة قائمة في الواقع المباشر وهي عبارة عن جملة الأحداث السياسية والاقتصادية والأرقام والتصريحات المفصّلة لعبارة الأزمة المالية والثانية مستحضرة قائمة في ذاكرة الخطاب الصحفي وهي عبارة عن شذرات من الأسماء والعبارات المشحونة بالدلالات الإيحائية الراجعة إما إلى تجارب تاريخية مثيلة (الكساد العظيم، الإثنين الأسود) أو إلى أحداث جسام كوّنت، في ذاكرة الإعلام، لحظة خطابية مميّزة كـ«التسونامي» («تسونامي» يضرب أسواق المال العالمية...) أو هي جزء من الذاكرة الجماعية كـ«الطوفان» (مواجهة الطوفان المالي) أو التجارب العنيفة كالعواصف والجوائح والأوبئة. ولهذا الكيان المفهومي المستحدث وظائف سيأتي بيانها بعد حين.

خصائص الفعل الاتصالي:

ربما كان ورود العناوين في مدونتنا بصيغة الجملة الخبرية من الأمور الأكثر توقعاً وبداهة، أقلّها بسبب من كونها عناوين لأخبار خلافاً مثلاً لعناوين التحقيقات الصحفية أو الافتتاحيات حيث تجد صيغ الاستفهام والتعجب والطلب مكاناً لا بأس به.و بالفعل فمن بين الـ ٤٨ عنواناً في الملحق عدد (٢) لا يشذ عن القاعدة إلا عنوان واحد في الشرق الأوسط(بعد تأميم «فاني ماي وفريدي ماك».. السوق العقاري الأميركي إلى أين؟) ورد بصيغة استفهام. غير أن عنصر الإشكال ليس مأتاه وحدة الصيغة أو تنوعها ولكن حقيقة كون «الأهداف التي تساق لأجلها الجمل الخبرية هي أعسر تحديداً من بقية أنماط الجمل»[٢٤] فوراء بداهة العمل اللغوي التقريري بما هو حدث خطاب يربط بين عنصرين (مسند إليه ومسند) ليؤلف كلاماً حول الكون مثبتاً أو منفياً تثار أسئلة حول الهدف من عمل التقرير والقوّة

التي يعرض بها هذا الهدف ومنزلة المتكلم والمخاطب وتأثيرهما في القوّة المتضمنة في القول وعلاقة التقرير بمصالح منشئه وبالحالات النفسية المعبّر عنها.

ليس بالإمكان في ضيق هذا المكان الوقوف على كل هذه القضايا، ولكننا سنكتفي بأبرز تجلياتها في أهم العناوين التي استعرضناها لحد الآن؛ والمتمثلة في المفردات الجارية مجرى مخصصات الإخبار عن الأزمة في المجال الأمريكي والأوروبي، وقد ذكرنا أنها في الغالب مشحونة ذاتياً ومشبعة بأحكام قيمة سلبيّة (انظر في الجدول أعلاه وفي الملحق عدد ٢). إن هذه العبارات هي في الواقع مغلّظات للقول التقريري من أثرها أن:

- تجعل قوّة الإثبات فيه مؤكدة ما من شأنه أن يسدّد حكم المتكلم على الوقائع ويسنده.
- تسوق المخاطب سوقاً إلى التسليم له بهذا الحكم أصلاً وشكلاً أي إلى تصديق الاعتقاد ثم العمل بمقتضاه.

٢,٢ - تحليل عناوين الأسبوع الرابع: الأزمة «هنا»

خصائص التركيب:

لا تكشف المقارنة بين عناوين الأسبوع الأول والأسبوع الرابع في مستوى بنية التركيب عن متغيرات أساسية، ولا تبدل من قيمة ما استنتجناه أعلاه من خصائص مميزة لنحو العنونة في الصحف الثلاث. غير أنّ خاصية التطويل والزهد في اللجوء إلى أي شكل من أشكال الاختصار ستتكرس في «الأهرام» خاصّة وبشكل لافت جداً. ففي النموذجين الواردين أدناه:

- تراجع البورصة المصرية لا يعبر عن أوضاع الشركات المحلية

رشيد: بنوك مصر تتمتع بفائض سيولة
وليس لديها استثمارات في أوروبا وأمريكا

الشريف: ودائع المصريين في البنوك الوطنية آمنة ومضمونة من الدولة (٩-١٠ الصفحة الأولى)

- مبارك يرأس اجتماعين وزاريين لبحث تأثيرات الأزمة العالمية على مصر

نظيف في مؤتمر صحفي: القطاع المصرفي المصري قادر على استيعاب المشكلة المالية بالكامل دون مؤثرات سلبية

البنك المركزي حريص على سلامة المدخرات المحلية ويضمن كل إيداع بالبنوك المصرية

العقدة: ٩٨٪ من احتياطي النقد الأجنبي مودع في سندات خزانة مضمونة من حكوماتها

محيي الدين: لا وجود لاستثمارات مصرية مباشرة في أي مؤسسة أجنبية منهارة

البورصة تقلص خسائرها

وتداولات الأسهم تجاوزت ٧٠٠مليون جنيه (١٣-١٠ الأولى)

يتراصّ في العنوان الواحد عدد قياسي من الجمل. فتتعانق العناوين الرئيسية مع التمهيدية مع الفرعيّة. فإذا ما اعتبرنا المحتوى الفكري فإننا نكون إزاء ملفوظات خبرية شبه مكتملة من حيث هي سرد موقوت لأحداث وكشوف وأقوال تتعلق بالأزمة المالية العالمية وقد حطت رحالها في «حمى» الصحيفة، سرد يجيب عن الأساسي من الأسئلة التي يفترض في الخبر الصحفي الإجابة عنها: (من ؟ ماذا؟ متى؟ أين؟ لماذا؟ كيف؟). وإذا اعتبرنا جانب الإخراج الطباعي وكون العنوانين قد وردا بالصفحة الأولى فالأغلب على الظن أننا سنكون حينئذ إزاء استراتيجية خطاب[٢٥] تمثل عملاً واعياً منسقاً لبلوغ هدف ما. فعبر المزاوجة

بين الخضوع الجزئي لإكراهات مقام التواصل والمناورة لكسب رهان استدراج الجمهور يعمل شحن العنوان بهذا القدر الهائل من المعلومات، على كسب رهاني المشروعية والمصداقية (انظر الأسماء والسلط والأرقام المذكورة .... إلخ) أولاً، فعلى إشاعة تأويل بعينه للأزمة المالية وإقناع المخاطب من أنجع الطرق وأقلها كلفة بوجاهة هذا التأويل ثانياً.

الخصائص الدلالية:

بدخول الممتد الخطابي حول «الأزمة» أسبوعه الرابع تكشف المعطيات الإحصائية عن تحول حاسم في المجال الجيوسياسي الذي تنهل منه الأخبار، والعناوين بالنتيجة. فأي تأثير لهذا التحول في زاوية النظر التي تناولت منها الصحف الثلاث الأحداث؟ما الصورة التي قدمتها عنها؟ وما العناصر التي وظفتها في بناء هذه الصورة؟

أ - التسمية:

لقد أشرنا من قبل إلى الأهمية المعرفية والإيديولوجية لاختيار الاسم، ويتعيّن أن نلاحظ ههنا بعض التغيّر في طريقة تسمية الحدث موضوع الإخبار.

يوضح الجدول الآتي أكثر الأسماء تداولاً في الملحق عدد(٣) مرتبة بحسب تواترها في الصحف الثلاث:

الاسم	الأهرام	الجزيرة	الشرق الأوسط	المجموع
الأزمة المالية (العالمية)/أزمة الرهون العالمية/أزمة السيولة العالمية/الأزمة الاقتصادية	٩	٨	١٠	٢٧
(آثار/تأثير/تداعيات..) الأزمة	٧	٢	٢	١١
تراجع البورصة	٦	٠	٠	٦
اضطرابات مالية	٠	٠	١	١
المشكلة المالية	١	٠	٠	١

إذا كان من الطبيعي أن تتصدر التسمية بـ«الأزمة المالية العالمية» ومرادفاتها الجدول فإن بروز أسماء منافسة مثل «تأثيرات الأزمة» و«تداعياتها» وكذا «تراجع البورصة» ليس من باب التنويع الأسلوبي البحت، فالأمر لا يخص مرادفات معجمية ولا موارادات بقدر ما يحمل تعديلاً للمضمون وتغييراً - ولو جزئياً - لوجهة النظر. ذلك أنّ التسمية في عناوين من قبيل:

أ - هيئة قناة السويس تدرس آثار الأزمة المالية على حركة الملاحة الدولية عبر القناة (الأهرام).

ب - عمان: لا تأثير مباشراً للأزمة المالية على الأداء الاقتصادي في البلاد (الشرق الأوسط).

من شأنها أن تحصر المخبر عنه في آثار عرضية مثبتة مرّة ومنفيّة أخرى، وهي في الحالتين تعمل عمل الموجهات المخفّفة تكاملاً مع عناصر أخرى من المخصّصات أو من المكوّن التصويري.

ب - مخصصات التسمية:

يستوقف النظرَ في باب مخصصات التسمية في عناوين الأسبوع الرابع مقارنة بالأسبوع الأول الجوانبُ التالية:

- يسود خطابَ العنونة نبرةٌ «معتدلة» بل مبشّرة أحياناً، على غرار ما نراه في النماذج الآتية:

١- انخفاض غير مسبوق في البورصة المصرية أمس...(الأهرام).

٢- توقع حدوث تأثيرات مؤقتة غير مباشرة على المملكة... (الجزيرة).

٣- إبراهيم العساف: الاقتصاد السعودي ربما تأثر بشكل غير مباشر ومؤقت (الشرق).

فالنعوت والأحوال في العناوين الثلاثة تخصص الخبر في اتجاه يخفف من قوّة الحكم الذي يحمله محتواه وينْزِل بدرجة الإلزام المرافق لفائدته، فليس من شك - مقارنة بعناوين الأسبوع الأول - في أن وصف الانخفاض بأنه» غير مسبوق» أدنى إلى التلطيف من وصفه بـ «الحاد» مثلما أن تسميته «انخفاضاً» أدنى إلى الاعتدال من وسمه بـ «الكارثة».

- يميّزُ المكوّنَ التركيبي في عناوين الأسبوع الرابع ظاهرةٌ عاليةُ التواتُر تتمثل في التقديم والتأخير، وليس المقصود المفهوم النحوي المحكوم بحدود الجملة بقدر ما تعنينا الظاهرة في مستواها النصي على غرار ما نراه في النماذج أدناه:

١- بعد اجتماع للحزب الوطني والحكومه لبحث تداعيات الأزمة المالية العالمية:

القطاع المصرفي قوي ولا توجد أي مبررات لمخاوف كبار أو صغار المودعين (الأهرام).

٢ - في موتمر صحفي:

نظيف: الحكومة ترصد تأثيرات الأزمة لتلافي أي تداعيات على الاقتصاد المصري.

العقدة: البنوك آمنة وقوية والبنك المركزي يراقب بصرامة.

محيي الدين: توقعات بانخفاض المنح والمساعدات الأجنبية نتيجة الأزمة (الأهرام).

٣ - العساف في اجتماع اللجنة النقدية والمالية أمس: المملكة حافظت على أدائها الاقتصادي وحققت فائضاً على مستوى المالية العامة (الجزيرة).

تكوّن العناصر المقدّمة ممثّلة في السطر الأول من كل عنوان، ما يدعى من منظور إعلامي عنواناً تمهيدياً، ومن أدواره أن يوطئ للعنوان الرئيسي دون أن يحمل إخباراً محدّداً أو مميّزاً ومن هنا وجه اختلافه عن التقديم النحوي الذي يؤدي دائماً إلى إبراز العنصر الأهم ضمن عناصر الخبر. غير أنّه له أيضاً - في غير المفهوم الإعلامي - أدوار أخرى. من أهمها أنه يمثل من المنظور العرفاني، مُدرِج خطاب أي فضاء ذهني يكون إطاراً للفهم والتأويل ويتحكّم في قيمة العناصر اللاّحقة في العنوان الرئيسي وفي العناوين الفرعيّة. «إنّ اجتماع الحزب الوطني والحكومة» و«المؤتمر الصحفي» و«اجتماع اللجنة النقدية والمالية» هي محافل عليا لها سلطة القول الفصل بما أنها ذوات اعتبارية مخوّلة بإنتاج الحقيقة بمقتضى العقد الاجتماعي السياسي، والنقل عنها أو التكلم باسمها يعطي منتج الخطاب مشروعية التكلم في الموضوع ويضفي على كلامه مصداقيّة. لذلك يعبّر تواتر مدرجات الخطاب في هذه المرحلة من الممتد الخطابي حول «الأزمة» في الصحف المدروسة، عن استراتيجية خطاب ذات وظائف حجاجية تستهدف بالبناء على مصداقية المحافل العليا استدراج المخاطب/ القارئ إلى التسليم بحقائق كانت ستبدو- في غياب تلك المحافل- مشكوكاً فيها وأقل احتمالاً للتسليم بها. فالملفوظ التالي : «القطاع المصرفي قوي ولا توجد أي مبررات لمخاوف كبار أو صغار المودعين» ما كان ليبدو أكثر من خطاب ساخر أو كاذب لو سيق معزولاً عن مدرج الخطاب الذي يعلوه.

ج - مبيّنات التسمية:

تعكس المقارنة بين عناوين الأسبوعين الأول والرابع في مستوى المكوّن التصويري البياني على غرار التسمية ومخصصاتها تماماً، فروقاً دالّة في تصوّر الأزمة بين الحدث الدولي والحدث المحلي؛ فبالنظر إلى خطاطة المشاركين نلاحظ تحولاً حاسماً في توزيع الأدوار الدلالية تعكسه في الجدول أدناه العبارات المبرزة: لقد دُجّن الوحش! فلم تعد «الأزمة» فاعل الضرب والإجبار والإرغام، وصارت بدلاً من ذلك متقبّلَ أعمال من قبيل «الدراسة» ومواضيع أخرى من قبيل «التجاوز» و«القدرة على الاستيعاب» ومفعولاً لطائفة واسعة من الأفعال الإيجابية التي يضطلع فيها الأفراد المؤثرون والهيئات والمؤسسات بدور الفاعل. النتيجة أننا إزاء صورة للأزمة مغايرة كثيراً للصورة التي ترسمها عناوين الأسبوع الأول.

الشرق الأوسط	الجزيرة	الأهرام
- مطالب بتدخلات «حكومية» وتجهيز «خطة إنقاذ» لفك خناق أزمة سوق المال	- الأزمة المالية تلقي بظلالها على قطاعي المقاولات والشحن البحري	- هيئة قناة السويس تدرس آثار الأزمة المالية على حركة الملاحة الدولية عبر القناة
- أرباح المصارف المحلية تصعد ٥٪ إلى ٦،٣ مليار دولار في ٩ أشهر برغم الأزمة المالية العالمية	- المواطن يخرج من الأزمة المالية.. رابحاً	- القطاع المصرفي المصري قادر على استيعاب المشكلة المالية بالكامل دون مؤثرات سلبية
- مجلس التعاون: المصارف قادرة على تحمل الاضطرابات المالية	- المانع: الأزمة المالية تخنق صحة العالم	- برنامج لمساعدة الصناعة المصرية على تجاوز آثار الأزمة العالمية
	- مشروعات التنمية لن تتأثر بالأزمة العالمية.. ولا خطر على ودائع البنوك	- تأثر البورصة بما حدث في العالم طبيعي وقد يوفر فرصاً جديدة للاستثمار

يقود إلى نفس النتائج تقريباً فحص آليات الإبانة ضمن المكوّن التصويري، حيث نلاحظ ضموراً للصور النمطية التي حللناها أعلاه في مقابل ظهور استعارات جديدة في ثنايا خطاب العنونة. تسير هذه الاستعارات الطارئة في اتجاهين غالبين:

أمّا الاتجاه الأول فيتمثل في عكس مدلول الصورة من خلال تغيير «ألوان الأزمة»؛ فـ«سواد» الأيام الذي يستمد من لون أزمة ١٩٢٩م التاريخية ينقلب ههنا «خضرة» في استعارة تستمد مادتها من المشهد المعمّم تلفزيونياً لشاشات البورصات في العالم كما في المثال النموذجي: «اثنين أخضر» يدفع المؤشر العام إلى تسجيل أعلى ارتفاع له منذ ٢٨ شهراً (الشرق الأوسط). في حركة توليد لدلالات إيحائية مناقضة لتلك التي أنتجها الخطاب الصحفي في الأسبوع الأول: «شبح الاثنين الأسود يهدد الأسواق العالمية (الأهرام).

و أمّا الاتجاه الثاني فيميل إلى تعديل المشهد على نحو يظهر الفاعلين في المجال المحلي في صورة الضحية تنهض لـ «وقف النزيف» الذي خلفه الاعتداء و«تضميد جراحها»:

أ - (ضمادة) الساعة الأخيرة توقف نزيف الخسائر وتعود بالمؤشر فوق ٦ آلاف (الجزيرة).

ب - البورصات العربية تضمد جراحها.. وتسجل ارتفاعات كبيرة (الشرق الأوسط).

وهي صورة نمطيّة عزيزة على الصحافة العربيّة كلّما تعلّق الأمر بموضوعات يتداخل فيها المحلي بالدولي. أليس العرب دائماً ضحيّة لتآمر الآخر وعدوانيته!

د- خصائص الفعل الاتصالي:

من بين مكونات الحدث الاتصالي الثلاثة تبدو الأعمال اللغوية المتضمّنة هي الأكثر تأثّرا بتغيّر المجال الجغرسياسي لعناوين الأخبار. لم يطل هذا التغيير بدون شك نوع الفعل الاتصالي السائد ولكنّه تطرّق إلى قوّة التقرير ودرجة الإلزام المنجرّة عنه وكذا القيمة الحجاجية المرتبطة به:

إنّ أشدّ ما يلفت الانتباه في هذا المستوى هو الحضور الطاغي للنفي بدرجة تكاد تقترب من الإثبات، ولنتذكّر أنّ تقاليد العنونة في الأعراف الصحفية لا تحبّذ صيغ النفي أصلاً. فكيف نفهم هذا المظهر الخطابي في مدونتنا؟

تعكس المجموعتان من صيغ النفي والإثبات أدناه الخصائص العامّة لعمل الإخبار التقريري في عناوين الأسبوع الرابع:

- صيغ النفي:

أ - محيي الدين: لا وجود لاستثمارات مصرية مباشرة في أي مؤسسة أجنبية منهارة (الأهرام).

ب - غالي: القطاع المصرفي المصري لن يتأثر كثيراً من الأزمة المالية العالمية (الأهرام).

ج - العساف: مشروعات التنمية لن تتأثر بالأزمة العالمية.. ولا خطر على ودائع البنوك (الجزيرة).

د - خبراء اقتصاديون: الأزمة المالية ليست كلها شراً..... (الجزيرة).

- صيغ الإثبات:

أ - العقده: البنوك آمنة وقوية والبنك المركزي يراقب بصرامة (الأهرام).

ب - نظيف في مؤتمر صحفي: القطاع المصرفي المصري قادر على استيعاب المشكلة المالية بالكامل دون مؤثرات سلبية (الأهرام).

ج - العقده: تأثر البورصة بما حدث في العالم طبيعي وقد يوفر فرصاً جديدة للاستثمار (الأهرام).

د - إبراهيم العساف: الاقتصاد السعودي ربما تأثر بشكل غير مباشر ومؤقت ..... (الشرق).

يضيق المجال هنا عن تحليل جميع الوجوه والفروق الدلالية في استعمال النفي أو الإيجاب ولكننا نود لفت الانتباه إلى ما يلي:

- يتسلط النفي في كل هذه الحالات تقريباً على المظاهر والآثار السلبيّة المتوقّعة، وهي ذات المظاهر والآثار المثبتة إثباتاً مغلظاً في عناوين الأسبوع الأول.
- يكتسب النفي في هذا السياق قيمة جداليّة تتأتى من الإحالة الضمنيّة على الإثباتات المقابلة (القطاع المصرفي سيتأثر...، الأزمة المالية شرّ كلها...إلخ) إمّا الواردة في عناوين الأسبوع الأول وإما الماثلة في أفق انتظار القارئ المتأثر بكمّ الخطابات الهائل متعدد المصادر حول «الأزمة». فيعرض المتكلّم المنشئ للعنوان على هذا الوجه، وجهتي نظر موجبة ومنفيّة ويتماهى مع وجهة النظر الثانية. فيكون النفي حينئذ جزءاً من استراتيجية خطاب تستهدف في بعدها الحجاجي دفع المتلقي دفعاً إلى استبدال تمثّل لـ«الأزمة» بآخر.

ومن العناصر الأخرى الداعمة لهذه الاستراتيجية تواتر المسوّرات النحوية من قبيل «أيّ» و«كلّ» و«كثيراً» وهي عناصر مغلّظة تعمل على مضاعفة قوّة الإلزام المحايثة للنفي.

- وردت صيغ النفي ضمن ملفوظات من الدرجة الثانية محمولة في خطابات منقولة وهو ملمح خطابي طريف يجعل مسألة التعهّد بالقول موضع مناورة. فالمحرر إذ يختفي وراء قائلٍ سلطةٍ (وزير، خبير، مؤسسة... إلخ) فإنّه يستمدّ من مشروعيّة تلك السلطة في نفس الوقت الذي يتخفف فيه من تبعات القول، ويحدّ من الأثر السلبي للعنوان المنفي بتنزيله ضمن صيغة إثبات موجبة: (إيجاب) قال خبراء اقتصاديون: (نفي) الأزمة ليست كلها شراً...
- تتناول الصيغ الموجبة في عناوين الأسبوع الرابع المظاهر والآثار السلبيّة للأزمة ومقابلتها الإيجابية على السواء ولكن بطريقتين مختلفتين.
- تقوم استراتيجية الإثبات في عناوين الأسبوع الرابع على خطّة مزدوجة، أمّا العناوين ذات المدى السلبي المتضمّنة إقراراً بالآثار السلبيّة للأزمة ضمن المجال الجغرسياسي المحلّي فتحفل بالملطّفات التركيبية من قبيل « ... ربّما تأثّر بطريقة غير مباشرة..» و«تأثر البورصة ... قد يوفر فرصاً جديدة للاستثمار» وبالملطفات المعجميّة مثل : «تأثر البورصة بما حدث في العالم طبيعي .....» وهي في أقساها مضموناً إنّما ترد في صيغ إثباتية محايدة : «مصري يحاول الانتحار بعد أن فقد مدخراته في البورصة» (الشرق الأوسط).

وأمّا العناوين المتضمّنة أحكاماً تحدّ من آثار الأزمة فتحفل في المقابل بالمغلّظات التركيبية: «البنوك آمنة وقوية والبنك المركزي يراقب بصرامة» والمعجميّة من قبيل: «مجلس التعاون يؤكد متانة اقتصاد الخليج» (الجزيرة)، بل قد لا تخلو من ملفوظات ذات نبرة تبشيريّة عالية: «المواطن يخرج من الأزمة المالية.. رابحاً» (الجزيرة).

٣،٢ - نتائج المقارنة: في المستوى التركيبي :

لا تبدو الفروق بين عناوين الأسبوع الأول وعناوين الأسبوع الرابع في المستوى التركيبي دالّة، فغلبة العناوين المطوّلة ذات المستويات المتراكبة (انظر عناوين الأهرام خاصّة) ظاهرة مشتركة. ولكن تأويل الظاهرة في المرحلتين يختلف. فإذا كان القصد إلى توطين الحدث في الخطاب الصحفي واصطناع الإطار المرجعي لما سيأتي من أخبار لاحقة هو ما يبرر الظاهرة في عناوين الأسبوع الأوّل فإنّ هذا المبرّر ينتفي بدخول الممتدّ الخطابي حول الأزمة أسبوعه الرّابع . ويتمثّل التحوّل الدراماتيكي المستوجب لهذه الخاصيّة البنيوية في انتقال «الأزمة» من حدث خارجي يحصل «هناك» إلى حدث داخلي يجري «هنا» و«الآن» وانبثاق خطاب سياسي واقتصادي مواز يجهد في مواجهة الأزمة ببلاغة سياسيّة مواربة تتوسّل بآليات التلطيف والتهوين. فتتحوّل العناوين بمقتضى ذلك إلى استراتيجيّة خطاب تعرض هذه البلاغة عرضاً يتضمّن المكوّنات الضروريّة لاستدراج الجمهور، ومن هنا الحضور الطاغي لأسماء الأشخاص والمحافل الممثّلة للسلط السياسيّة والاقتصادية باعتبارها ذوات طبيعيّة ومعنويّة مخوّلة بـ«القول الفصل» في موضوع الأزمة.

في المستوى الدلالي :

تفضي المقارنة بين عناوين الأسبوعين الأول والرابع في المستوى الدلالي إلى مجموعة الاستخلاصات الآتية:

- في مقابل هيمنة التسمية بـ «الأزمة الماليّة العالميّة» في عناوين الأسبوع الأوّل بما تنطوي عليه من معان ضمنيّة حول طبيعة الحدث وأبعاده وحول درجة التعهّد بهذه الضمنيّات من جانب الجهة المتلفّظة، يلفت الانتباه في عناوين الأسبوع الرابع ظهور بدائل لها ذات شحنات دلاليّة معدّلة في اتجاه التهوين، من قبيل «تأثيرات الأزمة» و« تراجع البورصة».
- تدعم الاتجاهَ إلى التلطيف في مستوى التسمية في عناوين الأسبوع الرابع طائفةٌ واسعةٌ من المخصّصات المعجميّة والتركيبيّة والتلفّظية التي تعطي الإلزام في صيغ العناوين التقريريّة طابعاً أقلّ إلزاماً، وبذلك ينخرط خطاب العنونة في بلاغة التهوين التي يتوخّاها الخطاب السياسي حول الأزمة في العواصم العربيّة بما يكشف أن الخطاب الصحفي العربي حول الأزمة لم يكن خطاباً مستقلاً ولا خطاباً حول الخطاب بالمعنى البسيط ، ولكنّه خطاب يحوّل ويبسّط ويذيع خطاباً آخر أنتج خارجه وقبْله ضمن الأجهزة الإيديولوجية والسياسيّة التي تدير مجالات الصراع الاجتماعي وتهيكله.
- يتحرّك المكوّن البياني في خطاب العنونة ضمن نفس ثنائيّة التغليظ والتلطيف أو التهويل والتهوين، فعلى حين بدت الأزمة في استعارات الأسبوع الأوّل المتعلقة بالمجال الدولي (صورة التسونامي، الكساد العظيم...) قاهرة ومستعصية على الإدراك فضلاً عن السيطرة، عكست استعارات الأسبوع الرابع عن الأزمة في المستوى المحلّي دلالات إيحائيّة إمّا مناقضة (الاثنين الأخضر) أو معدّلة (تضميد الجراح). وفي الحالتين جرت الاستعارات في خطاب العنونة مجرى القوّة الحجاجيّة الإقناعيّة من خلال توفيرها لقياسات مكثّفة وأحكام قيمة مركّزة في «زينة لامعة» تخدّر يقظة الفكر فينقاد إلى التسليم بمتضمناتها الفكريّة والإيديولوجيّة .

في مستوى العمل الاتصالي :

لا تختلف النتائج في مستوى الحدث الاتصالي عن تلك التي رأيناها في الفقرتين أعلاه بقدر ما تكمّلها وتتوّجها .فجريان العناوين المتعلقة بالمجال الدولي في صيغة الإثبات المغلّظ غالباً في عناوين الصحافة العربيّة لا تبدو لنا أكثر من صدى للخطاب السياسي والإعلامي الغربي الذي رافق انفجار الأزمة في البورصات الأمريكية والأوروبية. وهو صدى لم تعترضه الرواشح الإيديولوجية والرقابيّة بحكم أنّه خطاب لا يغيّر اتجاه الرأي العام بقدر ما يغذّي تمثّلات عميقة مسبقة تتوقّع - بل قل تتمنى - أن ينهار الغرب غرقاً في قيمه الماديّة! غير أن الصورة تنقلب تماماً بانتقال العناوين إلى المجال العربي. ويكمن المظهر الأساسي لهذا الانقلاب في ما لاحظناه من تفشي صيغ النفي بموازاة الإثباتات الملطّفة. ولمّا كان النفي نفياً لإثبات وترديداً لكلام مثبت سابق حقيقة أو تصوّراً فإنّه يؤسس لعلاقات تخاطب جداليّة مركّبة . ففي علاقته بالإثبات الذي يقتضيه يتراوح بين القصد إلى النقض التّام له بمعاضدة المسوّرات كما رأينا أعلاه في نماذج من قبيل:(لا توجد أي مبررات لمخاوف كبار أو صغار المودعين (الأهرام ١٠-١٠-٢٠٠٨)، وبين القصد إلى تعديل الإثبات المنفي بالحطّ من قوّته درجات كما في النماذج التي من مثل:(غالي: القطاع المصري في المصري لن يتأثر كثيراً من الأزمة المالية العالمية (الأهرام ١٠-

١٠-٨-٢٠٠٨)، حيث يمكن قراءة النفي بأنّه المعادل الدلالي للإثبات الملطّف: (القطاع المصري في سيتأثر قليلاً من الأزمة المالية العالمية). ومن هنا يكون التأثير بالقول المطلوب نظامياً بالنفي هو تكذيب الاعتقاد السابق الذي يصدر عنه صاحب الإثبات المردود. وهو تكذيب يخدم الرغبة في تغيير اعتقاد المخاطب وتوجيهه إلى تبنّي ما يطلبه منشئ النفي من نقض للعلاقات بين الوقائع كما صوّرها المثبت الحقيقي أو المتصوّر. وباعتبار الوجوه السابقة فإنّ النفي والإثبات يتكاملان ضمن إستراتيجيّة خطاب تتّجه في تمثّل الأزمة ضمن المجال العربي من النفي التامّ إلى النفي المعدّل إلى الإثبات الملطّف.

٣ - الخاتمة:

العنونة اختيار لا ريب فيه انحياز لموقف دون مواقف وتبن لجهة نظر من بين أخريات، وإنّ أفضل طريقة لوصف وظيفة عناوين «الأزمة» في خطاب الصحافة العربية هي كونها أداة إبراز لها قوّة خاصّة. تتمثّل هذه القوّة في خلق أفق انتظار تؤثثه توقعات حول مضمون الخطاب. ويترتب عن خاصيّة خلق التوقعات هذه الموجودة في عمليّة صياغة العنوان أنّ العناصر المبرزة لا تمدّ القارئ فقط بنقطة انطلاق يبني حولها فهمه لكل ما سيأتي في متن الخطاب الخبري بل إنّها تمدّه كذلك بنقطة انطلاق تحدّ من إمكانات فهمه لأبعاد الحدث وتتحكّم بها.

يتعيّن في خاتمة البحث جمع أبرز ما أفضى إليه فحص عناوين الأزمة من النتائج ذات المدى العام:

- العنوان عمل إحالة يبني صورة ذهنية للأزمة لدى القارئ المتقبّل تتفاعل مع التمثلات الأساسيّة والمسبقات الثقافيّة السائدة. وتثبّت قراءة المتون هذه الصورة أو تعدّلها أو تكمّلها.
- العنوان عمل تلفّظ يؤديه متلفظ ويتجه به إلى مخاطب ويعقده على غرض، فالعنوان ليس انعكاساً لأحداث «الأزمة» في مرآة الصحافة بل هو خطاب حولها ينتقيها ويحوّلها بل قد يتلاعب بها، والعناوين تحفل بقرائن التبني لوجهات النظر المنقولة أو التباعد منها وبمظاهر التهويل أو التهوين من قيمة الوقائع المنقولة.
- العنوان عمل لغوي يحققه المحرر المتلفّظ ويستهدف التأثير في القارئ المتقبل بهدف إقناعه بوجهة نظر أو ضمان تسليمه بـ «حقيقة من الحقائق». فالعنوان ينطوي في الواقع، على توجه حجاجي صريح أو ضمني يستهدف التأثير في المعتقدات وتثبيت فرضيات للقراءة والفهم تبرمج تمثلات بعينها لتستبعد أخرى.
- بين اعتبار العنوان الصحفي عتبة للخبر الذي يُتَوِّجُه واعتباره محفلاً نصيّاً قائماً بذاته إنحاز البحث بوضوح إلى الموقف الثاني؛ فإذا كان صحيحاً أنّ العنوان يستمدّ مضمونه وقيمته من المتن الذي يقدّم له، فإنّه يتعيّن التفريق بين حقيقتين فرعيتين: إن يكن عنوان الكتاب دالاً عليه - كما يقال عادة - فيكتفي به القارئ سبباً لقراءة من عدمها فإنّ لعنوان الخبر في الصحيفة منزلة أخطر لأنّ قراءته قد تكون في الكثير من الحالات كافية لتأمين وظيفة التأثير والاستدراج أي إحداث التغيير المطلوب في اهتمامات الناس وفي طريقة تصوّرهم للأحداث الراهنة.

الملاحق

الملحق عدد (١)

المادّة الخبرية في الصحف الثلاث-عناصر إحصائيّة

الصحيفة	دولي / محلي	الأسبوع ١	الأسبوع ٢	الأسبوع ٣	الأسبوع ٤	الأسبوع ٥	المجموع	النسبة المئوية.
الشرق الأوسط	د	٢٢	٢٤	٢٥	٣٣	٣٣	١٣٧	٪٦٨,٥
	م	١٠	٩	٢	٢٥	١٧	٦٣	٪٣١,٥
		٣٢	٣٣	٢٧	٥٨	٥٠	٢٠٠	٪١٠٠
الأهرام	د	١٨	٢٠	١٥	٢٣	٨	٨٤	٪٤٤,٦
	م	٠٦	٠٦	٠٣	٤١	٤٨	١٠٤	٪٥٣,٤
		٢٤	٢٦	١٨	٦٤	٥٦	١٨٨	٪١٠٠
الجزيرة	د	١١	١١	١٠	١٦	٩	٥٧	٪٤٥,٢
	م	٠٦	٠٨	٠٧	٢٦	٢٢	٦٩	٪٥٤,٨
		١٧	١٩	١٧	٤٢	٣١	١٢٦	٪١٠٠
المجموع							٥١٤	

ملحق عدد (٢) عناوين المادة الخبرية للأسبوع الأول في الصحف الثلاث (= عناوين دولية)

ملاحظة: يجدر التنبيه إلى أنّ الجداول الآتية قد حذفت منها العناوين غير الدالّة أي تلك التي لم يرد فيها مصطلح الأزمة المالية العالمية أو أحد مرادفاته أو مخصصاته، بغضّ النظر عن محتوى الخبر الذي قد يكون له تعلّق بالأزمة.

عناوين المادّة الخبرية في الأهرام /س١ د

الرقم	التاريخ	العنوان
.١	١٦-٠٩-٠٨	انهيار خطير في أسواق المال وتراجع حاد بالبورصات الكبرى الأزمة المالية العالمية تضرب بقوة وتجبر أكبر رابع بنك أمريكي على إشهار إفلاسه الاحتياطي الفيدرالي يضخ٧٠ مليار دولار في الأسواق لتوفير السيولة.. وبوش يتعهد باحتواء الأزمة
.٢	١٦-٠٩-٠٨	شبح الأثنين الأسود يهدد الأسواق العالمية(١)
.٣	١٦-٠٩-٠٨	تدهور أسعار الأسهم في العالم لليوم الثاني تأثراً بالأزمة العقارية الأمريكية البورصة المصرية تهبط بنسبة ٤،٧ ٪ وداوجونز يفقد ٣٥٩ نقطة البنوك المركزيه تضخ مئات المليارات من الدولارات لتوفير السيولة جهود مكثفه لإنقاذ أكبر شركات التأمين الأمريكية من خطر الإفلاس

٤.	١٧-٠٩-٠٨	انخفاض حاد في أسعار البترول بسبب الأزمة المالية
٥.	١٧-٠٩-٠٨	استمرار تداعيات أزمة أسواق المال العالمية بورصات آسيا وأوروبا تشهد تراجعاً حاداً.. وداوجونز يسجل أدنى انخفاض له منذ هجمات سبتمبر الاحتياطي الفيدرالي يضخ ٥٠ مليار دولار لمواجهة الطوفان المالي ويبقي على سعر الفائدة دون تغيير
٦.	١٧-٠٩-٠٨	الأزمة المالية تسيطر على المعركة الانتخابية أوباما يتهم إدارة بوش بإهمال الاقتصاد المحلي.. وماكين يتعهد بإصلاح الأجهزة الرقابية
٧.	١٨-٠٩-٠٨	في تحرك عاجل لإنقاذ النظام المالي العالمي الاحتياطي الفيدرالي الأمريكي يقرض مجموعة أيه.آي.جي للتأمين ٨٥ مليار دولار لتجنب إشهار إفلاسها ٧٠٠ مليار دولار فاتورة الولايات المتحدة لانتشال مؤسساتها المالية من كارثة غير مسبوقه منذ تفجر الأزمة
٨.	١٩-٠٩-٠٨	البنوك المركزية في الدول الكبرى تتضامن مع الاحتياطي الفيدرالي الأمريكي وتضخ ١٨٠ مليار دولار استمرار تراجع البورصات الآسيوية.. وأسعار البترول تحافظ على ارتفاعها
٩.	٢٠-٠٩-٠٨	خطة إنقاذ أمريكية لشراء أصول المؤسسات المتعثرة انتعاش في الأسواق المالية.. والبترول يتجاوز ١٠٤ دولارات
١٠.	٢٠-٠٩-٠٨	إجراءات أمريكية لمواجهة الأزمة المالية الحالية خطة عاجلة تتكلف تريليون دولار تتضمن شراء الحكومة لأصول المؤسسات المتعثرة بوش يطالب الأمريكيين بالثقة في اقتصادهم.. وانتعاش في أسواق المال العالمية
١١.	٢١-٠٩-٠٨	أمريكا تخصص ٨٠٠ مليار دولار لمواجهة الأزمة المالية العاصفة
١٢.	٢١-٠٩-٠٨	بوش يطمئن الأمريكيين على مدخراتهم برنامج حكومي أمريكي بقيمة ٨٠٠ مليار دولار لشطب الأصول المتعثرة من سجلات الشركات المالية
١٣.	٢٢-٠٩-٠٨	وزير الخزانة الأمريكي: خطة الإنقاذ تعرض دافعي الضرائب للخطر واشنطن تطالب الدول الكبرى بوضع خطة لإنقاذ مصارفها المالية وحماية الأسواق العالمية

١٤.	٢٣-٠٩-٠٨	واشنطن تواصل أضخم خطة منذ الكساد العظيم لإعادة هيكلة نظامها المالي تحويل جولدمان ساكس ومورجان ستانلي إلى شركتين قابضتين
١٥.	٢٣-٠٩-٠٨	تارو أسو رئيساً لوزراء اليابان خلفاً لياسو فوكودا رئيس الحكومة الجديدة يدافع عن تحفيز الاقتصاد وخفض الضرائب
١٦.	٢٣-٠٩-٠٨	في أكبر إعادة هيكلة لقطاعها المصرفي منذ الكساد العظيم في الثلاثينيات أمريكا تحول مصرفي جولدمان ساكس ومورجان ستافلي إلى شركات قابضة اليابان والإمارات تضخان ٢٧ مليار دولار.. وانتعاش حذر بالبورصات العالمية

عناوين المادّة الخبرية في الجزيرة /س١ د

الرقم	التاريخ	العنوان
١.	١٦-٠٩-٠٨	أوباما: أزمة أسواق المال خطر كبير على الاقتصاد
٢.	١٦-٠٩-٠٨	بعد إشهاره للإفلاس وسط انهيار سوق السندات عالية المخاطر بنك ليمان يطلب الحماية من الدائنين ويعتزم بيع وحدات
٣.	١٦-٠٩-٠٨	البنوك المركزية في أوروبا وآسيا تتحرك لتهدئة عاصفة بنك ليمان
٤.	١٦-٠٩-٠٨	إفلاس مصرفي يهز وول ستريت.. وتحذيرات من انهيار النظام المالي الأمريكي تراجع حاد يغلق معه المؤشر خاسراً ٥٠٤ نقاط
٥.	١٨-٠٩-٠٨	صندوق النقد: المزيد من المؤسسات المالية ستواجه المتاعب
٦.	١٩-٠٩-٠٨	الأزمة المالية ترغم ماكين على تبديل مواقفه وتغذي حجج أوباما استطلاع يظهر تأييد عرب أمريكا للمرشح الديمقراطي
٧.	١٩-٠٩-٠٨	بخسارة جميع الشركات.. وثلثها على النسبة الدنيا اثنين (أسود) يفقد المؤشر ٦,٤٪ ويضع السوق عند أدنى مستوى منذ عام
٨.	١٩-٠٩-٠٨	الفدرالي الأمريكي يضخ ١٨٠ مليار دولار في أسواق المال المصارف المركزية الكبرى تتحرك لإنقاذ الاقتصاد العالمي
٩.	١٩-٠٩-٠٨	الأزمة المالية أطاحت ببعض أعضاء الأغنياء بيل جيتس يحتفظ بصدارة أثرياء أمريكا
١٠.	٢١-٠٩-٠٨	إدارة بوش ترسل خطة دعم المصارف إلى الكونغرس

عناوين الإخبار- الشرق الأوسط /س١ د

الرقم	التاريخ	العنوان
١.	١٦-٠٩-٠٨	أزمة أسواق المال: الأسوأ منذ قرن
٢.	١٦-٠٩-٠٨	«تسونامي» يضرب أسواق المال العالمية بعد انهيار بنك ليمان براذرز الأميركي
٣.	١٦-٠٩-٠٨	الأزمة الاقتصادية والإعلانات المسيئة تهيمن على الحملة الانتخابية في أميركا
٤.	١٦-٠٩-٠٨	البنوك المركزية تضخ مليارات الدولارات بعد إفلاس رابع أكبر بنك أميركي.. وبيع ميريل لينش
٥.	١٧-٠٩-٠٨	«أيه آي جي» الأميركية تواجه خطر الإفلاس.. وانهيارها سيكون له ارتدادات عالمية
٦.	١٨-٠٩-٠٨	صندوق النقد الدولي يحذر من الأسوأ.. وسورس: الأزمة لم تنته
٧.	١٨-٠٩-٠٨	الاحتياطي الأميركي» يسيطر على «أيه.آي.جي».. و«النقد الدولي» يحذر من الأسوأ
٨.	١٩-٠٩-٠٨	بريطانيا: «لويدز» يشتري «اتش.بي.أو.أس» في صفقة قيمتها ٢١,٧ مليار دولار
٩.	١٩-٠٩-٠٨	البنوك المركزية تضخ نحو ربع تريليون دولار لحماية الأسواق من الانهيار
١٠.	٢٠-٠٩-٠٨	ماكين ينتقد إنقاذ المؤسسات الفاشلة وأوباما يطلب أفكاراً من خبراء عهد الازدهار الاقتصادي
١١.	٢٠-٠٩-٠٨	الأسواق الروسية تستعيد نشاطاتها وتتجه نحو الصعود
١٢.	٢٠-٠٩-٠٨	أميركا ترسم تفاصيل «خطة عملاقة» قد تصل تكلفتها إلى تريليون دولار
١٣.	٢٠-٠٩-٠٨	الاحتياطي الفيدرالي والخزانة الأميركية يعملان مع الكونغرس على خطة إنقاذ ضخمة
١٤.	٢٠-٠٩-٠٨	بعد تأميم «فاني ماي وفريدي ماك».. السوق العقاري الأميركي إلى أين؟
١٥.	٢١-٠٩-٠٨	أميركا: سباق مع الزمن لإقرار خطة الإنقاذ الاقتصادية
١٦.	٢١-٠٩-٠٨	النموذج المصرفي على الطريقة الفرنسية يخرج قوياً من الأزمة المالية
١٧.	٢١-٠٩-٠٨	بوش يطلب ٧٠٠ مليار دولار من الكونغرس لإنقاذ النظام المالي
١٨.	٢٢-٠٩-٠٨	براون: خبرتي تبرهن إنني الرجل المناسب لقيادة بريطانيا في ظل الأزمة المالية العالمية
١٩.	٢٣-٠٩-٠٨	شكوك حول مدى نجاعة خطة الإنقاذ الأميركية في إنهاء أزمة الائتمان
٢٠.	٢٣-٠٩-٠٨	في خطوة تعيد تشكيل «وول ستريت».. «مورغان ستانلي» و«غولدمان ساكس» مصرفان قابضان

الملحق عدد (٣) عناوين المادة الخبرية للأسبوع الرابع في الصحف الثلاث (= عناوين محلية)

عناوين المادّة الخبرية في الأهرام /س ٤ م

الرقم	التاريخ	العنوان
١.	٠٨-١٠-٠٨	حماس تحمل اللوبي اليهودي في أمريكا مسؤولية اندلاع الأزمة المالية
٢.	٠٨-١٠-٠٨	خسائر فادحة في البورصات الخليجية السعودية والكويت الخاسر الأكبر والدوحة الأقل
٣.	٠٨-١٠-٠٨	غالي: فوزي برئاسة اللجنة المالية بصندوق النقد الدولي انتصار لسياسة مصر الاقتصادية
٤.	٠٨-١٠-٠٨	هيئة قناة السويس تدرس آثار الأزمة المالية على حركة الملاحة الدولية عبر القناة
٥.	٠٨-١٠-٠٨	انخفاض غير مسبوق في البورصة المصرية أمس ١٦،٥ ٪ هبوطاً في مؤشر البورصة ووقف التداول على أسهم ٣٠ شركة
٦.	٠٨-١٠-٠٩	تراجع مؤشر البورصة المصريه لليوم الثاني ٧ ٪ هبوطاً في مؤشر البورصة و٢٦٤ مليون جنيه صافي مبيعات الأجانب
٧.	٠٨-١٠-٠٩	تراجع البورصة المصرية لا يعبر عن أوضاع الشركات المحلية رشيد: بنوك مصر تتمتع بفائض سيولة وليس لديها استثمارات في أوروبا وأمريكا الشريف: ودائع المصريين في البنوك الوطنية آمنة ومضمونة من الدولة
٨.	٠٨-١٠-٠٩	في لقاء مع رؤساء اتحادي الصناعات والغرف ومسؤولي الجهاز المصرفي رشيد يبحث تأثير الأزمة المالية العالمية على قطاعي الصناعة والتجارة
٩.	٠٨-١٠-٠٩	استمرار تراجع مؤشر البورصة لليوم الثاني على التوالي ٧ ٪ هبوطاً في مؤشر البورصة و٢٦٤ مليون جنيه صافي مبيعات الأجانب
١٠.	٠٨-١٠-٠٩	محيي الدين في فرنسا أهمية دور منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية في مواجهة الأزمة المالية العالمية
١١.	٠٨-١٠-٠٩	في اجتماع الأمانة العامة للحزب الوطني أمس: الشريف: ودائع المصريين في البنوك آمنة والدولة تضمنها والحزب يتابع الأزمة المالية العالمية عزمي: الحزب لا يتلقى مساعدات مالية أو معونات حكومية ويعتمد في تمويله على اشتراكات وتبرعات أعضائه جمال مبارك: هدفنا مكافحة الفقر وتحقيق العدالة الاجتماعية وتوفير فرص العمل والخدمات الأساسية للمواطنين
١٢.	٠٨-١٠-١٠	بعد اجتماع للحزب الوطني والحكومة لبحث تداعيات الأزمة المالية العالمية: القطاع المصرفي قوي ولا توجد أي مبررات لمخاوف كبار أو صغار المودعين
١٣.	٠٨-١٠-١٠	الخبراء: تراجع البورصة المصرية كان بسبب الذعر في الأسواق العالمية

١٤.	٠٨-١٠-١٠	رشيد يواصل اجتماعاته لبحث مواجهة الأزمة الاقتصادية العالمية ويؤكد: الحكومة تدرس عدداً من الاجراءات العاجلة للحفاظ على استمرار معدلات النمو الاقتصادي ومساندة الشركات المصرية
١٥.	٠٨-١٠-١١	زوليك يناشد العالم إنقاذ الدول النامية
١٦.	٠٨-١٠-١١	الأزمة المالية العالمية تلقي بظلالها على أسعار العملات تذبذب في أسعار اليورو وصعود الدولار والعملات العربية
١٧.	٠٨-١٠-١١	سفير الاتحاد الأوروبي بالقاهرة: تنسيق كامل بين محافظي البنك المركزي المصري ونظيره الأوروبي
١٨.	٠٨-١٠-١١	الحكومة تواصل اجتماعاتها لبحث تداعيات الأزمة العالمية غالي: الجهاز المصرفي بعيد عن الخطر واستثماراته تتركز في أدوات آمنة
١٩.	٠٨-١٠-١٢	السوق المحلي تستجيب لتراجع الأسعار في السوق العالمية arg انخفاض أسعار اللحوم والدواجن والجبن والبيض والفول والعدس والأرز
٢٠.	٠٨-١٠-١٢	مبارك يبحث مع المجموعة الاقتصادية اليوم إجراءات مواجهة الأزمة المالية العالمية العقدة: تأثر البورصة بما حدث في العالم طبيعي وقد يوفر فرصاً جديده للاستثمار
٢١.	٠٨-١٠-١٢	بدء انخفاض أسعار السلع الغذائية في السوق المحلية بعد تراجعها في السوق العالمية رشيد في اجتماع موسع بكبار منتجي ومستوردي السلع الغذائية الحكومة ستتخذ الإجراءات اللازمة حتى يستفيد المستهلك من انخفاض الأسعار
٢٢.	٠٨-١٠-١٣	مبارك يرأس اجتماعين وزاريين لبحث تأثيرات الأزمة العالمية على مصر نظيف في مؤتمر صحفي: القطاع المصرفي المصري قادر على استيعاب المشكلة المالية بالكامل دون مؤثرات سلبية البنك المركزي حريص على سلامة المدخرات المحلية ويضمن كل إيداع بالبنوك المصرية العقدة:٩٨٪ من احتياطي النقد الأجنبي مودع في سندات خزانة مضمونة من حكوماتها محيي الدين: لا وجود لاستثمارات مصرية مباشرة في أي مؤسسة أجنبية منهارة البورصة تقلص خسائرها وتداولات الأسهم تجاوزت٧٠٠ مليون جنيه
٢٣.	٠٨-١٠-١٣	غالي: القطاع المصرفي المصري لن يتأثر كثيراً من الأزمة المالية العالمية
٢٤.	٠٨-١٠-١٣	هبوط حاد في البورصات الخليجية وتراجع كبير في بورصه تل أبيب
٢٥.	٠٨-١٠-١٣	سرور يرأس وفد مصر في اجتماعات البرلمان الدولي المطالبة بإنشاء صندوق لمساعدة الدول النامية مالياً

.٢٦	١٣-١٠-٠٨	في مؤتمر صحفي: نظيف: الحكومة ترصد تأثيرات الأزمة لتلافي أي تداعيات على الاقتصاد المصري العقدة: البنوك آمنة وقوية والبنك المركزي يراقب بصرامة محيي الدين: توقعات بانخفاض المنح والمساعدات الأجنبية نتيجة الأزمة arg
.٢٧	١٣-١٠-٠٨	في اجتماع مهم لمجلس إدارة البورصة المصرية أمس رفض اقتراح تعليق التداول لحين استقرار الأوضاع بالبورصات العالمية
.٢٨	١٤-١٠-٠٨	انتعاش الأسواق المالية الخليجية باستثناء الكويت
.٢٩	١٤-١٠-٠٨	وزيرة التعاون الدولي تبحث مع بنك التنمية الأفريقي مواجهة الأزمة العالمية وأزمة الغذاء والطاقة
.٣٠	١٤-١٠-٠٨	برنامج لمساعدة الصناعة المصرية على تجاوز آثار الأزمة العالمية التوسع في تطبيق نظام مخاطر الصادرات
.٣١	١٤-١٠-٠٨	برنامج شامل لمساندة الصناعة المصرية لمواجهة تداعيات الأزمة المالية العالمية
.٣٢	١٤-١٠-٠٨	في اجتماع لشعبة الأوراق المالية لمواجهة تداعيات الأزمة على البورصة اقتراح بإنشاء صندوق استثمار مغلق برأسمال مليار جنيه بمساهمة الشركات والبنوك
.٣٣	١٤-١٠-٠٨	ارتفاع مؤشر البورصة بنسبة ٥ ٪ ارتفاع قيمة التداول لأكثر من مليار جنيه وزيادة صافي مشتريات الأجانب إلى ٨٦ مليون جنيه

عناوين المادة الخبرية في الجزيرة /س٤ م

الرقم	التاريخ	العنوان
.١	٠٨-١٠-٠٨	وأخيراً.. تفعيلاً للمادة ٢٥ من قواعد التسجيل والإدراج البنوك السعودية تخرج عن صمتها: سليمون من أزمة الرهون العالمية.
.٢	٠٨-١٠-٠٨	١١٠ مليون ريال أرباح بنك الرياض.
.٣	٠٨-١٠-٠٨	مسؤول: أسعار النفط المرتفعة ساهمت في حماية المملكة من أزمة السيولة العالمية توقعات بارتفاع أسعار العقارات بالمملكة ١٥٪ العام المقبل.
.٤	٠٩-١٠-٠٨	بنك ساب يؤكد سلامة وضعه المالي ويرفع أرباحه ١٩٪.
.٥	٠٩-١٠-٠٨	المتعاملون يستبشرون بتوجيه المليك بدراسة الأزمة.. وصندوق النقد يؤكد تفادي المنطقة آثارها. (ضمادة) الساعة الأخيرة توقف نزيف الخسائر وتعود بالمؤشر فوق ٦ آلاف.
.٦	٠٩-١٠-٠٨	اقتصاديون: تطمينات (ساما) حاسمة .. ولا بد من الثقة في المصادر الرسمية.

٧.	٠٩-١٠-٠٨	نائب محافظ مؤسسة النقد: لا نعاني من مشكلة في نقص السيولة والبنوك لم تستخدم أدوات مؤسسة النقد.
٨.	١١-١٠-٠٨	خبراء اقتصاديون: الأزمة المالية ليست كلها شراً وسيكون لها أثر إيجابي على الأسعار
٩.	١٢-١٠-٠٨	توقع حدوث تأثيرات مؤقتة غير مباشرة على المملكة... العساف: مشروعات التنمية لن تتأثر بالأزمة العالمية.. ولا خطر على ودائع البنوك
١٠.	١٢-١٠-٠٨	المانع: الأزمة المالية تخنق صحة العالم
١١.	١٢-١٠-٠٨	تراجع حاد في ربع الساعة الأخير أفقد المؤشر ٣٦٥ نقطة.
١٢.	١٢-١٠-٠٨	اعتبروها فرصة استثمارية وأداة لاستعادة الثقة في السوق. اقتصاديون يطالبون بفتح المجال أمام الشركات لشراء أسهمها.
١٣.	١٣-١٠-٠٨	توقعت تدفق المهنيين إلى المنطقة بعد الأزمة.. دراسة . ارتفاع رواتب القطاع الخاص في المملكة ٩,٨٪ العام الجاري.
١٤.	١٣-١٠-٠٨	البنك الدولي يرفع تقديراته للنمو الاقتصادي في المملكة . الشورى يشيد بقوة الاقتصاد ومتانة الوضع المالي.
١٥.	١٣-١٠-٠٨	٦٠٣ ملايين ريال أرباح السعودي للاستثمار نهاية سبتمبر.
١٦.	١٣-١٠-٠٨	المواطن يخرج من الأزمة المالية.. رابحاً.
١٧.	١٣-١٠-٠٨	العساف في اجتماع اللجنة النقدية والمالية أمس: المملكة حافظت على أدائها الاقتصادي وحققت فائضاً على مستوى المالية العامة
١٨.	١٤-١٠-٠٨	الإمارات لصناعات الحديد أوقفت الإنتاج لوجود فائض الأزمة المالية تلقي بظلالها على قطاعي المقاولات والشحن البحري
١٩.	١٤-١٠-٠٨	ربح ٣١٤ مليون ريال في تسعة أشهر .. القويز: الأزمة المالية لم تؤثّر على ملاءة وربحية بنك الجزيرة
٢٠.	١٤-١٠-٠٨	مجلس التعاون يؤكد متانة اقتصاد الخليج.

عناوين المادّة الخبرية - الشرق الأوسط /س٤ م

الرقم	التاريخ	العنوان
١.	٠٨-١٠-٠٨	المؤشر العام» يواصل تسجيل مستويات دنيا جديدة منذ أكثر من ٥١ شهراً الأسهم السعودية تواصل نزيف النقاط وتخسر ٦١ مليار دولار من القيمة السوقية خلال يومين
٢.	٠٨-١٠-٠٨	البنوك السعودية تصدر بيانات رسمية ببراءة نتائج أعمالها من آثار أزمة الأسواق العالمية

.٣	٠٨-١٠-٠٨	السعودية: مطالب بتدخلات «حكومية» وتجهيز «خطة إنقاذ» لفك خناق أزمة سوق المال
.٤	٠٨-١٠-٠٨	السلطات السودانية تفتح ٩٥٤ بلاغاً ضد مستثمرين «متعثرين» في سداد ديونهم للبنوك
.٥	٠٨-١٠-٠٨	انطلاق أشغال الدورة الـ ٣٢ للمصارف المركزية ومؤسسات النقد العربية في مراكش
.٦	٠٨-١٠-٠٨	عمان: لا تأثير مباشراً للأزمة المالية على الأداء الاقتصادي في البلاد
.٧	٠٨-١٠-٠٩	المركزي الكويتي» يخفض سعر الفائدة لدعم الاقتصاد
.٨	٠٨-١٠-٠٩	السنيورة: لبنان بمنأى عن الأزمة المالية العالمية
.٩	٠٨-١٠-١٠	سيتي سكيب» يختم أعماله بمطالبات لتنفيذ المشاريع المعروضة الرئيس التنفيذي لشركة «ليمتلس» السعودية: السوق العقاري يظل هو الاستثمار الآمن
.١٠	٠٨-١٠-١٠	أزمة لبنان الداخلية تساهم في إنقاذ اقتصاده من التأثيرات المباشرة للزلزال المالي الدولي.
.١١	٠٨-١٠-١٠	سيتي سكيب دبي: انقسامات المتعاملين في السوق العقاري بين المتشائم والمتفائل.
.١٢	٠٨-١٠-١٢	إبراهيم العساف: الاقتصاد السعودي ربما تأثر بشكل غير مباشر ومؤقت.
.١٣	٠٨-١٠-١٢	مؤتمر هيئات الأسواق في مراكش يدعو لتعاون دولي لمواجهة الأزمة.
.١٤	٠٨-١٠-١٢	الأسهم السعودية»: تفاؤل بمؤشري «كمية التداول» و«السيولة».
.١٥	٠٨-١٠-١٣	مبارك يعقد اجتماعين لمناقشة تأثيرات الأزمة المالية على الاقتصاد المصري.
.١٦	٠٨-١٠-١٣	الشورى» السعودي يشكل لجنة لدراسة تداعيات الأزمة المالية على الاقتصاد المحلي.
.١٧	٠٨-١٠-١٣	الحكومة الإماراتية تتدخل وتضمن ودائع ومدخرات مصارفها المحلية.
.١٨	٠٨-١٠-١٤	البورصات العربية تضمد جراحها.. وتسجل ارتفاعات كبيرة . تفاعلت إيجابياً مع الإجراءات والتطمينات الحكومية.. وانخفاض وحيد في الكويت.
.١٩	٠٨-١٠-١٤	السعودية: ارتفاع «محفظة الإقراض» للبنوك ٧٣٣ مليون دولار مستفيدة من خفض «الاحتياطي الإلزامي». أرباح المصارف المحلية تصعد ٥٪ إلى ٦,٢ مليار دولار في ٩ أشهر برغم الأزمة المالية العالمية.
.٢٠	٠٨-١٠-١٤	السلطة الفلسطينية تخشى من تقليص المساعدات المالية بسبب الأزمة الحالية. قلق في إسرائيل من تراجع دعم يهود العالم.
.٢١	٠٨-١٠-١٤	اثنين أخضر» يدفع المؤشر العام إلى تسجيل أعلى ارتفاع له منذ ٢٨ شهراً. القيمة السوقية للأسهم السعودية ترتفع بـ٢٩ مليار دولار وسط نتائج مالية مرضية.
.٢٢	٠٨-١٠-١٤	مصري يحاول الانتحار بعد أن فقد مدخراته في البورصة
.٢٣	٠٨-١٠-١٤	مجلس التعاون: المصارف قادرة على تحمل الاضطرابات المالية

الهوامش

(١) يتوجه الباحثان بالشكر إلى عمادة البحث العلمي بجامعة الملك سعود على دعمها لمشروع البحث.

(٢) من المهم أن نشير هنا إلى اللفظ الإنجليزي الموافق للعنوان الصحفي في العربيّة وهو Headline وترجمته الحرفيّة السطر الرأس، وفي الحقيقة فإن الانجليزية تستعمل هذا اللفظ في خاص العنوان الصحفي بينما تجعل لفظ Title لما كان من قبيل عنوان الكتاب أو المقال. ويجري الأمر في اللغة الفرنسية بنفس ما نراه في العربيّة، فيستخدم لفظ Titre في ما يغطي تقريباً المجال الدلالي للفظ عنوان في العربية .

(٣) ريتش كارول، كتابة الأخبار والتقارير الصحفية ، مركز الكتاب الجامعي إمارة العين ٢٠٠٢م، ص ٦٩.

(٤) نصر وعبد الرحمن، ٢٠٠٣م، ص١٦٩.

(٥) محمود، سمير، ٢٠٠٨م، ص٩٠.

(٦) حداد، نبيل، ٢٠٠٢م، ص ٩٧.

(7) Lane, 2008, p 1379.

(٨) حجمري، ١٩٦٩م، ص١٦.

(٩) نفسه، ٧.

(١٠) شارودو ومنغنو، ٢٠٠٨م ، ص ٤٠٨.

(11) Eva Práková, 2009, p10-11.

(١٢) المبخوت ٢٠١٠،ص٢٠١-٢٢٥.

(١٣) براون ويول (١٩٩٧) ص ٣-٤.

(14) Patrick Charaudeau, 2006, http://semen.revues.org/document2793.html.

(15) Patrick Charaudeau,2006, http://semen.revues.org/document2793.html.

(١٦) يحظى مبدأ الاختيار بعناية معظم تعريفات الخبر، ومن بين أبرز تعريفات الخبر التي يوردها عبد العزيز شرف في كتابه «الأساليب الفنية في التحرير الصحفي» هذا التعريف إنّ الخبر الصحفي هو كلّ خبر يرى رئيس التحرير أو رئيس قسم الأخبار في جريدة من الجرائد أنّه جدير بأن يجمع ويطبع وينشر على الناس، لحكمة أساسيّة هي أنّ الخبر في مضمونه يهمّ أكبر جمع من الناس يرون في مادّته إمّا فائدة ذاتيّة أو توجيهاً هامّاً لأداء عمل أساسي، أو تكليفاً بواجب معيّن، إلى آخر مايراه الناس واجباً يتحتّم على الصحافة كأداة من أدوات الإعلام أن تؤديه نحوهم» ص ٨٤-٨٥.

(١٧) حيث بلغ عدد المقالات التي ورد بها مصطلح «الأزمة الماليّة/ العالميّة» مرّة واحدة على الأقل ٧٦٥ بينما لم تستعمل العبارة الثانية من حيث التواتر «الأزمة الاقتصادية» ، في أكثر من ٣٢٧ وحدة خطابيّة.ونضيف هنا أنّ الاختيار في باب التسمية لا يقلّ أهمية عن الاختيارات الأساسيّة في طرق عرض الأحداث ومعالجتها، فجميعها ظواهر تؤكّد أن الملفوظات الصحفيّة خطاب حول الأحداث وليست انعكاساً لها في مرآة الأعلام فشأن الخطاب الإعلامي (ومن ضمنه الخطاب الصحفي) أن يجعل موضوعاته قابلة للإدراك من خلال حركتين معرفيتين أساسيتين: حركة نسق الوقائع في مفاهيم وتصورات وحركة عرضها بتوسط صور ورموز وعلامات. توافق الحركة الأولى مفهوم التمثل وتوافق الثانية مفهوم الإخراج.

(١٨) أمّا بداية المدّة المحدّدة فيوافق تاريخها اليوم الموالي لما سيعرف لاحقاً بـ «الاثنين الأسود» بسبب ما عاشته فيه البورصات العالميّة من أحداث هامّة تمثلت خاصّة في «الانهيار المدوي لرابع أكبر بنوك الاستثمار الأميركية «ليمان براذرز» وبيع مؤسسة «ميريل لينش» المالية الضخمة المتعثرة .... لـ «بنك أوف أميركا» (الشرق الأوسط ١٦-٩-٢٠٠٨م) ، وأمّا نهاية الفترة المدروسة فليس لتاريخها المذكور دلالة في نفسه، فالتاريخ المختار حقّا هو يوم ١٥-١٠-٢٠٠٨م وهو اليوم الذي حملت في الصحافة نبأ انتحار أوّل مواطن مصري بسبب ضياع جميع مدّخراته في البورصة.. ولكنّنا فضّلنا أن يُغطّي البحث أسبوعاً بعد هذا الحادث لنرى استتباعاته وآثاره في الخطاب الصحفي لاسيّما في المواد التي يطلب إعدادها وقتاً أطول مما تقتضيه المادّة الخبريّة.نحن نفترض بذلك ضمناً، أنّ ظهور انعكاسات الأزمة في حياة عامّة الناس في صورة

أحداث اجتماعية مؤثرة لا بدّ أن تنعكس في الخطاب الإعلامي تغييراً في ما يهتم به من القضايا وفي المنظورات التي يباشر منها تلك القضايا.

(١٩) ميغري وغالي ٢٠١١م (قيد النشر).

(20) Mouillaud,Maurice , 1982 p 77.

(21) Patrick Charaudeau,2006, http://semen.revues.org/document2793.html.

(٢٢) لايكوف وجونسون، ٢٠٠٩م.

(٢٣) نفسه، ص ٨١-٨٦.

(٢٤) موشلير وريبول، ٢٠١١م، ص ٥٤.

(٢٥) شارودو ومنغنو، ٢٠٠٨م، ص ٥٢٣.

(٢٦) فوكونياي ، ٢٠١١م ، ص ٤١٢.

(٢٧) موشلير وريبول، ٢٠١١م، ص ٣٥٢.

(٢٨) شارودو ومنغنو، ٢٠٠٨م، ص٣٦٦.

(٢٩) يكفي أن نستحضر الكم الهائل من الخطابات الأخلاقوية حول الأزمة في الصحافة العربيّة،لا سيّما ضمن ما يمكن تسميته بـ«الخطاب الإسلامي حول الأزمة» (انظر ميغري والغالي) خطاب «الأزمة الماليّة العالمية» في الصحافة العربيّة: وجوه التمثّل وطرائق الإخراج. (قيد النشر).

(٣٠) المبخوت ٢٠١٠م، ص ١٨٩.

(٣١) المبخوت ٢٠١٠م، ص ١٩٠.

(٣٢) براون ويول ١٩٩٧م، ص ١٦٢.

المصادر والمراجع

المراجع العربيّة:

- آلان، ستيوارت. ثقافة الأخبار؛ ترجمة هدى فؤاد ٠- مجموعة النيل العربيّة، ٢٠٠٨م.
- براون، جيليان ب. تحليل الخطاب؛ ترجمة منير التريكي ولطفي زليطني، جامعة الملك سعود، ١٩٩٧م.
- جبارة، صفاء. الخطاب الإعلامي بين النظريّة والتحليل ٠- ط١ ٠- عمان : دار أسامة للنشر، ٢٠٠٩م.
- الحجمري، عبدالفتاح . عتبات النص: البنية والدلالة، منشورات الرابطة ١٩٩٦م.
- حداد، نبيل. في الكتابة الصحفيّة ٠- عمان : دار الكندي، ٢٠٠٢م.
- ريتش، كارول. كتابة الأخبار والتقارير الصحفية ٠- العين : مركز الكتاب الجامعي، ٢٠٠٢م.
- شارودو، باتريك. ودومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب؛ ترجمة عبد القادر المهيري وحمادي صمود ٠- تونس : المركز الوطني للترجمة، ٢٠٠٨م.
- عبد الرحمن، عواطف. النظرية النقدية في بحوث الاتصال ٠- ط١ ٠- القاهرة : دار الفكر العربي، ٢٠٠٢م.
- فوكونياي، جيل. صور ووظائف تداوليّة؛ ترجمة منصور الميغري ضمن «النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين»؛ إشراف عزالدين المجدوب، ج١ ٠- تونس : بيت الحكمة، ٢٠١١م.
- لايكوف، جورج. الاستعارات التي نحيا بها؛ ترجمة عبد المجيد جحفة ٠- ط٢ ٠- الرباط : دار توبقال، ٢٠٠٩م.
- المبخوت، شكري. دائرة الأعمال اللغوية ٠- بيروت : دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠١٠م

- محمود(سمير) الإخراج الصحفي ٠- القاهرة : دار الفجر للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م.
- موشلار، جاك. وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية؛ ترجمة عز الدين المجدوب وآخرين ٠- تونس : المركز الوطني للترجمة، ٢٠١١م.
- ميغري، منصور. وناصر الغالي «خطاب الأزمة الماليّة العالمية» في الصحافة العربيّة: وجوه التمثّل وطرائق الإخراج. (قيد النشر) ٢٠١١م.
- نصر، حسني. وسناء عبد الرحمن، الخبر الصحفي ٠- العين : دار الكتاب الجامعي، ٢٠٠٣م.

المراجع الأجنبيّة:

- Charaudeau, Patrick «Discours journalistique et positionnements énonciatifs. Frontières et dérives», Semen, 22, Énonciation et responsabilité dans les médias, 2006, [En ligne], mis en ligne le 1 mai 2007. URL : http://semen.revues.org/document2793.html. Consulté le 23 novembre 2008.
- .Engel, Dulcie M, Syntaxe à la une : la structure des titres de journaux français et britanniques; http://wjfms.ncl.ac.uk/engel WJ.htm
- LANE, Philippe, Les frontières des textes et des discours : pour une approche linguistique et textuelle du paratexte, Congrès Mondial de Linguistique fançaise, Institut de Linguistique Française, Paris, 2008.

Moirand, Sophie «Responsabilité et énonciation dans la presse quotidienne : questionnements sur les observables et les catégories d'analyse», Semen [En ligne], 22 | 2006, mis en ligne le 16 mai 2007, consulté le 18 septembre 2011. URL : http://semen.revues.org/2798
- Mouillaud,Maurice, Grammaire et idéologie du titre de journal,Mots 4-1 , 1982 p 69-91
- Práková, Eva; Grammar in Newspaper Headlines; University of Pardubice Faculty of Arts and Philosophy, Department of English and American Studies,2009.
- Schepens, Philippe «Médias et responsabilité : pour un point de vue bakhtinien», Semen, 22, Énonciation et responsabilité dans les médias, 2006, [En ligne], mis en ligne le 2 mai 2007. URL : http://semen.revues.org/document2828.html. Consulté le 23 novembre 2008.

كتاب اللامات للزجّاجي وكتاب اللامات للهَرَوي

دراسة مُوازِنة

عبدالله محمد حيّاني

أستاذ مساعد - قسم اللغة العربية - كلية الآداب

جامعة الملك فيصل - الأحساء

المقدمة :

أحمد الله رب العالمين، وأصلي وأسلم على سيد ولد آدم أجمعين ؛ سيدنا ونبينا ومعلمنا محمد وعلى آله وصحبه الغر الميامين . وبعد :

فقد بدأت الدراسات النحوية الموازنة بعد نضج علمي النحو والصرف ؛ وذلك بعد تأصل المذهبين الرئيسين : البصري والكوفي، وتمثل ذلك في النقولات عن المتقدمين من البصريين والكوفيين والموازنة بين آرائهم والترجيح بينها أحياناً . وتجسد هذا في معظم كتب العربية المصنَّفة وقتئذٍ ؛ منها : كتاب (الإيضاح في علل النحو) للزجاجي (ت ٣٣٧هـ)، و(الحجة في القراءات السبع) لأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ)، و(الخصائص) لابن جني (ت ٣٩٢هـ)، وغيرها من الكتب التي تسوق آراء الفريقين لتقف مع أحدهما مع تبيان ما له، وما على الرأي الآخر . لكنَّ هذه المصنفات لم تقصد إبراز وجوه الاتفاق والاختلاف بين المذهبين قصداً، بل أرادت تأصيل الحكم النحوي أو الصرفي، ولا يتم ذلك إلا بعرض الآراء المتخالفة للخلوص إلى رأي يراه صاحب المصنَّف .

وهناك كتب للقدماء قصدت الخلاف النحوي والصرفي بين المذهبين، وهي من قبيل الدراسات الموازنة، وإنْ لم يسمها أصحابها بذلك ؛ منها : كتاب (اختلاف النحويين) لأبي العباس ثعلب (ت ٢٩١هـ)، و(المسائل على مذهب النحويين مما اختلف فيه البصريون والكوفيون) لابن كيسان (ت ٢٩٩هـ)، و(المقنع في اختلاف البصريين والكوفيين) لأبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ)، و(الخلاف بين النحويين) لأبي الحسن الرماني (ت ٣٨٤هـ)، و(الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين : البصريين والكوفيين) لأبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، و(التبيين في اختلاف البصريين والكوفيين) لأبي البقاء العكبري(ت ٦١٦هـ)، و(نزهة العين في اختلاف المذهبين) لأبي الحسن علي بن عدلان

(ت ٦٦٦هـ)، و(الإسعاف في مسائل الخلاف) لابن إياز البغدادي (ت ٦٨١هـ)، و(ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة) لأبي عبد الله عبد اللطيف بن أبي بكر الشرجي الزبيدي (ت ٨٠٢هـ) اقتفى فيه أثر الأنباري في إنصافه ؛ فوزع كتابه على مسائل، وأفاد من الإنصاف وزاد عليه مسألة واحدة ومئة، وكثر ما وافق فيه الأنباريَ في موافقاته أو مخالفاته للمذهبين[1].

أمَّا مصطلح (الموازنة) فقد استعمله من القدماء الأدباءُ ليس النحويين وأهلَ اللغة - فيما أعلم - ومنهم-: أبو الفرج الأصبهاني (ت ٣٥٦هـ) في كتابه (الموازنة)، وأبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (ت ٣٧١هـ) في كتابه (الموازنة بين الطائيَّين) .

وقد نشطت هذه الدراسات في معظم جامعاتنا العربية وغيرها .

ومن خلال تدريسي لمادة النحو لطلاب المرحلة الجامعية، واطلاعي على المراجع المؤلَّفة في الأدوات النحوية[2]؛ ومنها : كتاب (اللامات) لأبي القاسم الزجاجي (ت ٣٣٧هـ) وكتاب (اللامات) لأبي الحسن الهروي (ت ٤٥١هـ) وجدت بينهما شَبَهاً بيِّناً، فمع أنَّ لامات الزجاجي ليست من مصادر الهروي المصرَّح عنها في لاماته، إلاَّ أني أبصرت عبارة الزجاجي في لامات الهروي ظاهرة، وهذا دعاني لصنع موازنة بين الكتابين، تبرز الموافقات والفروقات بينهما مع التحليل. وقد حوى البحثُ هذه التقدمة، ثم تعريفاً بالمُؤلِّفَيْن، تلاه التعريف بالكتابين والموازنة العامة بينهما تحت عنوان (بين يدي الكتابين)، وانتقلتُ بعد ذلك إلى الموازنة بين منهجي الكتابين في : العبارة، الأبيات الشعرية، الآيات القرآنية، الحديث النبوي الشريف، المصادر، وذلك كله تحت عنوان (في المنهج) . ثم أعقبت ذلك بالكلام عن (الموافقات) ثم (الفروقات)، أمَّا المبحث الأخير فهو(نقد وتحليل) . وأردفت البحث بخاتمة موجِزَةٍ نتائج هذا البحث، وليَهَا ملخص للبحث، ثم صنعت ثبتاً للمصادر والمراجع التي أفدت منها، وفهرسة لمحتوى البحث .

أسألك ربي حسن القصد، والمنَّ بالقبول، فأنت حسبي ونعم الوكيل .

ترجمة الزجاجي[3] والهروي[4]

الاسم والنسبة :

الزجاجي هو أبو القاسم عبدالرحمن بن إسحاق. والزجاجي نسبة إلى شيخه أبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجّاج (ت ٣١١هـ) . أمَّا الهروي فهو أبو الحسن علي بن محمد . والهَروي نسبة إلى هَرات إحدى مدن خراسان .

المولد والوفاة :

ولد الزجاجي في الصيمرة، وقيل في نهاوند، وكلاهما جنوب همذان من بلاد فارس، ولم تذكر كتب التراجم تاريخ ولادته . أمّا وفاته فكانت في طبرية، فيما بين (٣٣٧هـ) و(٣٤٠هـ) ولعل أقربها للصواب الأول .

وكانت ولادة الهروي في هرات سنة (٣٧٠هـ) وتوفي فيها حوالي سنة (٤١٥هـ).

حياتهما :

نزل الزجاجي بغداد، ولزم شيخه أبا إسحاق الزجَّاج، وبه عُرف . ورحل إلى دمشق وحلب ومكة وطبرية، معلِّماً ومتعلماً، وباعثه على ذلك خدمة العلم تحصيلاً وإفادة، وهذا أمارة على إخلاصه للعلم وانكبابه عليه . وقد عُرِف بتواضعه وإخلاصه وحسن تدينه .

وسكن الهروي مصر إبان حكم الفاطميين، وأدخل إليها كتاب الصحاح للجوهري (ت ٣٩٣هـ) بعد أن استدرك ما وجده فيه من نقص وخلل .

شيوخهما :

يعدّ أبو إسحاق الزجّاج (ت ٣١١هـ) سيّد شيوخ الزجاجي، نظراً لطول ملازمته إياه . وكان له من الشيوخ كثير، منهم : سليمان بن محمد البغدادي، المعروف بأبي موسى الحامض (ت ٣٠٥هـ) ومحمد بن العباس اليزيدي (ت ٣١١هـ)، وابن السرّاج : أبو بكر محمد بن السري بن سهل (ت ٣١٦هـ)، وأبو بكر الأزدي: محمد ابن الحسن بن دريد، وأبو بكر الخيّاط : محمد بن أحمد ابن منصور (ت ٣٢٠هـ)، وأبو الحسن علي بن كيسان (ت ٣٢٠هـ) وأبو جعفر الكاتب (ت ٣٢٢هـ)[٥]، ونفطويه: إبراهيم بن محمد الأزدي (ت ٣٢٣هـ) وأبو بكر محمد ابن القاسم الأنباري (ت ٣٢٧هـ)، وأبو جعفر بن رستم الطبري، وأبو عبدالله الحسين بن محمد الرازي، وأبو علي الحسن بن علي العتري، وغيرهم .

أمّا الهروي فلم تحدثنا كتب التراجم عن شيوخه .

تلاميذهما :

أفاد من علوم الزجاجي كثيرون، ومن أقطار عدة، ومنهم : ابن شرام النحوي : أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد (ت ٣٨٧هـ)، والحسين بن عبدالرحيم بن الوليد الكلابي[٦] (ت ٣٥٤هـ)، وابن الطحان : أحمد بن محمد ابن سلامة الستيتي الدمشقي[٧] (ت ٤١٧هـ)، وسليمان ابن محمد الزهراوي[٨]، وأحمد بن علي الحبال الحلبي، وعبدالرحمن بن عمر بن نصر، ومحمد بن أبي نصر الدمشقي[٩] .

وسكتت كتب التراجم عن الحديث عن تلاميذ الهروي.

مؤلفاتهما :

ذكر مازن المبارك في كتابه (الزجاجي : حياته وآثاره ومذهبه النحوي، من خلال كتابه (الإيضاح) جميع مؤلفات الزجاجي، مع التعقيب على كل منها، وهي : كتاب الجمل، والأمالي، والإيضاح في علل النحو، وشرح مقدمة أدب الكاتب، ومختصر الزاهر، وكتاب اشتقاق أسماء الله تعالى وصفاته المستنبطة من التنزيل وما يتعلق بها من اللغات والمصادر والتأويل، وكتاب الإبدال والمعاقبة والنظائر، وكتاب اللامات، وشرح كتاب الألف واللام للمازني، والمخترع في القوافي، وكتاب الهجاء، وكتاب المجموع في معرفة أنواع الشعر وقوافيه، وكتاب معاني الحروف، وشرح رسالة كتاب سيبويه، وكتاب غرائب مجالس النحويين الزائدة على تصنيف المصنفين، والإذكار بالمسائل الفقهية، ومسائل متفرقة، والأسئلة الواردة على البسملة وأجوبتها .

أما مؤلفات الهروي فذكر بعضها في كتابه (الأُزهية في علم الحروف)، وهي: الذخائر[١٠]، وكتاب في الأمر[١١]، وكتاب المذكر والمؤنث[١٢]، وكتاب الوقف[١٣].

وتذكر كتب التراجم له كتاب (المرشد) وهو كتاب مختصر في النحو .

والملاحظ قلة مصنفات الهروي بالمقارنة بمصنفات الزجاجي، وعود ذلك إلى أنَّ الهروي لم يعش طويلاً ؛ فلم تتجاوز حياته خمساً وأربعين سنة . أمّا الزجاجي فمع خلو كتب التراجم من الحديث عن مولده إلاَّ أنه يترجح أنه عاش أكثر من الهروي ؛ نظراً لوفرة آثاره العلمية وكثرة تنقله في الأمصار .

بين يدي الكتابين:

تناول المؤلفان في كتابيهما الكلام على اللام وأحكامها في العربية، واتفق كلاهما في الحديث على معظم اللامات؛ فمن حيث التعداد ذكر الزجاجي ثلاثين لاماً، وهي في الواقع إحدى وثلاثون؛ لأنه جمع بين (لام المستغاث به) و(لام المستغاث من أجله) في باب واحد.

وعرض الهروي لأربع وثلاثين منها، والجدول التالي يوضح اللامات عندهما، وما فيها من فروق في التسمية والباب:

الزجّاجي	الهروي
١. باب ذكر اللام الأصلية (ص٦)	ذكرها في المقدمة ولم يذكرها استقلالاً (ص ٢٩)
٢ - لام التعريف	١ - باب لام التعريف (ص ١١٨ - ١١٩) .
- باب ذكر ما يمتنع اجتماعه مع الألف واللام اللتين للتعريف وما يمتنع إدخاله على هذه الألف واللام وذكر معاني (الآن) وعلة بنائه (ص ٣٠ - ٣٩).	
- باب في تبيين وجوه دخول الألف واللام على الأسماء المشتقة من الأفعال (ص ٤٠ - ٤٤) .	
- باب ذكر المذهب الذي ينفرد به الكوفيون من دخول الألف واللام بمعنى الذي على الأسماء المشتقة (ص ٤٥ - ٤٦) .	
٣ - باب لام الملك (ص ٤٧ - ٥٠) .	٢ - باب لام الإضافة وقد يقال لام الجرِّ ولام الملك (ص٣١ - ٣٧).
٤ - باب لام الاستحقاق (ص ٥١ - ٥٢).	٣ - باب لام الاستحقاق (ص ٣٨) .
٥ - باب لام كي (ص ٥٣ - ٥٤) .	٤ - باب لام كي (ص ١٢٥ - ١٢٧) .
٦ - باب لام الجحود (ص ٥٥ - ٥٩) .	٥ - باب لام الجحود وقد تسمى لام النفي (ص ١٢٨ - ١٣٠) .
٧ - باب لام إنَّ (ص ٦٠ - ٦٨) .	٦ - باب اللام التي تدخل على خبر إنَّ الثقيلة (ص ٨٣ - ٨٧) .
٨ - باب لام الابتداء (ص ٦٩ - ٧١) .	٧ - باب لام الابتداء (ص ٧٨ - ٨٢) .
٩ - باب لام التعجب (ص ٧٢ - ٧٤) .	٨ - باب لام التعجب (ص ٥٤ - ٥٦) .
١٠ - باب اللام الداخلة على المُقسم به (ص ٧٥ - ٧٧)	ذكرها في باب لام الابتداء .
١١ - باب اللام التي تكون جواب القسم (ص ٧٨ - ٨٠) .	٩ - باب لام جواب القسم (ص ٩٢ - ١٠٠) .
١٢ - باب لام المستغاث به ولام المستغاث من أجله (ص ٨١ - ٨٧).	١٠- باب لام المستغاث به ولام المستغاث من أجله (ص ٧٤- ٧٥) .
١٣ - باب لام الأمر (ص ٨٨ - ٩٤) .	١١- باب لام الأمر (ص ١٢٠ - ١٢٢) .
١٤ - باب لام المضمر (ص ٩٥ - ٩٨) .	ذكرها في لام الإضافة .
١٥ - باب اللام الداخلة في النفي بين المضاف والمضاف إليه (ص٩٩ - ١٠٩) .	١٢- باب لام توكيد الإضافة (ص ٦٢ - ٧٣) .

١٦ – باب اللام الداخلة في النداء بين المضاف والمضاف إليه (ص١١٠ – ١١٢).	ذكرها في باب لام توكيد الإضافة .
١٧– باب اللام الداخلة على الفعل المستقبل في القسم لازمة (ص ١١٣ – ١١٦) .	ذكرها في باب لام جواب القسم
١٨– باب اللام التي تلزم إنْ المكسورة الخفيفة من الثقيلة (ص ١١٧ – ١٢٤) .	١٣– باب اللام التي تدخل على خبر إنْ المكسورة المخففة من الثقيلة (ص ٨٨ – ٩١) .
١٩– باب لام العاقبة (ص ١٢٥ – ١٢٨) .	١٤– باب لام العاقبة (ص ١٣٥ – ١٣٨) .
٢٠– باب لام التبيين (ص ١٢٩ – ١٣٥) .	١٥– باب لام التبيين (ص ٥٧ – ٦١) .
٢١– باب لام لو (ص ١٣٦ – ١٣٨) .	١٦– باب لام جواب لو (ص ١٠١ – ١٠٣) .
٢٢– باب لام لولا (ص ١٣٩ – ١٤٠) .	١٧– باب لام جواب لولا (ص ١٠٤ – ١٠٧) .
٢٣– باب لام التكثير (١٤١ص – ١٤٢) .	١٨– باب لام التكثير (ص ١٣٩) .
٢٤– باب اللام المزيدة في عبدل (ص ١٤٣ – ١٤٥)	١٩– باب اللام المزيدة في عبدل وما أشبهه (ص ١٤٢ – ١٤٣) .
٢٥– باب اللام المزيدة في لعلَّ (ص ١٤٦ – ١٤٩) .	٢٠– باب لام لعلَّ (ص ١١٦ – ١١٧) .
٢٦– باب لام إيضاح المفعول لأجله (ص ١٥٠ – ١٥٣) .	٢١– باب اللام بمعنى «من أجل» (ص ٤٨ – ٥٠).
٢٧– باب اللام التي تعاقب حروفاً وتعاقبها (ص ١٥٤ –١٥٦) .	٢٢ – باب لام البدل (١٤٠ – ١٤١).
٢٨– باب اللام بمعنى إلى (ص ١٥٧ – ١٥٨) .	٢٣– باب اللام بمعنى إلى (ص ٣٩ – ٤١) .
٢٩– باب لام الشرط (ص ١٥٩ – ١٦٠) .	٢٤– باب اللام التي تدخل على إنْ التي للمجازاة (ص١٠٩–١١٥).
٣٠– باب اللام التي تكون موصلة لبعض الأفعال إلى مفعوليها وقد يجوز حذفها (ص ١٦١ – ١٦٢)	٢٥ – باب لام تعدي الفعل (ص ٥١ – ٥٣) .
ـــــــ	٢٦– باب اللام بمعنى على (ص ٤٢ – ٤٣).
ـــــــ	٢٧– باب اللام بمعنى مع (ص ٤٤) .
ـــــــ	٢٨– باب اللام بمعنى بعد (ص ٤٥) .
ـــــــ	٢٩– باب اللام بمعنى من (ص ٤٦) .
ـــــــ	٣٠– باب اللام بمعنى في (ص ٤٧) .
ـــــــ	٣١– باب لام التوكيد وقد يقال لام التأكيد (ص ٧٦ – ٧٧) . وهي عدد من اللامات تفيد التوكيد .
ـــــــ	٣٢– اللام بمعنى إذاً (ص ١٠٨) .
ـــــــ	٣٣– باب لام الوعيد (ص ١٢٣ – ١٢٤) .
ذكرها في باب لام إيضاح المفعول لأجله	٣٤– باب اللام بمعنى أنْ (ص ١٣١ – ١٣٤).

وفي آخر كلام الزجاجي عن آخر لام في كتابه (باب اللام التي تكون موصلة لبعض الأفعال إلى مفعوليها وقد يجوز حذفها) قال: «هذا منتهى القول في اللامات وأنواعها ومواقعها . وإنْ ورد منها مالم نذكره فلن يخرج عن أصلٍ من هذه الأصول البتة، فتدبر ما يرد عليك منها، فإنه راجع إلى بعض ما ذكرناه إنْ شاء الله»[١٤] أعقب ذلك بـ (باب معرفة أصول هذه اللامات وبيان تشعبها منها)[١٥] وهو تلخيص للامات التي تناولها كتابه . وأردف كتابه بملاحق ذات صلة بمادة الكتاب العلمية، إثراء في معرفة اللامات وأحكامها ؛ وهي[١٦] : باب أحكام اللامات في الإدغام، باب من مسائل اللام نختم به الكتاب، مسألة من القرآن . وكان آخر قوله في الكتاب : «تمَّ الكتابُ والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ . وصلَّى الله على سيِّد المرسلين محمدٍ نبيه، وعلى أهل بيته الطيِّبين، صلاةً دائمةً زاكيةً إلى يومِ الدين . وحسبُنَا اللهُ ونعمَ الوكيلُ»[١٧].

وكان آخر كلام الهروي في لاماته في (باب اللام المزيدة في عبدل وما أشبهه) وختم الكلام فيه بالقول: «كمل الكتاب بحمد الله وعونه، وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً»[١٨] ولم ينحُ نحو الزجاجي في عرض ملخص لما ذكره في كتابه، ولا في صنع ملاحق تغني مادة الكتاب .

الموازنة في المنهج :

العبارة :

اتسمت العبارة في كلا الكتابين بالوضوح والبساطة، فلا مكان للألفاظ المبهمة فيهما، وهذا السطوع في البيان أذكى الغرض التعليمي عند كليهما . ومن تجليات هذا الغرض تقريرهما معظم مسائلهما بأفعال الطلب ؛ نحو: اعلم، افهم . ويشهد لذلك صنيعهما في الكلام على لام التعريف ؛ فالزجاجي يقول : «اعلم أنَّ الألف واللام اللتين للتعريف في قولك : الرجل، والغلام، والثوب، والفرس، وما أشبه ذلك للعلماء فيها مذهبان : ....»[١٩] ويقول الهروي : «اعلم أنَّ لام التعريف كقولك: الرجل، والفرس، والدار، والثوب، وما أشبه ذلك ....»[٢٠].

ومن مظاهر المسلك التعليمي في لاماتهما حرصهما على ذكر الفروق بين بعض اللامات التي قد يقع فيها اللبس، وكانت عناية الزجاجي تفضل على عناية الهروي في ذلك ؛ فالزجاجي يعرض للفروق ببيان واضح ووافٍ، أمَّا الهروي فيميل إلى الإيجاز في ذلك، ولننظر إلى تفريقهما بين لام الاستحقاق ولام الملك . قال الزجاجي: «لام الاستحقاق خافضة لما يتصل بها، كما تخفض لام الملك . ومعنياهما متقاربان، إلاَّ أنَّا فصلنا بينهما لأنَّ من الأشياء ما لا تُستحق، ولا يقع عليها الملك . ولام الاستحقاق كقوله عزَّ وجلَّ (الحمدُ للّه ربِّ العالمين) و(الحمدُ للهِ الذي هدَانا) وكقولكَ : المنةُ في هذا لِزيد، والفضلُ فيما تسديه إليَّ لِزيدٍ . ألا ترى أنَّ الفضل والمنة ليس مما يُملك، وإن كان المملوكُ والمُستحقُّ حاصلين للمستحِق والمالك . ولام الملك والاستحقاق جميعاً من صلة فعل أو معناه لا بدَّ من ذلك»[٢١].

و فرَّق الهروي بينهما بالقول «وهي قولك : الحمد لله، والشكر لله، والفضل في هذا لزيد، والمنة في هذا لعمرو. فهذه لام الاستحقاق . والفرق بينها وبين لام الملك أنَّ هذه الأشياء ليست مما يُملك، وإنما هي تُستَحقُّ»[٢٢].

وفي تفريقهما بين لام المستغاث به ولام المستغاث من أجله نجد الزجاجي يقول : «اعلم أنَّ لام المستغاث به مفتوحة، ولام المستغاث من أجله مكسورة فرقاً بينهما، وهما خافضتان جميعاً لما تدخلان عليه .... واعلم أنَّ

أصل هذين اللامين الكسر لأنهما اللام الخافضة في قولك : لزيدٍ ولعمروٍ، وإنما فتحت لام المستغاث به فرقاً بينها وبين لام المستغاث من أجله . وكانت لام المستغاث من أجله أولى بالكسر ولأنْ تبقى على بابها لأنَّ المستغاث من أجله يُجرُّ إليه المستغاث ويُطلب من أجله .....»[٢٣]

ولنسُقْ كلام الهروي : «وذلك قولك : يا لَزيدٍ لِعمروٍ . فتفتح لام المستغاث به، وتكسر لام المستغاث من أجله للفرق بينهما وتنخفض بهما جميعاً»[٢٤].

كما فرَّقا بين لام الجحود ولام (كي) .

الأبيات الشعرية :

بلغ عدد الأبيات في لامات الزجاجي ثلاثة وتسعين بيتاً . أمَّا في لامات الهروي فكانت ثمانية وخمسين بيتاً، ومردُّ زيادة عدد الأبيات عند الزجاجي إلى أنَّ المادة العلمية في كتابه أثرى منها عند الهروي، وهذا ما سيُشار إليه لاحقاً . والأبيات المتفق عليها الواردة في كتابيهما لم تتجاوز السبعة عشر بيتاً ؛ عَزَوَا معاً بعضها إلى قائليها، وأهملا ذلك معاً في بعض، وهناك أبيات أخرى أغفل الزجاجي نسبتها ونَسَبَها الهروي . ومما عُزي عندهما إلى نصيب قوله :

ولولا أنْ يُقالَ صَبَا نصيبٌ

لقلتُ: بنفسي النَشَأُ الصِغارُ[٢٥]

ومما أهملا عزوه قول رؤبة :

يا أبتا علَّكَ أو عَسَاكَا[٢٦]

وقد ذكر الزجاجي أبياتاً من غير نسبة ساقها الهروي منسوبة في كتابه ؛ منها قوله :

مَنْ صَدَّ عن نيرانها

فأنا ابنُ قيسٍ لا براحْ

حيث عزاه الهروي إلى سعد بن مالك[٢٧] .

وفي قليل من الأحيان يستغنيان عن العزو بالإشارة إلى ورود البيت في كتاب سيبويه أو غيره ؛ نحو :

لو غيرَكم علقَ الزبيرُ بحبله

أدَّى الجوارَ إلى بني العوَّامِ

حيث أغفل الزجاجي نسبته إلى جرير مكتفياً بالقول: «وأنشد المبرد»[٢٨].

ونظيره صنيع الهروي في قوله :

يا أبتا علَّكَ أو عَسَاكَا

قال فيه : «أنشد سيبويه»[٢٩]

ولم يعرج الإمامان على الروايات في الأبيات عدا بيت جرير :

كسا اللومُ تيماً خضرةً في جلودها

فويلاً لتيم من سرابيلِها الخُضرِ

إذ ذكرا رواية الرفع فيه (فويلٌ) مع التوجيه لكل منهما[٣٠].

أمَّا تعاملهما مع الأشعار بعامة فكان متشابهاً في الغالب؛ فكلاهما يورد البيت تاماً دون الاقتصار على الشاهد فيه، اللهم إلاَّ في بيتين اثنين لم يذكرهما الزجاجي بتمامهما، وهما ما نُسب إلى عدي :

.... يسمو

إلى أوصالِ ذيَّالٍ رِفَنِّ[٣١]

وقول آخر :

....

ولكنني من حبِّها لكميدُ[٣٢]

ونراهما يعقبان بعض الأبيات ببيان معانيها بإيجاز ؛ نحو شرح الزجاجي معنى قوله :

يا عجباً لهذه الفليقةْ

هل تُذهِبَنَّ القُوباءَ الرِّيقَةْ

قال : «الفليقة : الداهية ؛ كأنه دعا العجب من أجل الفليقة »[٣٣]

وقريب منه صنيع الهروي في قوله :

فلو كنت مولى الظلِّ أو في ظلاله

ظلت ولكن لا يدي لك والظلم

فأعرب عن معناه بالقول : «معنى الظل هاهنا : المنعة والعز، يقال : فلانٌ في ظلِّ فلانٌ ؛ أي في عزِّه . يريد : لو كنت ذا عزٍّ وفي ظلال عزٍّ لظلمت »[٣٤]

ولم يعدما الإشارة إلى الضرورات في بعض الأشعار، نحو قول مسكين الدارمي :

وقد ماتَ شماخٌ وماتَ مزرِّدٌ

وأيُّ كريم لا أباكَ مخلَّدُ

حيث حذف الشاعر اللام في (أباك) ضرورة، والأصل : لا أبالك[٣٥].

ومن المفارقات بينهما وضوح النزعة النقدية في لامات الزجاجي، المعربة عن موقفه من استخدامات الشعراء وغيرهم، وخلو صفحات كتاب الهروي منها . فقد ردَّ الزجاجي في كلامه على اللام الأصلية تجويز الفرَّاء (ت ٢٠٧هـ) الرفع بعد (إلاَّ) في الإيجاب، وذكر أنه لحن عند البصريين، ثم قال : «وقد استعمله كثير من الشعراء المُحْدَثين، وكثيراً ما نراه في شعر أبي نُواس ومن في طبقته، وأحسبهم تأولوا هذا المذهب»[٣٦].

وفي حديثه عن اللام المزيدة في (لعلَّ) ذكر لغة الخفض بها، وأشار إلى شذوذها، وأجاب عن قوله :

وداعٍ دعا: هل من مجيب إلى الندى

فلم يستَجِبْهُ عند ذاك مجيبُ

فقلتُ :ادعُ أخرى، وارفع الصوت داعياً

لعلَّ أبي المغوار منكَ قريبُ

بـ «هذا شعر قديم، ومثل هذا يُروى على شذوذه ولا يُقاس عليه»[٣٧] وعرض الهروي للغة الخفض بها وأنشد الشعر المذكور دون إلماحة إلى شذوذ ذلك[٣٨] .

وفي كلام الزجاجي عما يمتنع اجتماعه مع الألف واللام اللتين للتعريف قال : «واعلم أنه جائز إدخال جميع العوامل على الاسم المعرَّف بالألف واللام من رافع وناصب وخافض إلاَّ حرف النداء .... وقد غلط بعض الشعراء فأدخلها على (الذي) لمَّا رأى الألف واللام لا تفارقانه فقال :

فيا الغلامان اللَّذانِ فَرَّا

إياكما أنْ تُكسبانا شرًا

وقال آخر :

من أجلكِ يا التي تيَّمتِ قلبي

وأنتِ بخيلةٌ بالودِّ عنِّي

وكان المبرد يردُّ هذا ويقول هو غلط من قائله أو ناقله ؛ لأنه لو قيل : فيا غلامان اللذانِ فرَّا ....لاستقام البيت وصحّ اللفظ به، ولم تدع ضرورة إلى إدخال الألف واللام»[٣٩] وهذا مسلك نعدمه في لامات الهروي .

الآيات القرآنية :

كان تعداد الآيات عند الزجاجي ثماني عشرة ومئة آية[١١٨] ، وبلغت في لامات الهروي ثمانياً وخمسين ومئة آية[١٥٨] ، وتفوق الهروي في العدد عَوْدُه إلى أنه لا يكتفي بشاهد قرآني واحد للمعنى الذي فيه الكلام، بل يذكر معظم الآيات الموافقة، من ذلك كلامه على (لام جواب لو) ؛ قال : «وذلك قولك : لو جاءَ زيدٌ لأكرمتُكَ، والمعنى: أنَّ إكرامي إياك إنما امتنع لامتناع زيد من المجيء، فـ(لو) لامتناع الثاني بامتناع الأول، واللام في جواب (لو) للتوكيد كقولك : لو كان كذا لكان كذا. وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا﴾

[سورة الحشر/ ٢١]، وقال تعالى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [سورة الفتح/٢٥]، وقال تعالى: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ [سورة الواقعة/ ٦٥] وقال عز وجلَّ ...»[٤٠] أمَّا الزجاجي فيكتفي بآية واحدة أو اثنتين، وما تجاوز ذلك إلى الثلاثة إلا في كلامه على لام الابتداء[٤١]. وهو يذكر أقوال العلماء في الآيات، ويناقشهم مبدياً موقفه من أقوالهم. أمَّا الهروي فيكتفي بالنقل دون إبداء رأي فيما يعرضه من أقوال؛ ويشهد بصنيع الزجاجي ما جاء في باب اللام التي تكون موصلة لبعض الأفعال إلى مفعوليها وقد يجوز حذفها، حيث قال: «ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾ [سورة النمل/ ٧٢] تقديره: ردفكم، والمعنى واحد، وأهل التفسير[٤٢] يقولون: معناه: دنا لكم، وهذا ليس بمقيس، أعني إدخال هذه اللام بين المفعول والفعل، وإنما هو مسموع في أفعال تُحفظ ولا يُقاس عليها. ألا ترى أنه غير جائز أنْ يقال: ضربتُ لزيد، وأكرمتُ لعمرو، وأنت تريد: ضربتُ زيداً وأكرمتُ عمراً. ومهما ثبتت به رواية صحيحة أُلحق به»[٤٣]. وفي كلامه على لام العاقبة ذكر أنَّ العرب قد تسمي الشيء باسم عاقبته، و استشهد لذلك بقوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [سورة يوسف/ ٣٦] أي: يعصر عنباً سيؤول حاله إلى خمر، وأردف ذلك بالردِّ على ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٦٧هـ) دون أن يسميه: «فقد زعم مَنْ لا علم له بالعربية ومعرفة أساليبها واتساع العرب فيها أنَّ الخمر هاهنا هو العنب نفسه، ضعفاً منه عن تخريج وجهه من كلام الفصحاء منهم وإلحاقه بما يعرفون الخطاب به، ولو كان هذا جائزاً في اللغة لكان مَن أكل العنب قد أتى ما حظره الله عليه من تحريم الخمر. وقد خاطب الله تعالى ذكره العربَ وأصحاب النبي ﷺ بذلك، فعقلوا المراد به، ولم يُحمل عن أحد منهم أنَّ المراد بالتحريم العنب، والإجماع على هذا يدل على فساد ما ذهب إليه هذا القائل بهذه المقالة»[٤٤].

وكان من منهجهما في عرض القراءات القرآنية الإشارة إلى كونها قراءة، ولم يلتزما طريقة في عزوها من عدمه، فنجدهما يعزوان تارة، ويرسلان تارة أخرى، ولا نجد إشارة منهما إلى كون القراءة متواترة أو شاذة، وهذا أمارة على احتجاجهما بالشاذ منها؛ ففي كلامهما على لام الأمر عرضا لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [سورة الحج / ٢٩] وذكرا ورودها بكسر اللام من ﴿لِيَقْضُوا﴾ وبتسكينها، وهي بالتسكين قراءة شاذة، ورجَّح الزجاجي الكسر، واكتفى الهروي بالنقل[٤٥].

الحديث النبوي الشريف:

لم يكن المؤلفان مُكثِرَين من الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف في كتابيهما، حال كثير من النحويين، وهذا الإقلال لا ينهض دليلاً على القول بعدم حجية الحديث النبوي عندهما، فمرد القلة إلى عدم اشتغالهما بعلوم الحديث، ووجود القليل من الأحاديث عندهما شاهد على احتجاجهما به؛ إذ لو كانا لا يريان حجيته في اللغة لخلت كتبهما منه، ولم يعرجا عليه إلاَّ تمثيلاً، والواقع خلافه. فالزجاجي احتجَّ في كلامه على لام الأمر على جواز دخولها على الفعل للمخاطب بقراءة أُبي وأنس (فبذلكَ فلْتَفرَحُوا) وبقوله عليه الصلاة والسلام في بعض مغازيه لبعض أصحابه: «لتأْخُذُوا مَصَافَّكُم»[٤٦]، وفي حديثه عن لام المضمر ذكر أنَّ بعض العرب يقلبون الألف ياء ويدغمونها في ياء المتكلم، وذلك في المقصور

المضاف إلى ياء المتكلم، واستشهد عليها بقول بعض الصحابة رضي الله عنهم «وضعوا اللجَّ على قَفَيَّ»[٤٧].

ويشهد لذلك ما جاء في بيانه لام التعجب؛ حيث ذكر أنَّ لام القسم تخفض المقسَم به إذا تضمنت معنى التعجب في الله وحده، وأعرب عن معناها بالقول: «وقد كشف بعض المُحَدِّثين معنى هذه اللام وتضمنها للتعجب بأنْ كرَّر عليها التعجب، وإنْ كان ليس بحجة، ولكنَّه مما يُبيِّن هذا المعنى؛ وهو قوله:

لله آنسةٌ فُجِعْتُ بها

ما كانَ أبعدَها من الدنس[٤٨]

ولو كان الحديث الشريف مما لا يحتجُّ به لعلَّق على كل حديث أو أثر بمثل ما علَّق به على هذا البيت لكونه ليس حجة.

وسنة الهروي سنة الزجاجي في التعامل مع حديث المصطفى عليه الصلاة والسلام؛ فالحديثان في لاماته ذكرهما للاحتجاج لا للتمثيل؛ فهو يقول في باب اللام بمعنى (بعد): «وذلك كقول الله تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ ﴾ [سورة الإسراء / ٧٨]. أي: بعد زوال الشمس. وكقول النبي ﷺ: صوموا لرؤيته. أي: بعد رؤيته»[٤٩] وفي كلامه على لام الوعيد قال: «ومنه الحديث عن النبي ﷺ» مَنْ كذبَ عليَّ متعمداً فليتبوَّأ مقعدَهُ من النارِ «فهذه لام الوعيد»[٥٠].

حوى كتاب الزجاجي أربعة أحاديث؛ ثلاثة أوردها باللفظ وواحداً بالمعنى[٥١]، والهروي ذكر الحديثين الآنفين باللفظ، ولم يذكر واحدٌ منهما رواة الأحاديث في كتابيهما.

المصادر:

لا يجد القارئ في كتابي الزجاجي والهروي صعوبة في الوقوف على التشابه الكبير بين مصادرهما؛ فهما أفادا من آراء سيبويه[٥٢] (ت نحو ١٨٠هـ) والخليل[٥٣] (ت ١٧٥هـ)، كما ضمت مصادرهما أقوال الفرَّاء[٥٤] (ت ٢٠٧هـ)، والمبرد[٥٥] (ت ٢٨٦هـ)، والكسائي[٥٦] (ت ١٨٩هـ)، والمازني[٥٧] (ت ٢٤٩هـ)، وأبي إسحاق الزجَّاج[٥٨] (ت ٣١١هـ)، والأصمعي[٥٩] (ت نحو ٢١٥هـ)، وابن الأعرابي[٦٠] (ت ٢٣١هـ)، وقطرب[٦١] (ت ٢٠٦هـ).

وانفرد الزجاجي بالإفادة من آراء يونس بن حبيب[٦٢] (ت ١٨٢هـ) وأبي عمرو بن العلاء[٦٣] (ت ١٥٤هـ) وابن السكِّيت[٦٤] (ت ٢٤٤هـ).

وانفرد الهروي بالنقل عن الأخفش[٦٥] (ت ٢١٠هـ)، وأبي حاتم السجستاني[٦٦] (ت قبل ٢٥٠هـ).

ونجد عندهما مصادر يشيران إليها بالقول: «قال بعضهم»[٦٧] و«بعض العلماء»[٦٨] و«بعض النحويين»[٦٩] و«آخرون من البصريين»[٧٠] و«بعض أهل اللغة»[٧١] و«بعض الناس»[٧٢] وأحياناً «قالوا»[٧٣] و «قد قيل»[٧٤] نحو ذلك.

وكان من منهجهما في الأخذ عن المصادر ذكر ما تفرض الحاجة ذكره دون استطراد، والاقتصار على اسم المؤلِّف دون الكتاب، والنقل المباشر دون واسطة؛ وهما ينقلان النص أحياناً ويحكيان المعنى أحياناً أخرى؛ إلا أنَّ نقل النص كان الغالب عند الهروي. وانظر صنيعهما في النقل عن سيبويه، حيث حكى عنه الزجاجي في باب أحكام اللامات في الإدغام قوله: «قال سيبويه: وذلك لأنَّ اللام من طرف اللسان كما ذكرت لك، واثنا عشر حرفاً من هذه الحروف من طرف اللسان، وحرفان منها يخالطان طرف اللسان، فلمَّا اجتمع فيها هذا وكثرتها في الكلام لم يجزْ إلاَّ الإدغام»[٧٥].

ونقل عنه الهروي في باب لام الابتداء قوله: «سألت

الخليل عن قولهم : لتفعلنَّ، مبتدأة لا يمين قبلها فقال : جاءت على نيَّة اليمين»[٧٦].

ونجد الزجاجي في لاماته يعرب عن رأيه فيما ينقله عن المصادر، وليس ذلك تعصباً منه لمذهب نحوي دون آخر، فهو يفصح عن موقفه دون تحيُّز ؛ وخير مبين عن هذا النهج قوله : «نقول في هذا الفصل ما قاله المازني؛ قال : إذا قال العالم المتقدِّم قولاً فسبيل مَنْ بعده أنْ يحكيه، وإنْ رأى فيه خللاً أبان عنه ودلَّ على الصواب، ويكون الناظر في ذلك مخيَّراً في اعتقاد أيِّ المذهبين بان له فيه الحق»[٧٧] .

أمَّا الهروي فلم أعثر في لاماته على نقل واحد نقضه، بل كان نقله نقل إقرار ورضىً، مع أنَّ المتوقع منه أنْ يبدي رأياً في رؤى مَنْ سبقه، كالزجاجي والرماني وابن فارس وغيرهم ممن كتب في اللامات، ولكننا لا نرى لهم ذكراً في كتابه فضلاً عن مخالفتهم، وعود إغفال ذكرهم إلى معاصرته بعضهم (الرماني وابن فارس)، فقلما نجد عند القدماء مَنْ ينقل عن معاصريه .

أمَّا الزجاجي فتجلى مسلكه في نقضه ما نقله عن الخليل بن أحمد الفراهيدي في أنَّ الألف واللام للتعريف كلمة واحدة مبنية من حرفين . قال : «ومذهب الخليل فيما ذكره ضعيف»[٧٨] ووافق قولَ الجمهور بأنَّ اللام مفردة للتعريف، والألف قبلها زائدة ليتسنى النطق بالساكن . وذكر الهروي في لام التعريف رأي الجمهور ورأي الخليل دون تعليق[٧٩] .

وفي كلام الزجاجي على لام المستغاث به نقل عن الفرَّاء قوله في أصل ميم (اللهم) ودفعه ؛ قال : «وقال الفرَّاء أصله : يا الله أمَّنا بخير، ثم اختُصر وجُعلت الكلمتان واحدة، ومُنِع من حرف النداء، وربما جاء شاذاً في الشعر، وأنشد :

وما عليكِ أنْ تقولي كلما

سبَّحت أو هلَّلت : يا اللهم ما

اردُدْ علينا شيخنا مُسَلَّما

ولا يعتدُّ البصريون بهذا الشعر ولا يرونه حجة . ولو كان القول على ما ذهب إليه الفرَّاء لَمَا امتنع من حرف النداء ؛ لأنَّ تصيير الشيئين شيئاً واحداً لا يمنع من دخول حرف النداء، ألا ترى أنَّا ننادي معدي كرب، ورام هرمز، وبعلبك، وما أشبه ذلك، وهما اسمان جُعِلا اسماً واحداً»[٨٠].

أمَّا الهروي فتحدث عن هذه اللام بإيجاز ولم يعرض لشيء مما تعرَّض له الزجاجي[٨١] .

الموافقات :

كان من دواعي الخوض في هذه الموازنة الشبه البيِّن بين الكتابين ليس في المادة العلمية فحسب، بل في العبارة أيضاً، فأحياناً نجد عبارة الزجاجي منقولة إلى لامات الهروي دون تغيير، ومرات يختصر كلام الزجاجي مع بعض تغيير فيها، ونقف في مواطن على تشابه واضح في كلامهما، مع أنَّ الهروي لم يشر في كتابه إلى الزجاجي البتة .

أمَّا ذكرُ الهروي عبارة الزجاجي نفسها فمنه ما جاء في باب لام التعجب ؛ حيث قال الزجاجي : «لام التعجب تدخل على المتعجب منه صلة لفعل مقدَّر قبله، كقولك: لزيد ما أعقله . والتقدير : اعجبوا لزيد ما أعقله، وكذلك قال بعض العلماء في قوله تعالى: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ [سورة قريش / ١] قال: تقديره : اعجبوا لإيلاف قريش لأنَّ حروف الخفض صلات للأفعال . وقال بعضهم : هي متصلة بسورة الفيل، تقديره : فجعلهم كعصف مأكول

لإيلاف قريش» وهذا النص نجده في لامات الهروي دون أي تغيير اللهم إلاَّ في قوله «لام التعجب تدخل» حيث جعلها الهروي «وهي تدخل»[٨٢].

ونظيره ما ذكره الهروي في باب لام كي بالقول: «اعلم أنَّ لام (كي) مكسورة، وهي تتصل بالفعل المستقبل، وينتصب الفعل بعدها عند البصريين بإضمار (أنْ)، وعند الكوفيين اللام نفسها ناصبة للفعل، وهي متضمنة معنى (كي) في كلا المذهبين ؛ وذلك قولك : أتيتك لتحسنَ إليَّ . المعنى : كي تحسنَ، وتقديره : لأنْ تحسنَ إليَّ، فالناصب للفعل (أنْ) المقدَّرة بعد اللام» وهذا الكلام هو نصّ الزجاجي بعينه[٨٣]. ومنه صنيعه في باب لام تعدي الفعل[٨٤].

ونرى الهروي يختصر كلام الزجاجي مع تغيير طفيف في الألفاظ في مواطن عديدة، وهذا الاختصار لا يمحو خصوصية عبارة الزجاجي عند القارىء، ولندلل على ذلك بعرض كلام الزجاجي من مطلعه في باب لام العاقبة، ثم بسوق تصرُّف الهروي فيه بالاختصار. قال الزجاجي : «وهي التي يسميها الكوفيون لام الصيرورة، وهذه اللام هي ناصبة لما تدخل عليه من الأفعال بإضمار (أنْ)، والمنصوب بعدها بتقدير اسم مخفوض، وهي ملتبسة بلام المفعول من أجله، وليست بها، وذلك قولك : أعددتُ هذه الخشبةَ ليميلَ الحائطُ فأدعمَه بها . وأنت لم ترد ميل الحائط ولا أعددتها للميل ؛ لأنه ليس من بغيتك وإرادتك، ولكنْ أعددتها خوفاً من أنْ يميلَ فتدعمَه بها، واللام دالة على العاقبة، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [سورة القصص/ ٨] وهم لم يلتقطوه لذلك، وإنما التقطوه ليكون لهم فَرَحاً وسروراً، فلما كان عاقبة أمره إلى أنْ صار لهم عدواً وحَزَناً جاز أنْ يقال ذلك، فدلَّت اللام على عاقبة الأمر . والعرب قد تسمّي الشيء باسم عاقبته، كما قال تعالى : ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ إنما كان يعصر عنباً تؤول عاقبته إلى أنْ يكون خمراً، فسمَّاها بذلك»[٨٥].

ولنعرض كلام الهروي : «باب لام العاقبة : ويسمّيها الكوفيون لام الصيرورة، وهي شبيهة بلام (كي) وليست بها، وذلك قوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ فهذه لام العاقبة ؛ لأنهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدواً وحَزَناً، إنما التقطوه ليكون لهم فَرَحاً وسروراً، ولكنْ لَمّا كان عاقبة أمره إلى أنْ صار لهم عدواً وحَزَناً جاز أنْ يقال ذلك . والعرب قد تسمّي الشيء باسم آخره، كما قال تعالى : ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ وإنما عصر عنباً، ولكنْ لَمّا كان عاقبته تؤول إلى أنْ يكون خمراً سمَّاه بذلك»[٨٦].

ومثله صنيعه في باب اللام المزيدة في (عبدل)[٨٧]، في باب اللام التي تدخل على خبر (إن) المكسورة المخففة من الثقيلة[٨٨]، وفي باب اللام بمعنى (إلى)[٨٩].

ومن وجوه الشبه بين نصَّيهما ما جاء في كلامهما على لام التعريف ؛ فالزجاجي يقول : «اعلم أنَّ الألف واللام اللتين للتعريف في قولك: الرجل، والغلام، والثوب، والفرس، وما أشبه ذلك للعلماء فيها مذهبان: أمَّا الخليل فيذهب إلى أنَّ الألف واللام كلمة واحدة مبنيَّة من حرفين، بمنزلة (مِنْ، ولمْ، وإنْ) وما أشبه ذلك ؛ فيجعل الألف أصليَّة من بناء الكلمة، بمنزلة الألف في (إن، وأن) واستدلَّ على ذلك بقول الشاعر :

دعْ ذا وعجِّلْ ذا وألحقنا بذلْ

بالشحم إنّا قدْ مللناهُ بَجَلْ»[٩٠].

ولنلحظ ما قاله الهروي فيها . قال : «اعلم أنَّ لام

التعريف كقولك: الرجـل، والفرس، والدار، والثوب، وما أشبه ذلك . والبصريون والكوفيون سوى الخليل يقولون: إنَّ اللام وحدها للتعريف، وإنَّ الألف زيدت قبلها ليوصل إلى النطـق بالـلام لأنهـا سـاكنة، ولا يمكـن الابتـداء بالسـاكن . وقال الخليـل : إنَّ الألف والـلام كلمة واحدة مبنية من حرفين بمنزلة (من، ولم، وقد، وبل) وما أشبه ذلك، واحتجَّ على ذلك بقول الشاعر :

قلتُ لطاهينا المطري في العمل

دعْ ذا وعجِّلْ ذا وألحقنا بذلْ

بالشحم إنَّا قدْ مللناهُ بَجَلْ»[٩١].

وقد دفع الزجاجيُّ رأيَ الخليل، ولم يعقِّب الهروي عليه .

ومن منهجهما في الكلام على اللامات التطرق لبعض عللها ؛ من ذلك تعليلهما بناء لام التعريف على السكون للتفريـق بينها وبـين باقي اللامات، ودخـول أل التعريف عليها ليتسنى النطق بالساكن[٩٢] .

كما علَّلا دخول اللام في خبر (إنَّ) دون اسمها كيلا يُجمع بين توكيدين[٩٣]، وكذا تعليلهما دخول النون مع اللام على الفعل المستقبل في جواب القسم للتمييز بين اللام في جواب القسم واللام في غيره[٩٤] ونحوه بيانهما علة فتح لام المُستغاث به مع أنَّ الأصل فيها الكسر ؛ وذلك للتفريق بينها وبين لام المُستغاث من أجله، مع فضل بيان عند الزجاجي على ما ذكره الهروي[٩٥] .

الفروقات :

ظهرت فروق في المادة العلمية بين الكتابين تمثلت في الآتي :

أولاً : فصَّل الزجاجي القول في اللام الأصلية في باب مفرد ؛ فذكر أنها في الأسماء والأفعال والحروف، وأنها تجيء فاءً وعيناً ولاماً، ومثَّل لكل، وتحدَّث عن (ليس) وخلاف النحويين في كونها حرفاً أو فعلاً، وارتضى قول البصريين في فعليتها[٩٦] .

وتكلَّم الهروي عنها في مقدمته بإيجاز شديد ؛ فقال: «فالأصليَّة : هي التي من أصل الكلام، نحو قولك: لهو، ولعب، وبلد، وجبل، ولم، ولن، ولكن . وما أشبه ذلك»[٩٧] .

ثانياً : تكلَّم الزجاجي عن لام الاستحقاق، فذكر أنَّ عملها الخفض، وفرَّق بينها وبين لام الملك، ومثَّل لها بقوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [سورة الفاتحة / ٢] وذكر تقدير سيبويه لمعنى الاستقرار فيه، وتقدير الفرَّاء معنى الحلول[٩٨] . أمَّا الهروي فأوجز القول فيها : «وهي قولك : الحمد لله، والشكر لله، والفضل في هذا لزيد، والمنة في هذا لعمرو. فهذه لام الاستحقاق، والفرق بينها وبين لام الملك أنَّ هذه الأشياء ليست مما يُملك وإنما هي تستحق، فتضيف بهذه اللام ما استحق من الأشياء إلى مستحقه»[٩٩] وهذا الاختصار غير مخلٍّ، وما ساقه الزجاجي فيه طول نفس واضح .

ثالثاً : نقل الهروي بعض كلام الزجاجي في باب لام (كي) مرسـلاً، وحكى ما حكاه مـن أحكامها، وزاد عليه مجيء (كي) بعدها، ومنه قوله تعالى (لِكَيلا تَأْسَـوا على ما فَاتَكُم) وغيره، وسـاق شواهد شعرية في تجردها عن (كـي) غير مـا ذكره الزجاجـي[١٠٠] . ومـا زاده الهروي في تلـك الـلام سـبقه إليـه ابـن فارس (ت ٣٩٥هـ) في لاماته[١٠١] .

رابعـاً : تحـدَّث الزجاجي عـن لام المسـتغاث به ولام المستغاث من أجله في باب واحد ؛ فذكر حركة كلٍ منهما، وفـرَّق بينهما ومثَّل لكل، وذكرَ أنَّ الأصـل فيهما الكسـر، واختير الفتح للام المستغاث به للتفريق بينهما، وعلَّل عدم

اختيار الضم للتفرقة بينهما . واشتمل كلامه على أنَّ لام المستغاث به عوض عن الزيادة في آخر المنادى، وفصَّل القول في ذلك وأجاد . أمَّا الهروي فقصر القول في اللامين على حركتهما والفرق بينهما مع التمثيل لهما[١٠٢] .

خامساً : أوضح الزجاجي في باب لام (لو) أنَّ (لو) يليها الفعل لا غير، وتكون اللام في جوابها، وقد تضمر . وأكثر القول في حال الاسم الواقع بعد (لو) وساق آراء النحاة فيه، وكأنَّ الكلام في هذا الاسم أكثر منه في لام الجواب التي هي موضوع بحثه .

أمَّا الهروي فذكر ما ذكره الزجاجي من أحكام تلك اللام، وصبَّ اهتمامه على الشواهد من آي الذكر الكريم، ولم يتناول كلامه أحوال الاسم الواقع بعد (لو)[١٠٣] .

سادساً : قال الزجاجي في لام التكثير بأنَّ الاسم من (ذلك) عند البصريين هو (ذا) واللام للتكثير، والكاف للخطاب. وأنَّ الاسم منها عند الكوفيين الذال وحدها والألف صلة، واللام للتكثير والكاف للخطاب . وذهب الهروي إلى أنَّ الاسم من (ذلك) عند الكوفيين هو الكاف وحدها والألف عماد للذال، واللام للتكثير[١٠٤] . ولم أقف على مَنْ نقل عن الكوفيين بأنَّ الكاف هي الاسم غير الهروي، ووافق الزجاجيَّ فيما حكاه عنهم أبو جعفر النحاس[١٠٥] (ت ٣٣٨هـ)، وأبو البقاء العكبري[١٠٦] (ت ٦١٦هـ) .

ولست على وثوق من نقل الهروي ذلك عن الكوفيين رغم ورود ذلك في كتابه، فربما كان ذلك من تصرف الناسخ، وليس للكتاب غير مخطوطة واحدة كما ذكر ذلك محققه الأستاذ يحيى علوان البَلْدَاوي[١٠٧] لتتسنى المقارنة بين النسخ لاستجلاء الصواب، وكنت أتمنى أنْ يكون للمحقق تعليق على ذلك، ولكنه لم يفعل .

سابعاً : فصَّل الزجاجي القولَ في باب اللام التي تكون جواب القسم فيما يجاب به القسم ؛ وهو : اللام، وإنَّ في الإيجاب، وما ولا في النفي، وذكر شواهد على كلٍ منها . أمَّا الهروي فجلُّ كلامه على الجواب باللام التي هي موضوع الباب، وذكر عَرَضاً الجواب بـ(إنّ) . وأجاد القول في تفصيله حذف لام الجواب وضوابطه التي لم يشرْ الزجاجي إليها إلا إلماحاً، كما نرى مزيد عناية عند الهروي في الشواهد القرآنية التي في هذا الباب[١٠٨] .

ثامناً : في حديث الزجاجي عن اللام الداخلة في النفي بين المضاف والمضاف إليه، التي يدعوها الهروي لام توكيد الإضافة، ذكر الزجاجي لغة إضافة (أبا) إلى الضمير بدون اللام (لا أباك) . وقال ذلك الهروي وحصره في الضرورة، وأهمل الزجاجي هذا التقييد الذي ذكره عدد من النحاة[١٠٩] .

تاسعاً : اشتمل كلام الزجاجي في (باب اللام التي تعاقب حروفاً وتعاقبها) على إبدال العرب الحروف المتقاربة المخرج، ومثّل لذلك بأمثلة من غير اللام، ثم تحدث عن إبدالهم النون والراء من اللام ومثّل لكل منها بغير مثال . أمَّا الهروي فسمَّى تلك اللام بـ (لام البدل) وأوجز فيها القول ؛ حيث قصره على إبدال النون من اللام، ولم يخرج عما أورده الزجاجي من أمثلة[١١٠] .

عاشراً : ذكر الهروي في (باب اللام بمعنى أنْ) ما لم يذكره الزجاجي عنها في (باب لام إيضاح المفعول لأجله) وهو الجمع بين اللام و(كيما) وشاهده قوله :

أردتُ لكيما يعلمَ الناسُ أنَّها
سراويلُ قيسٍ والوفودُ شهودُ[١١١]

وربما جمعوا بين اللام وكي وأنْ، وعليه قوله :

أردتُ لكيما أنْ تطيرَ بقربتي
فتتركَهَا شنّاً ببيداءَ بلقعِ[١١٢]

وقال : «واعلم أنَّ هذه اللام لا تكون إلاَّ بعد : أردت، وأمرت»[١١٣].

الحادي عشر : في حديثهما عن العلل في اللامات نجد الزجاجي يعلل امتناع دخول (يا) النداء على المعرَّف بأل لأنها تعرِّف المنادى بالإشارة والتخصيص، وتعرِّفه (ال) بالعهد ؛ فلا يُجمع بين تعريفين مختلفين وذلك في (باب ما يمتنع اجتماعه مع الألف واللام اللتين للتعريف وما يمتنع إدخاله على هذه الألف واللام وذكر معاني الآن وعلة بنائه) ولم يعرض الهروي إلى هذا الباب البتة فضلاً عما سبق من تعليل الزجاجي [١١٤] .

وفي كلامه على (لام جواب القسم) علل الهروي عدم جواز حذف اللام في جواب (إنْ) الخفيفة في الإيجاب أنه خشية الوقوع في اللبس بينها وبين (إن) بمعنى (ما) للجحد، وسكت الزجاجي عن هذا [١١٥].

الثاني عشر : هناك فروقات واضحة في تسمية اللامات وتوزيعها وترتيبها، والجدول المرسوم في مبحث (بين يدي الكتابين)[١١٦] يغني عن تكرار القول .

الثالث عشر: اشتمل كتاب الهروي على جميع اللامات التي تكلَّم عنها الزجاجي، مع اختلاف في التسمية أو في التعداد؛ فنحن لا نقف على (لام المضمر)، ولا على (اللام الداخلة على الفعل المستقبل في القسم لازمة) في لامات الهروي، والحق أنه تناول لام المضمر في باب لام الإضافة، وتحدث عن الثانية في باب لام جواب القسم .

أمَّا الهروي فقد تفرد بالحديث عن لامات لم يتعرض لها الزجاجي، وهذا طبيعي في أنْ يعرض اللاحق لِمَا لم يتناوله سابقه، وفي كلام الزجاجي إيماءة إلى عدم استيفاء كتابه الحديث عن جميع اللامات ؛ حيث قال في آخر باب من لاماته : «هذا منتهى القول في اللامات وأنواعها ومواقعها، وإنْ ورد منه ما لم نذكره فلن يخرج عن أصلٍ من هذه الأصول البتة . فتدبر ما يرد عليك منها، فإنه راجع إلى بعض ما ذكرناه إنْ شاء الله»[١١٧] ولعله أراد بذلك عدم خروجها عما ذكره من حيث العمل لا المعنى .

وما تحدث عنه الهروي دون الزجاجي هو :

١ - اللام بمعنى (على) واستشهد لها بقوله تعالى: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ ﴾[الإسراء / ١٠٩] و(تلَّهُ للجبين) [١١٨].

٢ - اللام بمعنى (مع) واستشهد لها بقول متمم بن نويرة :

فلمَّا تفرقنا كأني ومالكاً
لطولِ اجتماعٍ لم نبتْ ليلة معاً [١١٩]

٣ - اللام بمعنى (بعد) واستشهد لها بقوله تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ ﴾ وقوله عليه الصلاة والسلام : «صوموا لرؤيته»[١٢٠].

٤ - اللام بمعنى (مِنْ) ومثّل لها بقولهم : سمعتُ لزيدٍ صباحاً [١٢١].

٥ - اللام بمعنى (في) واستشهد لها بقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [سورة الأنبياء/ ٤٧] و﴿فطلقوهنَّ لعدتهنَّ﴾ [سورة / ٢] [١٢٢].

٦ - لام الوعيد، شبيهة بلام الأمر، واستشهد عليها بقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [سورة الكهف/ ٢٩] وبقوله عليه الصلاة والسلام «مَنْ كذبَ عليَّ متعمداً فليَتَبَوَّأْ مقعدَهُ من النارِ» وسبقه إليها أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ) في اللامات المنسوبة إليه[١٢٣] .

٧- اللام بعد (إذاً) واستشهد عليها بقوله تعالى: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ ﴾ [سورة المؤمنون/٩١] ، و ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴾[الإسراء/٧٣] (١٢٤).

نقد وتحليل :

بعد المقارنة بين جهود كل من الزجاجي والهروي في كتابيهما، ووضوح الموافقات والفروقات بينهما يظهر لنا ما يلي :

- تفوق الزجاجي البيِّن على الهروي في ثراء المادة العلمية في كتابه عموماً، مع أنَّ المفترض أن يكون الهروي قد اطلع على ما اطلع عليه الزجاجي وزاد لأنَّ ما بينهما في الوفاة خمس وسبعون سنة تقريباً؛ فقد كتب في اللامات بعد الزجاجي أبو الحسن علي بن عيسى الرمَّاني (ت ٣٨٤هـ) في كتابيه: معاني الحروف، ومنازل الحروف، وكذا أبو الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) في كتابه اللامات وغيرهما. وهذا التفوق للزجاجي مرده/ فيما أرى - إلى إفادته من أكابر علماء عصره؛ منهم شيخه أبو إسحاق الزجَّاج (ت ٣١١هـ)، وابن السرّاج : أبو بكر محمد بن السري بن سهل (ت٣١٦هـ)، وأبو الحسن علي بن كيسان (ت ٣٢٠هـ) وأبو جعفر الكاتب (ت ٣٢٢هـ)(١٢٥)، ونفطويه: إبراهيم بن محمد الأزدي (ت ٣٢٣هـ) وأبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٧هـ)، وغيرهم، وكذا رحلاته العلمية إلى حلب ودمشق وطبرية ومكة، فضلاً عن البيئة العلمية التي عاشها في بغداد، وتصدره للتدريس في غير مكان، فهذا التنوع كفيل بهذا الثراء العلمي. ومع أنَّ كتب التراجم لم تحدثنا عن تاريخ مولده إلا أنَّ كثرة ترحاله ومؤلفاته يومئان إلى أنه لم تأته المنية كهلاً . وقد ذكر عبد السلام هارون في مقدمة تحقيقه كتاب أمالي الزجاجي أنه عاش صباه في مدينة الصيمرة قبل ارتحاله إلى بغداد(١٢٦)؛ أي أنه استقر في بغداد شاباً، والله تعالى أعلم .

و هذا التألق ليس محصوراً في لاماته، بل نراه في معظم كتبه، وفي مقدمتها كتابه الجمل، الذي صنَّفه بمكة المكرمة، وقامت عليه شروح كثيرة لأكابر العلماء .

- وفي حديثي الموازن عن منهجه في النقد أشرت إلى أنه كان ذا رأي فيما ينقله عن غيره، وهذا ما نعدمه عند الهروي، الذي أرى أنَّ حياته التي لم تتجاوز خمساً وأربعين سنة، واقتصاره على مصر في الرحلة،لم يهيِّئا له ما تهيَّأ لصاحبه، فضلاً عن أنَّ كتب التاريخ لم تحدثنا عن ملازمته لأئمة مشهورين في عصره . ولعله اطلع على جهود سالفيه فأفاد منها، وأراد أنْ يقدم كتاباً مختصراً في اللامات، فعرض لأنواع من اللامات لم يتعرض له صاحبه استدراكاً، مع أنه لم يصرِّح بذلك . وفي حديثي في هذا البحث عن الموافقات بين الكتابين أثبتُّ بالدليل أنَّ الهروي اطلع على لامات الزجاجي ونقل عنها نقلاً حرفياً حيناً وبتصرف واختصار أحياناً.

وهذا المسلك العلمي في النقل غير مقبول في عصرنا هذا، ويعدُّ هَنَة تخدش أمانة الباحث . أمَّا عند القدماء فالأمر فيه سَعَة ؛ فلكل زمن عُرف علمي لا يمكننا تجاوزه. ولدينا شواهد كثيرة من تراثنا المشرِق ينقل فيها العلماء عن بعضهم دون تصريح بالنقل، ولا نجدهم يغمزون من قناة بعضهم في ذلك .

- أمَّا القصد التعليمي الذي تجلى في كتابيهما فظهر بيانه عند الزجاجي أكثر من الهروي ؛ ذلك أنَّ الزجاجي مرس فنون التدريس في دمشق وحلب ومكة وطبرية، ولم تحدثنا كتب التراجم عن غير رحلة واحدة للهروي إلى

مصر، كما أنها لم تشر إلى تصدره للتدريس لكنها لم تنفِ ذلك عنه، وليس باستطاعة الباحث العلمي الحكم إلا من خلال ما ذكرته كتب التراجم التي لم توفِ الرجل حقه، ولعل نشأة الهروي في مدينته هرات البعيدة عن بغداد ووفاته المبكرة فيها، ثم قلة رحلاته تكون عذراً لأصحاب كتب التراجم في اقتضابها الكلام عنه.

الخاتمة :

إنَّ أهم ما خرج به هذا البحث من نتائج ما يلي :

أولاً : كانت وجوه الالتقاء بين الكتابين أكثر من الافتراق بينهما، وتمثل ذلك في التالي :

- اتسام العبارة في المؤَلَفين بالوضوح والبيان، وخدم هذا القصدَ التعليمي فيهما، وإن كان هذا القصد في لامات الزجاجي آكد منه في لامات الهروي .
- استخدام الهروي عبارة الزجاجي بنصها في كتابة، واختصارها أحياناً، مع إغفاله الإشارة إلى الزجاجي أو كتابه .
- كان التقارب بينهما في المنهج جلياً، وكذا في مصادرهما.

ثانياً : أنَّ مظاهر الاختلاف بينهما لم تكن كثيرة ؛ وإجمالها بما يلي :

- أنَّ الهروي تكلَّم على لامات لم يشتمل عليها كتاب الزجاجي .
- افتراقهما في ترتيب الكلام على اللامات، وفي مسمياتها أحياناً .
- وضوح طول النفس عند الزجاجي في عرض المسائل العلمية، أمَّا الهروي فيغلب عليه الإيجاز .
- أظهرت لامات الزجاجي فكره النحوي من خلال عرضه وتعليقه على آراء مَن ينقل عنهم، ونقضه بعض أقوالهم، وهذا ما افتقرت إليه لامات الهروي ؛ فلا نرى له رأياً يدفعُ فيه رأيَ مَن أفاد منهم في كتابه أو يعقب عليه .

ثالثاً : أفاد الهروي كثيراً من كتاب صاحبه، ونحا نحو المختصِر لما فيه . أمَّا ما استدركه عليه بذكر لامات كانت غفلاً في كتابه فهذا من معتاد ما يفعله اللاحق مع سابقِه . وإهماله الإشارة إلى الزجاجي أو كتابه ليست من نوارد النهج عند القدماء .

الهوامش

(١) انظر: مقدمة كتاب ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة لعبداللطيف بن أبي بكر الشرجي لمحققه طارق الجنابي، ص ١٢ - ط١ - عالم الكتب . مكتبة النهضة العربية: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢) ورد استعمال الأداة عند شيخ البصريين الخليل بن أحمد رحمه الله في كتاب العين (١ : ٤٢ - ٤٣)؛ تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي - ط١ - دار انتشارات أسوة التابعة لمنظمة الأوقاف والأمور الخيرية، ١٤١٤هـ . فهو يقول : «كلام العرب مبني على أربعة أصناف : على الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي؛ فالثنائي على حرفين نحو : قد، لم، لو، بل، ونحوه من الأدوات»

واستخدمه أبو بكر بن السراج في كتابه الأصول في النحو (١ : ٢٥٨)؛ تحقيق عبد الحسين الفتلي - ط٣ - بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .

(٣) ترجم له في : ذيل مولد العلماء لأبي محمد عبد العزيز بن أحمد الكتاني، ص ٧٠؛ تحقيق عبدالله أحمد سليمان الحمد - ط١ - الرياض : دار العاصمة، ١٤٠٩هـ، وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (٣٤ : ٢٠٢-٢٠٤)؛ تحقيق محب الدين عمر بن غرامة العمري - بيروت : دار الفكر، ١٩٩٥م، وإنباه الرواة على أخبار النحاة للقفطي (٢ : ١٦٠-١٦١)؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - ط١ - بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، والعِبَر في خبر مَن غبر للذهبي (٢ : ٢٦٠)؛ تحقيق صلاح الدين المنجد - ط٢ - الكويت: مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٤م، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٥ : ٤٧٥-٤٧٦)؛ تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي - ط٩ - بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ، والبداية والنهاية لابن كثير (١١ : ٢٢٥) - بيروت : مكتبة المعارف، والبلغة للفيروزآبادي، ص ١٣١؛ تحقيق محمد المصري - ط١ - الكويت: جمعية إحياء التراث، ١٤٠٧هـ، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي (٣ : ٣٠٢) وزارة الثقافة بمصر، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي (٢:٧٧)؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - المكتبة العصرية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (٢ :٣٥٧)؛ تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط - ط١ - دمشق : دار ابن كثير، ١٤٠٦هـ، والزجاجي: حياته وآثاره ومذهبه النحوي، من خلال كتابه (الإيضاح) لمازن المبارك - ط٢ - دار الفكر، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .

(٤) انظر ترجمته في معجم الأدباء (٤ : ٢٨٧)، وإنباه الرواة للقفطي (٢: ٣١١)، وبغية الوعاة للسيوطي (١ : ٢٠٥)، وكشف الظنون لحاجي خليفة (١ : ٧٣، ٨٢٢) - بيروت : دار إحياء التراث العربي، وهدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي (١ : ٦٨٦) - بيروت : دار إحياء التراث العربي، ومقدمة كتاب الأزهية للهروي لمحققه عبد المعين الملوحي، ص ٦ - ١١ - دمشق : مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ومقدمة كتاب اللامات للهروي لمحققه يحيى علوان البلداوي، ص ٩ - ١٩ - ط١ - الكويت : مكتبة الفلاح، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

(٥) انظر: الوافي بالوفيات (٧ : ٥٢) .

(٦) انظر: معجم الأدباء (٣ : ١٧٩) .

(٧) انظر: اللباب في تهذيب الأنساب (٢ : ٦٢) لأبي الحسن الشيباني الجزري - بيروت : دار صادر، ١٤٠٠هـ .

(٨) انظر: التكملة لكتاب الصلة للقضاعي (٤ : ٨٦)؛ تحقيق عبد السلام الهراس - لبنان : دار الفكر للطباعة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م .

(٩) انظر: اللباب في تهذيب الأنساب (٢ : ٦٢) .

(١٠) انظر: الأزهية، ص ١٩، ٢٦٣ .

(١١) انظر : الأزهية، ص ٣٢، ولم تذكره كتب التراجم.

(١٢) انظر: الأزهية، ص ١٨٥، ولم تذكره كتب التراجم .

(١٣) انظر: الأزهية، ص ٢٦٤، ولم تذكره كتب التراجم .

(١٤) الزجاجي، ص ١٦٢ .

(١٥) انظر: الزجاجي، ص ١٦٣ - ١٦٦ .

(١٦) انظر: الزجاجي، ص ١٦٧ - ١٨٠ .

(١٧) الزجاجي، ص ١٨١ .

(١٨) الهروي، ص ١٤٣ .

(١٩) اللامات للزجاجي، ص ١٧ . وانظر: ص : ٦٠، ٦٨، ٨٠، ٨٣، ٨٤، ٩٩، ١١٠، ١١٣، ١١٧، ١١٨، ١٢٢، ١٤٣، ١٥٤، ١٦٣، ١٦٤، ١٨٧ .

(٢٠) اللامات للهروي، ص ١١٨ . وانظر: ص : ٣٧، ٦٩، ٧٥، ٧٦، ٧٨، ٩٢، ١٠٨، ١١١، ١١٤، ١٢٠، ١٢٥، ١٣٤، ١٣٩ .

(٢١) الزجاجي، ص ٥١ .

(٢٢) الهروي ٣٨ .

(٢٣) الزجاجي، ص ٨١ - ٨٣ . وانظر: ص ٥٤، ١٢٥، ١٣٥، ١٣٧، ١٥٠ .

(٢٤) الهروي، ص ٧٤، وانظر: ص : ٧٩، ١٠٥، ١٢٣، ١٢٩، ١٣١، ١٣٥ .

(٢٥) انظر: الزجاجي، ص ١٤٠، والهروي، ص ١٠٥ . وانظر الزجاجي، ص ١٣٤، ٨٢، ١٣٣، والهروي، ص ٦٠، ٧٤، ٥٨ .

(٢٦) انظر: الزجاجي، ص ١٤٦، والهروي، ص ١١٦ . والبيت في ديوان

رؤبة (١٨١) ؛ عناية وليم بن الورد البروسي . مكتبة المثنى ببغداد. وانظر: الزجاجي، ص١٧، ١٢١، ١٤٧، والهروي، ص: ٣٤، ٩٠، ١١٩.

(٢٧) انظر: الهروي، ص ٦٣- ٦٤، والزجاجي، ص ١٠٦ - ١٠٧ . وانظر: الزجاجي، ص ١١٠، ١٤٠، ١٥١، والهروي، ص : ٦٣، ١٠٥، ١٣٣ .

(٢٨) اللامات، ص ١٣٧ . والبيت في ديوان جرير (٤٥٢) ٠- بيروت : دار صادر . وانظر: الزجاجي، ص : ٩٤، ١١١، ١١٤، ١٤٩ .

(٢٩) الهروي ١١٦ .

(٣٠) انظر: الزجاجي، ص ١٣٣ - ١٣٤ والهروي، ص ٥٨ ،٦١ وورد البيت عنده بـ «في اللوم» .

(٣١) انظر اللامات للزجاجي، ص : ١٥٥ .

(٣٢) انظر اللامات للزجاجي، ص : ١٧٧ .

(٣٣) الزجاجي، ص ٨٢ - ٨٣، وانظر: ص ٥٤، ١٣١ - ١٣٢، ١٥٥، ١٦٧.

(٣٤) الهروي، ص ٦٨، وانظر «ظ ل ل» في القاموس المحيط للفيروزآبادي؛ تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ببيروت . الطبعة الثانية : ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م . وانظر: ص : ٤٥، ٥٣، ٩١ .

(٣٥) انظر: الزجاجي، ص ١٠٣ - ١٠٥، والهروي، ص ٧٣ . وانظر كتاب سيبويه (٢ : ٢٧٩)؛ تحقيق عبدالسلام هارون ٠- ط١ ٠- بيروت : دار الجيل . والأصول في النحو لابن السراج (١ : ٣٩٠)؛ تحقيق عبدالحسين الفتلي ٠- ط٣ ٠- بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

(٣٦) الزجاجي، ص ١٥ - ١٦ .

(٣٧) الزجاجي، ص ١٤٧ - ١٤٨، وانظر ص ٣٥ - ٣٦ .

(٣٨) انظر: الهروي ٣٤ - ٣٥ . ورواية البيت عنده «وارفع الصوت عالياً»

(٣٩) الزجاجي، ص ٣٢ - ٣٥ .

(٤٠) الهروي، ص ١٠١ - ١٠٢، وانظر: ص ٧٨، ٨٣، ٩٥، ١٠٩ - ١١٠، ١٢٨، ١٣١ .

(٤١) انظر: الزجاجي، ص ٦٩ .

(٤٢) الآية في سورة النمل (٢٧ : ٧٢) . وما نقله الزجاجي قاله ابن أبي حاتم في تفسيره (٩ : ٢٩١٧)؛ تحقيق أسعد محمد الطيب . المكتبة العصرية بصيدا . ومجاهد في تفسيره (٢ : ٤٧٥)؛ تحقيق عبدالرحمن الطاهر السورتي ٠- بيروت : دار المنشورات العلمية . ومقاتل بن سليمان في تفسيره (٢ : ٤٨٤)؛ تحقيق أحمد فريد ٠- ط١ ٠- بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ . وما قدَّره الزجاجي قاله الطبري في تفسيره (٣ : ٣١٣، ١٠ :١٦٩) ٠- بيروت : دار الفكر، ١٤٠٥هـ . وأبو بكر السجستاني في غريب القرآن، ص ٢٤٠؛ تحقيق محمد أديب جمران ٠- دار قتيبة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م .

(٤٣) الزجاجي، ص ١٦١ - ١٦٢ .

(٤٤) الزجاجي، ص ١٢٦ - ١٢٧ . وقد وقع الزجاجي في تناقض في إقراره ما عابه على ابن قتيبة حيث نقل عن الأصمعي ما يؤيد قول ابن قتيبة. انظر: الزجاجي، ص ١٢٦ . وما وصف به ابن قتيبة بعيد عن الواقع .

(٤٥) انظر: الزجاجي، ص ٩٠، والهروي، ص ١٢١ . والآية في سورة الحج ورقمها ٢٩ وانظرها في المحتسب لابن جني (١ : ٢٢٧) بتحقيق علي النجدي ناصف وعبدالحليم النجار وعبدالفتاح شلبي ٠- القاهرة : المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م . وعزا المحققون القراءة لأبي عمرو . وانظر: الزجاجي، ص : ١٣، ٨٦، ٨٨، ٨٩، ١٧٣، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٠ . والهروي، ص ٤٣، ٤٩ - ٥٠، ٦٧، ٨٢، ٩٧، ٩٨، ١٢٢، ١٢٩ .

(٤٦) انظر: الزجاجي، ص ٨٨ - ٨٩ . والآية في سورة يونس (١٠ : ٥٨)، وانظر القراءة في المحتسب (١ : ٣١٣ - ٣١٤)، وانظر الحديث في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزيلعي (٢: ١٢٧) ٠- دار ابن خزيمة، والكشاف للزمخشري (٢: ٣٣٦)؛ تحقيق عبد الرزاق المهدي ٠- بيروت : دار إحياء التراث، وذكره الخليل في الجمل، ص ٢٦٧؛ تحقيق فخر الدين قباوة ٠- دمشق: دار الفكر . الطبعة الخامسة : ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، وأبو البركات الأنباري في أسرار العربية (١ : ٢٨٠)؛ تحقيق فخر صالح قدارة٠- ط١ ٠- بيروت : دار الجيل، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، وابن الأنباري في الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين : البصريين والكوفيين (٢ : ٥٢٥)؛ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ٠- دمشق : دار الفكر، وابن هشام في مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ص(٢٩٧، ٣٠٠)؛

تحقيق مازن المبارك وعلي حمد الله ـ ط٦ ـ دمشق : دار الفكر، ١٩٨٥م.

(٤٧) انظر: الزجاجي، ص ٩٦ وانظر ص ٨٢ . واللغة التي أرسلها نسبتها لعقيل كما في تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك ص (١٦١)؛ تحقيق محمد كامل بركات ـ دار الكتاب العربي: ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧م، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (١ : ٣٩٤)؛ عناية إميل يعقوب ـ ط١ ـ بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م. والصحابي هو طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه . انظر غريب الحديث لابن سلام (٤ : ١٠)؛ تحقيق محمد عبد المعيد خان ـ ط١ ـ بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٩٦هـ . وغريب الحديث لابن الجوزي (٢ : ٣١٤)؛ تحقيق عبد المعطي أمين القلعجي ـ ط١ ـ بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. والنهاية في غريب الأثر لابن الجزري (٤ : ٩٤، ٢٣٤)؛ تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ـ بيروت : المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ .

(٤٨) انظر: الزجاجي، ص ٧٣ - ٧٤ .

(٤٩) الهروي، ص ٤٥ . والآية في سورة الإسراء (١٧ : ٧٨) ونقل الرازي في تفسيره عن الواحدي القول بأن اللام للأجل والسبب، وذهب القرطبي والرازي إلى أنها بمعنى (عند) انظر التفسير الكبير (٢١: ٢٢، ٢٢ :١٨) ـ ط١ ـ بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ، وتفسير القرطبي (١ : ٢٩٢) ـ القاهرة : دار الشعب . والحديث رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصوم (٢: ٦٧٤)؛ تحقيق مصطفى البغا ـ ط٢ ـ بيروت : دار ابن كثير. اليمامة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً في الصيام (٢ : ٧٦٢)؛ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ـ بيروت : دار إحياء التراث .

(٥٠) الهروي، ص ١٢٣ . والحديث رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الزكاة (١ : ٥٢)، ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الحج (١ : ١٠) .

(٥١) انظر: الزجاجي، ص ١٦٠ .

(٥٢) انظر: الزجاجي، ص : ٩، ١٢، ٢٥، ٧٦، ٨٥، ٩٩، ١٠٠، ١١١، ١٣٠، ١٤٢، ١٧٢ . والهروي، ص : ٥٧، ٦٩، ٧٩، ١١٧ .

(٥٣) انظر: الزجاجي، ص : ١٧، ١٨، ١٩، ١١١، ١١٣، ١٤٩ . والهروي، ص ١١٨ .

(٥٤) انظر: الزجاجي، ص ٧، ٢٨، ٣١، ٣٩، ٦٥، ٨٥، ١١٣، ١٤٠، ١٤٢ . والهروي، ص : ٣٣، ٩٨، ٩٩، ١٠٨، ١١٢، ١٣٨ .

(٥٥) انظر: الزجاجي، ص ٣٥، ٣٧، ٤١، ٤٣-٤٤، ١٣٧، ١٥١ . والهروي، ص : ٦٥، ١٠٣ .

(٥٦) انظر: الزجاجي، ص ٣١، ٣٨، ٥٢، ١١٣، ١١٤، ١٨٠ . والهروي، ص ٣٣ .

(٥٧) انظر: الزجاجي، ص ١٩، ٤٠، ٤١ . والهروي، ص ٦٥ .

(٥٨) انظر: الزجاجي، ص ٤٣، ٦١، ١٧٥ . والهروي، ص : ٣٦، ٨١، ٨٦ .

(٥٩) انظر: الزجاجي، ص ١٢٦ . والهروي، ص ٥٦ .

(٦٠) انظر: الزجاجي، ص ١٤٤ . والهروي ١٤٢ .

(٦١) انظر: الزجاجي، ص ٢٤ . والهروي ١٣٨ .

(٦٢) انظر: الزجاجي، ص ٤٩ .

(٦٣) انظر: الزجاجي، ص ٨٦، ١٧٣ .

(٦٤) انظر: الزجاجي، ص ١٥٥ .

(٦٥) انظر: الهروي، ص : ٣٥، ٤٠،، ٦٥، ١١٥، ١٣٨ .

(٦٦) انظر: الهروي، ص ٩٦ .

(٦٧) انظر: الزجاجي، ص ٣٩، ٧٤، ١٣١، ١٥٧، ١٧٩ . والهروي، ص ١٣٩ .

(٦٨) الزجاجي، ص : ٧٢، ١٥٢ . والهروي ٣٤ .

(٦٩) الزجاجي، ص : ٩٠ . والهروي، ص ١٠٣ .

(٧٠) الزجاجي، ص : ٣٨ . والهروي، ص ٩٨ .

(٧١) الزجاجي، ص : ١٤٥ .

(٧٢) الزجاجي، ص : ١٥٠ .

(٧٣) الزجاجي، ص : ٨١ .

(٧٤) الزجاجي، ص : ٨٠ .

(٧٥) الزجاجي، ص ١٧١ . وانظر كتاب سيبويه (٤ : ٤٥٧) .

(٧٦) الهروي، ص ٧٩ . وانظر كتاب سيبويه (٣ : ١٠٦) .

(٧٧) الزجاجي، ص ١٩ .

(٧٨) الزجاجي، ص ١٨ .

(٧٩) انظر الزجاجي ١٧ - ١٩، والهروي، ص ١١٨ - ١١٩ .

(٨٠) الزجاجي، ص ٨٥ - ٨٦ . وانظر ص ١٤ - ١٥ .

(٨١) انظر الهروي ٧٤ - ٧٥ .

(٨٢) الزجاجي، ص ٧٢، والهروي، ص ٥٤ .

(٨٣) الهروي، ص ١٢٥، وانظر الزجاجي، ص ٥٣ .

(٨٤) انظر: الهروي، ص ٥٣، والزجاجي، ص ١٦٢ .

(٨٥) الزجاجي، ص ١٢٥ - ١٢٦ .

(٨٦) الهروي، ص١٣٥ .

(٨٧) انظر: الهروي، ص ١٤٢ - ١٤٣، والزجاجي، ص ١٤٤ .

(٨٨) انظر: الهروي، ص ٨٨، والزجاجي، ص ١١٧ .

(٨٩) انظر: الهروي، ص ٤١، والزجاجي، ص ١٥٨ .

(٩٠) الزجاجي، ص ١٧ .

(٩١) الهروي، ص ١١٨ - ١١٩ .

(٩٢) انظر الزجاجي، ص ١٨-٢٠، والهروي، ص ٣٧ .

(٩٣) انظر الزجاجي، ص ٦٤، والهروي، ص ٨٣ .

(٩٤) انظر الزجاجي، ص ٧٠ - ٧١، والهروي، ص ٩٣ .

(٩٥) انظر الزجاجي، ص ٨٣، والهروي، ص ٧٤ .

(٩٦) انظر الزجاجي، ص ٦ - ١٦ .

(٩٧) الهروي، ص ٢٩ .

(٩٨) انظر الزجاجي، ص ٥١ - ٥٢ .

(٩٩) الهروي، ص ٣٨ .

(١٠٠) انظر الزجاجي، ص ٥٣ - ٥٤، والهروي، ص١٢٥ - ١٢٧ .

(١٠١) انظر اللامات لابن فارس، ص ٧٧٨)؛ تحقيق شاكر الفحام . مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق . العدد ٤٨ . الجزء الرابع

(١٠٢) انظر الزجاجي، ص ٨١ - ٨٧، والهروي، ص ٧٤ - ٧٥ .

(١٠٣) انظر الزجاجي، ص١٣٦ - ١٣٨، والهروي، ص١٠١ - ١٠٣ .

(١٠٤) انظر الزجاجي، ص ١٤١ - ١٤٢، والهروي، ص ١٣٩ .

(١٠٥) انظر كتابه إعراب القرآن (١ : ١٧٨، ٥ : ٢٥٥)؛ تحقيق زهير غازي زاهد ٠- ط٣ ٠- لبنان : عالم الكتب، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

(١٠٦) انظر كتبه : إملاء ما منَّ به الرحمن ص ١٠ ؛ تحقيق إبراهيم عطوة عوض . المكتبة العلمية بباكستان . وكتاب التبيان في إعراب القرآن (١ : ١٤)؛ تحقيق علي محمد البجاوي ٠- مطبعة عيسى البابي الحلبي . وكتاب اللباب (١ : ٤٨٤، ٢ : ١١٤)؛ تحقيق عبد الإله نبهان ٠- ط١ ٠- دمشق : دار الفكر، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥م . وفي حديثه عن أسماء الإشارة لم يذكر السيد صدر الدين الكنغراوي الاستانبولي (ت ١٣٤٩هـ) في كتابه الموفي في النحو الكوفي بأنَّ الكوفيين يجعلون الكاف اسماً . انظر الموفي ص ٩٧ ؛ تحقيق محمد بهجة البيطار ٠- دمشق : مطبوعات المجمع العلمي العربي .

(١٠٧) انظر الهروي، ص٢١ .

(١٠٨) انظر الزجاجي، ص٧٨ - ٨٠، والهروي، ص ٩٢ - ١٠٠ .

(١٠٩) انظر الزجاجي، ص ١٠٣ - ١٠٤، والهروي، ص ٧٢ - ٧٣ . وانظر الأصول في النحو لابن السراج (١ : ٣٩٠)، وشرح الرضي على الكافية (٢ : ١٨٠) تصحيح وتعليق : يوسف حسن عمر ٠- منشورات مؤسسة الصادق . تهران خيابان ناصر خسرو : ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، وهمع الهوامع للسيوطي (١ : ٥٢٥)؛ تحقيق عبد الحميد هنداوي ٠- مصر : المكتبة التوفيقية، وخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي (٤ :٩٢)؛ عناية محمد نبيل طريفي وإميل يعقوب ٠- ط١ ٠- بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م .

(١١٠) انظر الزجاجي ١٥٤ - ١٥٦، والهروي ١٤٠ - ١٤١ .

(١١١) انظر رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي، ص ٢٩٠؛ تحقيق أحمد محمد الخراط ٠- ط٢ ٠- دمشق : دار القلم، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م

(١١٢) انظر: رصف المباني، ص ٢٩١، والجنى الداني في حروف المعاني للمرادي، ص ٢٦٤ - ٢٦٥؛ تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل ٠- ط١ ٠- بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ومغني اللبيب، ص ٢٤٢، وشرح الرضي على الكافية (٤ : ٤٩) .

(١١٣) انظر: الهروي، ص ١٣٣ - ١٣٤، والزجاجي، ص ١٥٠ - ١٥٣ .

(١١٤) انظر: الزجاجي، ص٣٢ .

(١١٥) انظر: الهروي، ص ٩٤ .

(١١٦) انظر: ص ٧ - ١٠ من هذا البحث .

(١١٧) الزجاجي، ص ١٦٢ .

(١١٨) انظر: الهروي، ص ٤٢ - ٤٣ . وذكر هذه اللام صاحب رصف المباني، ص ٢٩٧، وصاحب الجنى الداني، ص ١٠٠ - ١٠١، وصاحب المغني، ص ٢٨٠ .

(١١٩) انظر: الهروي، ص ٤٤ .. وذكر هذه اللام صاحب رصف المباني، ص ٢٩٨)، وصاحب الجنى الداني، ص ١٠٢، وصاحب المغني، ص ٢٨١ . وجعل ابن الشجري في أماليه اللام في البيت بمعنى (بعد): (٢ : ٦١٦) تحقيق محمود محمد الطناحي ٠- ط١ ٠- القاهرة : مكتبة الخانجي، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م .

(١٢٠) انظر: الهروي، ص ٤٥ . وذكر هذه اللام صاحب رصف المباني، ص ٢٩٩، وصاحب الجنى الداني، ص ١٠١، وصاحب المغني، ص ٢٨١.

(١٢١) انظر: الهروي، ص ٤٦ . وذكر هذه اللام صاحب الجنى الداني، ص ١٠٢) وصاحب المغني، ص ٢٨١ .

(١٢٢) انظر: الهروي، ص ٤٧ . وذكر هذه اللام صاحب الجنى الداني، ص ٩٩) وصاحب المغني، ص ٢٨٠ - ٢٨١ .

(١٢٣) انظر: الهروي، ص ١٢٣ . ورسالة في اللامات لأبي جعفر النحاس، ص ١٤٣)؛ تحقيق طه محسن . مطبوع بمجلة المورد العراقية . المجلد الأول . العددان ١-٢) . وجعل ابن خالويه منها قوله تعالى في سورة العنكبوت (ولْيتمتعُوا فسوفَ يعلمونَ : ٢٩ : ٦٦) بسكون اللام أصالة وبكسرها توجيهاً . انظر كتابه الحجة في القراءات السبع، ص ٢٨٢؛ تحقيق عبدالعال سالم مكرم ٠- ط٤ ٠- بيروت : دار الشروق، ١٤٠١هـ.

(١٢٤) انظر: الهروي، ص ١٠٨.

(١٢٥) انظر الوافي بالوفيات (٧ : ٥٢) .

(١٢٦) انظر مقدمة أمالي الزجاجي لمحققه عبد السلام هارون ص ٩ - ط٢ ٠- بيروت : دار الجيل، ١٤٠٧ هـ .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

١ - ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة لعبد اللطيف بن أبي بكر الشرجي؛ تحقيق طارق الجنابي ٠- ط١ ٠- عالم الكتب . مكتبة النهضة العربية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م

٢ - الأزهية في علم الحروف للهروي (ت ٤١٥هـ) ؛ تحقيق عبد المعين الملوحي ٠- دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٣ - أسرار العربية لأبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ) ؛ تحقيق فخر صالح قدارة ٠- ط١ ٠- بيروت : دار الجيل، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م .

٤ - الأصول في النحو لأبي بكر ابن السراج (ت ٣١٦هـ)؛ تحقيق عبد الحسين الفتلي ٠- ط٣ ٠- بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٥ - إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ) ؛ تحقيق زهير غازي زاهد ٠- ط٣ ٠- لبنان : عالم الكتب، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م .

٦ - أمالي الزجاجي؛ تحقيق عبد السلام هارون ٠- ط٢ ٠- بيروت : دار الجيل، ١٤٠٧هـ .

٧ - الأمالي لابن الشجري (ت ٥٤٢هـ) ؛ تحقيق محمود محمد الطناحي٠- ط١ ٠- القاهرة : مكتبة الخانجي، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٨ - إملاء ما منَّ به الرحمن لأبي البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ)؛ تحقيق إبراهيم عطوة عوض . المكتبة العلمية بباكستان .

٩- إنباه الرواة على أخبار النحاة لجمال الدين علي بن يوسف القفطي (ت ٦٢٤هـ) ؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ·- ط١ ·- بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م .

١٠- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين : البصريين والكوفيين لأبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ) ؛ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ·- دمشق : دار الفكر .

١١- البداية والنهاية لإسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ) ·- بيروت: مكتبة المعارف .

١٢- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي (ت ٩١١هـ)؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ·- المكتبة العصرية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م .

١٣- البلغة لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ) ؛تحقيق محمد المصري ·- ط١ ·- الكويت : جمعية إحياء التراث، ١٤٠٧هـ .

١٤- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر علي بن الحسن الشافعي (ت ٥٧١هـ) ؛ تحقيق محب الدين عمر بن غرامة العمري ·- بيروت: دار الفكر، ١٩٩٥م .

١٥- تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف لجمال الدين عبدالله بن يوسف الزيلعي (ت ٧٦٢هـ) ؛ تحقيق عبدالله السعد ·- ط١ ·- دار ابن خزيمة، ١٤١٤هـ .

١٦- ترتيب كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) ؛ تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ·- ط١ ·- دار انتشارات أسوة التابعة لمنظمة الأوقاف والأمور الخيرية، ١٤١٤ هـ .

١٧- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك (ت ٦٧٢هـ) ؛ تحقيق محمد كامل بركات ·- دار الكتاب العربي، ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧ م .

١٨- تفسير ابن أبي حاتم، عبدالرحمن بن محمد الرازي (ت ٣٢٧هـ) ؛ تحقيق أسعد محمد الطيب ·- صيدا : المكتبة العصرية .

١٩- تفسير الطبري لمحمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) ·- بيروت : دار الفكر، ١٤٠٥هـ .

٢٠- تفسير القرطبي لأبي عبدالله محمد بن أحمد (ت ٦٧١هـ) ·- القاهرة : دار الشعب .

٢١- التفسير الكبير للفخر الرازي (ت :٦٠٤هـ) ·- ط١ ·- بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ .

٢٢- تفسير مجاهد لأبو الحجاج مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) ؛ تحقيق عبدالرحمن الطاهر السورتي ·- دمشق : دار المنشورات العلمية.

٢٣- تفسير مقاتل بن سليمان البلخي (ت ١٥٠هـ) ؛ تحقيق أحمد فريد·- ط١ ·- بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ

٢٤- التكملة لكتاب الصلة لأبي عبدالله محمد بن الأبار القضاعي (ت ٦٥٨هـ) ؛ تحقيق عبد السلام الهراس ·- لبنان : دار الفكر للطباعة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م .

٢٥- الجامع الصحيح للبخاري (ت ٢٥٦هـ) ؛ تحقيق مصطفى البغا·- ط٣ ·- بيروت : دار ابن كثير . اليمامة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

٢٦- الجمل للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) ؛ تحقيق فخر الدين قباوة ·- ط٥ ·- دمشق : دار الفكر، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م .

٢٧- الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي (ت ٧٤٩هـ) ؛ تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل ·- ط١ ·- بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م .

٢٨- الحجة في القراءات السبع لابن خالويه (ت ٣٧٠هـ) ؛ تحقيق عبدالعال سالم مكرم ·- ط٤ ·- بيروت : دار الشروق، ١٤٠١هـ.

٢٩- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي (ت١٠٩٣هـ)؛ عناية محمد نبيل طريفي واميل يعقوب ·- ط١ ·- بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م .

٣٠- ديوان رؤبة ؛ عناية وليم بن الورد البروسي ·- بغداد : مكتبة المثنى.

٣١- ذيل مولد العلماء لأبي محمد عبد العزيز بن أحمد الكتاني (ت ٤٦٦هـ) ؛ تحقيق عبدالله أحمد سليمان الحمد ·- ط١ ·- الرياض : دار العاصمة، ١٤٠٩هـ .

٣٢- رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي (ت ٧٠٢هـ) ؛ تحقيق أحمد محمد الخراط ·- ط٢ ·- دمشق : دار القلم، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

٣٣- الزجاجي : حياته وآثاره ومذهبه النحوي، من خلال كتابه (الإيضاح) لمازن المبارك ·- ط٢ ·- دار الفكر، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٣٤- سير أعلام النبلاء لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ؛ تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي ٠- ط٩ ٠- بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ .

٣٥- شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ) ؛ تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط ٠- ط١ ٠- دمشق : دار ابن كثير، ١٤٠٦ هـ .

٣٦- شرح الرضي (ت ٦٨٦هـ) على الكافية؛ تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر ٠- تهران خيابان ناصر خسرو : مؤسسة الصادق ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م،

٣٧- شرح ابن عقيل (ت ٧٦٩هـ) على ألفية ابن مالك؛ عناية إميل يعقوب ٠- ط١ ٠- بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧م .

٣٨- صحيح مسلم (ت ٢٦١هـ) ؛ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ٠- بيروت : دار إحياء التراث .

٣٩- العِبَر في خبر مَن غبر؛ تحقيق صلاح الدين المنجد ٠- ط٢ ٠- الكويت : مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٤م .

٤٠- غريب الحديث لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ؛ تحقيق عبد المعطي أمين القلعجي ٠- ط١ ٠- بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٤١- غريب الحديث للقاسم بن سلام الهروي (ت: ٢٢٤هـ) ؛ تحقيق محمد عبد المعيد خان ٠- ط١ ٠- بيروت : دار الكتاب العربي، ١٣٩٦هـ .

٤٢- غريب القرآن لأبي بكر محمد بن عزيز السجستاني (ت ٣٣٠هـ)؛ تحقيق محمد أديب جمران ٠- دار قتيبة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م .

٤٣- الكتاب لسيبويه (ت نحو ١٨٠هـ)؛ تحقيق عبد السلام هارون ٠- ط١ ٠- بيروت : دار الجيل .

٤٤- كتاب التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ)؛ تحقيق علي محمد البجاوي ٠- مطبعة عيسى البابي الحلبي.

٤٥- كتاب اللباب لأبي البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ) ؛ تحقيق عبد الإله نبهان ٠- ط١ ٠- دمشق : دار الفكر، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م .

٤٦- الكشاف لأبي القاسم الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ؛ تحقيق عبد الرزاق المهدي ٠- بيروت : دار إحياء التراث .

٤٧- كشف الظنون لحاجي خليفة ٠- بيروت : دار إحياء التراث العرب .

٤٨- اللامات لأبي الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) ؛ تحقيق شاكر الفحام . مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق . العدد ٤٨ . الجزء الرابع.

٤٩- اللامات للهروي ؛ تحقيق يحيى علوان البلداوي ٠- ط١ ٠- الكويت: مكتبة الفلاح، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

٥٠- اللامات لأبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ) ؛ تحقيق طه محسن . مطبوع بمجلة المورد العراقية . المجلد الأول . العددان ١-٢.

٥١- اللباب في تهذيب الأنساب لأبي الحسن الشيباني الجزري ٠- دمشق : دار صادر، ١٤٠٠هـ .

٥٢- معجم الأدباء لشهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي (ت٦٢٦هـ) ٠- ط١ ٠- بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ .

٥٣- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبي الفتح ابن جني (ت ٣٩٢هـ) ؛ تحقيق علي النجدي ناصف وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح شلبي ٠- القاهرة : المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م .

٥٤- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)؛ تحقيق مازن المبارك وعلي حمد الله ٠- ط٦ ٠- دمشق: دار الفكر، ١٩٨٥م .

٥٥- الموفي في النحو الكوفي للسيد صدر الدين الكنغراوي الاستانبولي (ت ١٣٤٩هـ) ؛ تحقيق محمد بهجة البيطار ٠- دمشق : مطبوعات المجمع العلمي العربي .

٥٦- النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ) ٠- مصر: وزارة الثقافة .

٥٧- النهاية في غريب الأثر لابن الجزري (ت ٦٠٦هـ) ؛ تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ٠- بيروت : المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ .

٥٨- هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي ٠- بيروت: دار إحياء التراث العربي .

٥٩- همع الهوامع للسيوطي (ت ٩١١هـ) ؛ تحقيق عبد الحميد هنداوي٠- مصر : المكتبة التوفيقية .

موارد التجاني في كتابه:
«تحفة العروس وبهجة النفوس»

إبراهيم بن سعد الحُقيل
وزارة التربية والتعليم - محافظة المجمعة

المقدمة:

يعدُّ كتاب تُحْفَةُ العَرُوسِ ونُزْهَةُ النُّفُوسِ لأبي عبدالله محمد بن أحمد التَّجَّانيّ من الكتب القليلة التي تناولت النساءَ، من حيث صفاتهن، وما يستحسن ويستقبح منها، مع الحديث عن العلاقة بين الرجل وأهلة. وقد مزجَ مؤلفهُ في كتابه هذا بين طريقة المحدثين والفقهاء، وطريقة الأدباء والرُّواة، فجاء كتابه ممتعاً في بابه، مهمَّاً في موضوعه. فهو يطرق موضوعاً طرقَهُ قبلَهُ جَمْعٌ، وصنَّف فيه من بعده ثُلَّةٌ، لكنه فاقهُم جميعاً في حُسنِ التبويبِ، وجَوْدةِ الطَّرح، والبعد عن الإسْفَاف والابتذال في تناول هذا الموضوع، الذي يقلُّ فيه الجِدُّ، ويكثرُ الهزلُ.

لقد تناولَ التجاني مايُستحسنُ من صفات النساء بعبارةٍ أدبيةٍ رائقةٍ، واستشهاداتٍ ثريّة. وحلى كتابَهُ بالكثيرِ منَ الأحكامِ الفقهيةِ عن تلك العلاقةِ، ودائرة المباح وحِمَى الحرَام فيها. وبثَّ فيه فوائدَ حديثيَّة، محيلاً كل ذلك إلى المصادر، مبيناً أحكام أئمة الجرح والتعديل، وذلك يجعل قارئه يُقبلُ عليه مطمئن الفؤاد، بعيداً عن الارتياب. فقد كفاه المؤلف مَشقةَ البحث في بطون كتب الحديث والبحث بين أسطرِ كتب الفقه والفتاوى الشرعية التي تتناول تلك العلاقة.

لقد رأيتُ الكتاب خير ممثل للعلاقة المُتصَافية في التراث العربي بين المباحِ والمحظور، في تناول علاقة الرجل بأهله إذا أرخيت الستور، وفي تناول صفات النساء، وما يُستحسنُ من خَلْقِها ويدعُو الرجل إلى الرغبة فيها. فهو يبيِّنُ بجلاءٍ أن في تراثنا العربي فُسْحَةٌ من القول، تُصيبُ قول المتشدقين بأن تناول تلك الأمورمن مُسِفِّ القول وباطله في مقتلٍ[1]. وكان متكلمُ أهل السنة والجماعة في زمنه أبا محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) قد نظرَ لذلك الزعم فقال[2]: وإذا مرَّ بكَ حديثٌ فيه إفصاحٌ بذكرِ عورةٍ أو فرجٍ أو وصفٍ فاحش فلا يحملنك الخشوعُ أو التَّخاشعُ على أن تُصَعِّرَ خدَّكَ وتُعْرِضَ بوجهكَ فإن أسماء الأعضاء لا تؤثم وإنما المأثم

في شتم الأعراض وقول الزّور والكذب وأكل لحوم الناس بالغيب. قال رسول الله ﷺ: من تعزّى بعزاء الجاهلية فأعضّوه بهن أبيه ولا تكنوا. اهـ

كما دعاني إلى تتبع موارد التجاني أنه كان مُختلفاً عن كثير من أهل عصره، فقد أفصحَ في مواضع عديدة عن الكتب التي ينقلُ منها، ويعزو إليها. فجاءَ كتابُه وعاءً حافظاً لمواضعَ أخلت بها بعض الطبعات، أو غابت عنها بسبب الفَقْد والخروم التي أصابت بعض كتبنا. كما حفظَ هذا الصنيعُ أسماءَ عددٍ من الكتب، ضاعت وفُقِدَت في رحلة عصورِ الانحطاطِ والجهل التي لازمت الأمة العربية قروناً طويلة.

كان التجاني حريصاً على ذكر كثير من موارده التي استقى منها كتابه، فذكر معظمها، ونصَّ على مُؤلِّفيْهَا، فجاءتْ قائمتُهُ ثريَّة. فقدوصلت تلك الموارد التي ذكرها أو ذكر مصنفيها مئة وعشرين مورداً. وهو عددٌ كبير لمثل هذا الكتاب الصغير.

لقد كان الإسنادُ في القرون الخمسة أو الستة الأول يجعل تتبُّع الموارد التي اعتمدَ عليها المصنفُ فيما ألَّفَ متاحاً ميسوراً. بل إنّ تلك الأسانيدَ تحملُ معلوماتٍ تاريخية، يمكن الإعتماد عليها في تراجم الرجال وشيوخهم وتلاميذهم. ولما غربت شمس الإسناد عمدَ بعض المصنفين إلى إغفالِ ذكرِ المصادر التي اعتمدوا عليها، بل قد يتجاوز بعضُهُم ذِكْرَ مَنْ سَلَخَ كتابَهُ، وكأنه يقول: كاد المريبُ أن يقول دعوني[3]. لكنّ التجاني كان حريصاً على تقديم كثيرٍ من فقرات كتابه بذكر مصدرها، بل إن ندَّ عنه شيءٌ منها قال: في بعض تواليفه. وأتبعَهُ بذكرِ اسم المصنف، وهي مَحْمدةٌ له ومنقبةٌ. لذلك كانت رحلتي مع تتبُّعِ موارده سهلة ميسورة رحمه الله رحمة واسعة.

إن تلك الأسباب التي ذكرتُها قبل قليلٍ هي التي دعتني إلى تناول موارده في هذا البحث القصير. مقدِّماً للقراء مالعلَّهُ يُفيدُ ويذكِّرُ بهذا العلم التونسي.

ترجمته[4]:

أبومحمد عبدالله بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي القاسم محمد التِّجَانيّ. والتجاني نسبة إلى قبيلة تَجَانَة، وهي من قبائل الأَمَازَيْغ في المغرب الأقصى. قَدِمَ جَدُّهُ أبوالقاسم من المغرب الأقصى إلى تونس، واستقر بها في سلطنة المُوَحِّدِيْن على المغرب العربي. وفي تونس تناسلَ بنُوه وأحفادُه، وبرزَ منهم كوكبةٌ من الكتابِ البلغاء، والشعراء الفصحاء. فقد كان أبوه من كتّاب دواوين الدولة، ومن الشعراء المذكورين[5]. ووليَ الكتَابةَ لسلطان الحفصيين في غرب المملكة الحفصية الواثق بالله يحيى بن أبي إسحاق سنة ٦٨٤هـ، ثم عادَ إلى تونس بطلب من الأمير أبي يحيى زكرياء بن يحيى اللِّحْيَانيّ، وأصبحَ كاتباً له حتى توفي بتونس سنة ٧١٠هـ تقريباً أما جَدُّهُ أحمد فقد كان من كبار موظفي بلاط أبي زكرياء يحيى الأول بن عبدالواحد بن أبي حفص مؤسس الإمارة الحفصية (٦٢٧ - ٦٤٩هـ) وكان أخوه إبراهيم من أهل الأدب والفضل. وكان لصاحبنا أبي عبدالله أبناء عمٍّ لوالده، لهم يدٌ طولى في الكتابة. منهم: أبوالحسن علي ابن إبراهيم بن محمد بن أبي القاسم. كان من الأعلام العلماء بتونس وتوفي ٧٠٨هـ، وأخوه أبوعليّ عمر بن إبراهيم، ومنهم: أبو الفضل محمد بن علي بن إبراهيم، شاعرٌ مجيدٌ. كان من المقربين من السلطان أبي ضَرْبة محمد بن زكرياء اللحياني (٧١٧ - ٧١٨هـ) وتولّى كتابته، وكان أشبه بالوزير له، وقد قتل في أتون الصراع على كرسيّ الإمارة الحَفْصِيَّةِ سنة ٧١٨هـ. في هذا الجو

العلمي والبيئة الخصبة نشأ التجاني، فنهلَ من معين لاينضبُ من العلم، تمثَّلَتْ تلك العلوم التي أحاط بها في مصنفاته التي بين أيدينا. فقد كان ذا بصرٍ بالحديثِ صحيحه وضعيفه، وذا معرفة بالشعر جيده ورديئه، له إحاطةٌ بعلوم اللغة، إضافة إلى أنه كان من الشعراء، وأرباب القلم. وكان يحفظ بين جوانحه حسّاً مرهفاً يختار له من الشعر أعذبه وأطربه. وقد ألم بالمنطق والفلسفة، فشرح قسماً من كتاب الشفا لابن سيناء. وله يدٌ طُوْلَى في السيرة النبوية والخصائص المُصطفوية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام. وكان فقيهاً يوازن بين الأقوالِ، ويُدلي بدلوه في مسائل الخلافات الفقهية. لقد كانت خطواته الأولى في طلب العلم على يدِ والده، الذي علمه القراءة والكتابة، ولما اشتدَّ عودُهُ لازمه وأخذ عنه، و أخذ العلمَ كذلك عن أبني عم أبيه، وعن أبي القاسم الكلاعي، وأبي علي بن علون التونسي، وغيرهم. وشغف بجمع نوادر الكتب، فتحصَّلَ على نوادر منها، مثل تفسير يحيى بن سلام المنسوخ في القيروان سنة ١٧٥هـ، وبعض مؤلفات علي بن موسى بن سعيد بخطه، وعلى كتب إبراهيم بن إسماعيل الإجْدَابَيّ بخطة أيضاً، ناهيك عن المصنفات الأخرى، والتي جمع منها الكثيرَ. كانت تظهر أثارُها في تلك النقول والاقتباسات التي ملأ بها كتبه.

انخرطَ في سلكِ كتبة ديوان الإنشاءِ لدى السلطان أبي عَصَيْدَة محمد بن يحيى الحفصي (٦٩٤ - ٧٠٩هـ) ثم استخلَصَهُ السلطان أبو يحيى زكرياء بن يحيى اللِّحْيَانيّ الحفصي (٧١١ - ٧١٧هـ) فقرَّبَهُ وأصبح من خواصه، وكاتم سرِّه، وكاتب رسائله سنة ٧٠٦هـ. وسافر معه في تونس وما حولها، ولخص مشاهداته تلك في رحلته المعروفة. لكنه تركه من غير سُخطٍ سنة ٧٠٨هـ، ساحَ فيها في أرض الله، وأدى فريضةَ الحجِّ، وعاد إلى تونس بعد سنتين ونيِّف. وكان صاحبه أبويحيى قد قبضَ على زمام السلطة، فعيَّنَهُ رئيساً لديوان الرسائل، لكن القدر لم يمهله في ظل أبي يحيى، الذي توجَّسَ خيفةً من ضَعْفِه عن مُقارعة أبي بكرالمتوكل بن يحيى الحفصي (٧١٨- ٧٤٧هـ) فخرج قاصداً مصر سنة ٧١٧هـ، مُخلِّفاً ابنه أباضَرْبَةَ محمد (٧١٧ - ٧١٨هـ) وزحف أبوبكرٍ الحفصي على تونس، فاستولى عليها، وقتل أباضربة سنة ٧١٨هـ. فتختفي أخبار التجاني بعد هذا التاريخ. مما جعل العلامة حسن حسني يجعله ممن قُضِيَ عليه من رؤوس البيت التجاني على يد أبي يحيى الحفصي سنة ٧١٨هـ. ويُعتقد أن له عقباً برزَ منهم بعد نحو قرنٍ من الزمان حفيدُه أحمد بن علي بن عبدالله المولود في تونس سنة ٨٠٣هـ. أخذ عن ابن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ وغيره. وله مصنفات عدة. توفي سنة ٨٥٦هـ.

مصنفات التجاني:

للتجاني مصنفات عديدة شملت فنوناً مختلفة، تدل على سَعَةِ علمِه، وتنوّع مشاربِه. وقد ذكر العلامة حسن حسني عبدالوهاب (ت ١٣٨٨هـ) أن له من المصنفات:

- أداء اللازم في شرح مقصورة حازم.
- تحفة العروس، وهو كتابنا.
- تقييدات على صحيح البخاري .
- تقييدات على صحيح مسلم .
- الدر النظيم، وهو في تراجم الأعلام .
- رحلته. وهي مطبوعة بتحقيق العلامة حسن حسني عبدالوهاب.
- شرح إلهيات ابن سيناء في الشفا[6]، يوجد مخطوطاً[7].
- علامة الكرامة في كرامة العلامة، وذهب حسن حسني

أنه في تراجم كتاب الدولة الحفصية.

- نفحات النسرين في مخاطبات ابن شبرين. وهو كتاب طريف جمع فيه مراسلاته مع الأديب الأندلسي محمد ابن أحمد بن شبرين السبتي(٨)، المتوفى سنة ٧٤٧هـ.

- الوفا في بيان فوائد الشفا، توجد نسخٌ خطيةٌ منه(٩).

ولم أعثر على مزيد على ماذكره حسني عبدالوهاب من مصنفات التجاني.

الموارد:

إن من الصعوبة بمكان أن نَرُدَّ كل فقرةٍ أو معلومةٍ أوردها التجاني إلى الأصل الذي نقلها منه. ذلك أن كثيراً مما أورده في كتابه هذا ولم ينص على نقله من كتابٍ بعينه نجدُهُ مبثوثاً في بطون كتب التراث العربي، يتناقلها المتأخرون عن الأوائل، فلا نعلم مَن هو مصدر التجاني منها. وقد كان الإسنادُ في العصور التي تقدمت التجاني يهدينا إلى مصدر كل اقتباس ونقلٍ على الأغلب، أما وقد ذهب الإسناد فإن تتبُّعَ ذلك يقودُ إلى تشعبِ البحث، ووصوله إلى موارد ومصادر قد لايكون اطلع عليها فكيف له أن ينقل منها.

ونلحظ أن التجاني له طريقةٌ في إيرادِ ما كتبه تسيرُ في أربعِ مسارات:

الأول: أن يذكرَ المصدرَ ومؤلِّفَهُ. وهو شائع في الكتاب.

الثاني: أن يذكر اسم الكتاب ويُغفل اسم مؤلفه. وهو شائع في الكتاب أيضاً. وهاتان الطريقتان تهدينا من الوصول إلى تلك الموارد وتتبعها في أغلب المواضع.

الثالث: أن يذكر اسم المؤلف مقتصراً عليه، وهو قليل الورود. ولكنه لايهدينا دائماً إلى مورد النقل،

الرابع: أن يذكر اسم الراوي مكتفيا به، و نجد أصول النقولِ في كتب التراث التي بين أيدينا. ويكثرُ إسنادُ النقول والاقتباسات إلى طبقة كبار الرواة والإخباريين، كالأصمعي، وأبي عبيدة، والمدائني، والزبير بن بكار، والهيثم بن عدي، وغيرهم. ومن الصعوبة بمكان أن نعيد تلك النقول إلى مصدرها، فهي قد تتابع ورودها في أكثر من مصدر، وتناقلها المصنفون حتى زمن التجاني.

وأزعم أن ما أغفله التجاني ولم يذكر مصدره في النقل له ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أنه يورده من ذاكرته، التي وعت كثيراً، واختزنت علماً وفيراً. فيورده بناء على ما حفظه دون ذكر لمصدره لأنه غاب عنه.

والوجه الثاني: أنه ينقل عن مقيَّدات لديه، سواء كتبها هو أوكتبه غيره ووقعت تحت يده، من الكُنَّاشَاتِ والتَّذْكِرَات، أو مما يسطِّرُه أهل العلم والأدب في هوامش كتبهم، إثباتاً لفائده يخشون أن تذهب عنهم. فيقيدُها، فتقعُ في يد التجاني، والذي كان مغرماً بجمع الكتب وخاصة نوادرها، فلا يجد مصدرها وهي مطلبُه فيثبتها كما هي.

والوجه الثالث: أنه يستطرد في النقل ولايعيد ذكر المصدر. وذلك ظاهر في بعض المواضع . وهذا يغني عنه ذكر المصدر أولاً.

وقد سرتُ على طريقة لاتثقل البحث وتطيله بما لاطائل منه، فكلُّ كتابٍ لم أذكر أنه مخطوطٌ أو مفقودٌ فهو مطبوع متداولٌ.خاصةً وأن بعضها مشهور لاطائل من ذكر طبعاته، كالكتب الستة، ومروج الذهب، والعمدة، والعقد الفريد، وغيرها. وبعضها قد يخفى ويندرُ وجوده، أو تكون طبعته حديثه، أو لم يصل إلينا كاملاً، فأشيرُ إلى مايجلو الغموض حوله.

أولاً: الموارد الشفهية:

١ - والده محمد بن أحمد التجاني. أشار إليه في موضع واحد[١٠] وهو ينقل عنه شعراً لمعاصر له ممن تقدم على زمن المصنف قليلاً.

٢ - شيوخه، في موضع واحد[١١]. ولم يحدد أيهم ولكنه أنشد بيتاً لشاعر وقال عنه: تقدم عصرنا قليلاً، أنشد أشياخنا عنه.

ثانياً: الموارد المكتوبة:

- القرآن الكريم، وقد استقى منه في مواضع عديدة، وخاصة في الأبواب الأولى، وقد يأتي بالآية الكريمة في أول الباب ثم يسوق لتفسيرها وبيان المقصد منها الأحاديث وأقوال الفقهاء. وعدد تلك الآيات الكريمة أثنتا عشرة آية[١٢]، بخلاف الآيات الكريمة التي ينقلها في معرض نقوله واقتباساته.

١ - الأحكام لعبدالحق بن عبدالرحمن الأزدي الأشبيلي المعروف بابن الخَرَّاط، المتوفى سنة ٥٨١هـ. ويسمى بالأحكام الكبرى. نقل منه في موضعين نصّ فيهما على النقل[١٣]، وفي موضعين آخرين ذكر رأي عبدالحق ولم يشر إلى الكتاب الذي نقل منه[١٤]. وهما لم يردا في كتاب الأحكام. وقد كان لدى التجاني عدة نسخ من كتاب الأحكام[١٥]، فلعل في بعضها زيادة عما وصل إلينا.

٢ - أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبدالله المَعَافِرِيّ القُرْطُبيّ، المعروف بابن العربي، المتوفى سنة ٥٤٣هـ. نقل منه في سبعة مواضع، ينص فيها على اسم الكتاب ومصنفه[١٦]. ويعطف بعض النقول على بعض[١٧].

٣ - إحياء علوم الدين لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، المتوفى سنة ٥٠٥هـ. أكثر النقل منه وأطال. فقد وجد فيه مادةً تخدم موضوعه وتثريه فنهل منه. وبلغ عدد تلك الاقتباسات والنقول خمسة وعشرون نقلاً واقتباساً. صرحَ فيها باسم الكتاب والمؤلف[١٨]. وقد كان يختصر الاسمين فيقول: الإحياء، وأبوحامد. وقد يختم نقله بقوله: انتهى كلام الغزالي. وفي بعض النقول ماهو طويلٌ يصلُ إلى خمس صفحات[١٩]. وقد يعطف النقول على النقل الأول.

٤ - أخبار أبي تمام لأبي بكر محمد بن يحيى الصُّوْلَيّ، المتوفى سنة ٣٣٥هـ أو ٣٣٦هـ. نقل منه في موضع واحد، نص على اسم الكتاب ومؤلفه[٢٠].

٥ - أخبار الحمقى والمُغفلين لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجَوْزَيّ البغدادي، المتوفى ٥٩٧هـ. وسمَّاهُ كتاب المغفلين. نقل منه في موضع واحدٍ[٢١].

٦ - أخبار النساء لأبي الفرج[٢٢] عبدالرحمن بن علي بن الجَوْزَيّ البغدادي، المتوفى سنة ٥٩٧هـ. وهو يقدم في كثيرٍ من المواضع لتلك النقول قائلاً: قال أبوالفرج في كتاب النساء. وسماه في موضع واحدٍ أدب النساء[٢٣]. أكثر النقل منه، ويعدُّ من مصادره الرئيسة. وذلك أنه يشابه التحفة في موضوعه. وعددُ تلك الاقتباسات والنقول سبعة وأربعون نقلاً واقتباساً[٢٤]. بعضها نقول طويلة[٢٥]، وفيها ماهو استطراد على ماسبقه[٢٦].

٧ - أخبار النساء. لم يذكر مؤلفه ولعله كتاب النساء الذي سيرد لاحقاً، نقل منه في موضع واحدٍ[٢٧].

٨ - أدب الكاتب لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدَّيْنُوْرَيّ، المتوفى سنة ٢٧٦هـ نقل منه في ثلاثة مواضع[٢٨].

٩ - أدب النديم لأبي نصر محمود بن حسين الرَّمْلَي المعروف بكُشَاجِم، المتوفى سنة ٣٦٠هـ. نقل منه

في موضع واحد، ممهداً لذلك بذكر اسم الكتاب ومصنفه[٢٩].

١٠- أدب النساء لأبي مروان عبدالملك بن حبيب السُّلَمِيّ الأندلسي، المتوفى سنة ٢٣٨هـ. وقد يُسَمّى الكتاب: الغايةُ والنهاية. وقد طبع بتحقيق: عبدالمجيد تركي، وصدر في بيروت سنة ١٤١٢هـ وجله أحاديث مسندة وموقفةٌ من رواية المؤلف، مع وجود بعض الآراء الفقهية لابن حبيب. نقل منه التجاني في اثني عشر موضعاً[٣٠]، وسماه في موضع واحد أدب النساء[٣١]، وفي موضع آخر سماه كتاب النساء[٣٢]. ويقدم لنقله مقتصراً بذكر المؤلف دون اسم الكتاب.

١١- الأذكياء لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجَوْزِيّ البغداديّ، المتوفى ٥٩٧هـ. سماه أخبار الأذكياء، ونقل منه في تسعة مواضع[٣٣].

١٢- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبدالبر النَّمَرِيّ القُرْطُبِيّ، المتوفى سنة ٤٦٣هـ. نقل منه في موضعين مصرحاً باسم الكتاب ومؤلفه.[٣٤]

١٣- إصلاح المنطق لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق السِّكِّيت، المتوفى سنة ٢٤٤هـ. نقل منه في موضعين، قدَّمَ لنقله بذكر مصنفه في الموضع الأول[٣٥]، وذكر الكتاب ومصنفه في الموضع الثاني.[٣٦]

١٤- الأغاني لأبي الفرج علي بن الحسن الأُمَوِيّ الأَصْفَهانيّ، المتوفى سنة ٣٥٦هـ. وهو من المصادر الرئيسة للتجاني في التحفة. فقد نقل منه في ستة وأربعين موضعاً[٣٧]، صرح فيها باسم الكتاب ومصنفه. وبعض تلك النقول طويلة[٣٨]. وقد ينقل من الأغاني في مواضع ولكنه يصرِّحُ باسم الراوي للخبر كالمدائنيِّ وأبي عُبيدة، ولايشيرُ إلى الكتاب أو المصنف[٣٩].

١٥- اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار لأبي محمد عبدالله بن علي اللَّخْمَيّ الرُّشَاطَيّ الأندلسي، المتوفى سنة ٥٤٢هـ. لم يصل إلينا هذا الكتاب. لكن ابن عبدالحق الأشبيلي ٥٨١هـ اختصره، ووصل إلينا هذا المختصر. طُبِعَ منه مايخص الأندلس. اقتبس منه التجاني في أحد عشر موضعاً[٤٠]، منها نقلٌ فيه طوال[٤١].

١٦- الاقتضاب شرح أدب الكتاب لأبي محمد عبدالله ابن السِّيد البَطَلْيَمُوسِيّ، المتوفى ٥٢١هـ نصَّ على اسم الكتاب ومؤلفه. ونقل منه في أربعة مواضع[٤٢].

١٧- الاكْتِفَاءُ في أخبار الخلفاء لأبي مروان عبدالملك ابن محمد التُّوْزَيّ المعروف بابن الكَرْدَبُوس، المتوفى بعد سنة ٧١٣هـ. طبع قسمٌ منه يختصُ بالأندلس في مدريد سنة ١٩٧١م، ثم حققه كاملاً عبدالقادر بوبايه، وطُبِعَ في مجلدين ببيروت سنة ٢٠٠٩م. نقل منه التجانيُّ في ثلاثة مواضع، منها اقتباس طويل[٤٣].

١٨- إكْمَالُ المُعْلِم بفوائد مسلم لأبي الفضل عياض بن موسى اليَحْصُبِيّ السَّبْتِيّ، المتوفى سنة ٥٤٤هـ. والأصل كتاب المَازِرِيّ المُعْلِم، لم يكمله فأكمله عياض وزاد في مواضع واختصر في أخرى، فخرج في صورة جديدة. طُبع بتحقيق يحيى إسماعيل سنة ١٤٢٥هـ وجاء في تسعة مجلدات. نقل منه التجاني في اثنين وعشرين موضعاً[٤٤]. وفي بعض المواضع يأتي بكلام عياض على المعنى، ويختم بقوله[٤٥]: انتهى كلام عياض بمعناه.

١٩- أمالي الزَّجَّاجيّ لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزَّجَّاجيّ المتوفى ٣٤٠هـ نقل منها خبرين. قدم لها بذكر المؤلف وكتابه[٤٦].

٢٠- أمالي القالي لأبي علي إسماعيل بن القاسم البغدادي المتوفى سنة ٣٥٦هـ . نقل منه وأكثر، وقد وصلت النقول إلى عشرين نقلاً. أشار إلى مصدره في بداية النقل أو خاتمته[٤٧].

٢١- الأوصاف لأبي عبد الله حمزة بن الحسن الأصفهاني المتوفى سنة ٣٦٠هـ. وكتاب الأوصاف من كتبه المفقودة، ولم أجده مذكوراً من كتبه التي ذكرها ابن النديم وياقوت[٤٨]، وجاء فيها كتاب التشبيهات فلعله هو. نقل منه في موضع واحد[٤٩].

٢٢- البحر الزَّخَّار في مسند البَزَّار لأبي بكر أحمد بن عمرو العَتَكيّ المعروف بالبَزَّار، المتوفى سنة ٢٩٢هـ، نقل منه في سبعة مواضع[٥٠]، يقدم للنقل بقوله: البزار ثم يسوق السند. موضعان لم أعثر عليهما في ماطبع من المسند[٥١].

٢٣- البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الكِنَانيّ البصريّ المعروف بالجاحظ، المتوفى سنة ٢٥٥هـ. نقل منه في سبعة مواضع. ينص فيها على اسم الكتاب ومؤلفه[٥٢].

٢٤- تاريخ بغداد لأبي طاهر أحمد بن أبي طاهر طَيْفُور المَرْوَزيّ، المتوفى سنة ٢٨٠هـ. الجزء الأكبر منه مفقود، وبقي منه قطعة صغيرة. نقل منه التجاني في موضعين[٥٣]، وسماه تاريخ ابن أبي طاهر

٢٥- تاريخ ابن الحصين. لم أتبين من هو ولا تاريخه. وهو من التواريخ المتأخرة، فقد أورد قصة كانت في خلافة المقتفي بالله العباسي المتوفى سنة ٥٥٥هـ وسماه المقري[٥٤] ابن أبي الحصين. نقل منه في موضعين[٥٥].

٢٦- التاريخ الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير لأبي طالب علي بن أَنْجَب البغدادي المعروف بابن السَّاعي، المتوفى سنة ٦٧٤هـ.سماه تاريخ ابن الساعي. نقل منه في موضع واحد[٥٦]. طبع من هذا التاريخ قسمٌ، وبقي القسم الأكبر مخطوطاً.

٢٧- تاريخ اليمن لأبي محمد عُمارة بن علي بن زيدان الحَكَميّ، المتوفى سنة ٥٦٩هـ. اقتبس منه في موضع واحد وطوّل[٥٧].

٢٨- تحفة القادم لأبي عبد الله محمد بن عبد الله القُضَاعيّ البَلَنْسيّ المعروف بابن الأَبّار، المتوفى سنة ٦٥٨هـ، وهو مما فُقِدَ من كتب التراث العربي، وبقي منه مختصرٌ، أعاد بناءه وحققه إحسان عباس، ونشر في بيروت سنة ١٤٠٦هـ. نقل منه التجاني في موضع واحد[٥٨].

٢٩- تَرْوِيحُ الأرواح ومفتاح السرور والأفراح لأبي العباس أحمد بن محمد بن عَلَوِيَّة السِّجْزي الملقب بجراب الدولة، وهو من رجال القرن الرابع الهجري. طُبِعَ منتخبٌ منه بتحقيق إبراهيم السامرائي في بيروت ١٩٩٦م والأصل كبيرٌ، نصَّ على ذلك ابن النديم فقال[٥٩] : وهو كتاب كبير. نقل منه في موضع واحد[٦٠]، ولم يسم الكتاب مكتفياً بلقب مؤلفه.

٣٠- الجاحظ في بعض تواليفه. ذكر ذلك في موضع واحد[٦١]، ولم أعثر على هذين النقلين في كتب الجاحظ التي رجعت إليها.

٣١- الجامع الصحيح لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البُخَارِيّ، المتوفى سنة ٢٥٦هـ نقل منه

في سبعة وعشرين موضعاً، وهو يقدم لذلك بذكر المصنف، ولم ينص فيها بنقله من الصحيح، فحتَّم ذلك مراجعة تلك النقول، وجدتها أجمع من الصحيح[٦٢].

٣٢- الجامع الصحيح لأبي الحسين مسلم بن الحجَّاج القُشَيْريّ النَّيْسَابُوريّ، المتوفى سنة ٢٦١هـ. نقل منه في ثمانية عشر موضعاً، يقدم لذلك بذكر اسم المصنف دون ذكر الكتاب، وبعد عرض تلك الاقتباسات على صحيح مسلم تبين أنها جميعاً منه[٦٣].

٣٣- الجرح والتعديل لأبي محمد عبدالرحمن بن محمد الحَنْظَليّ الرَّازي المعروف بابن أبي حاتم، المتوفى سنة ٣٢٧هـ لم يشر التجاني إلى الكتاب، ولكنه نقل عن أبي حاتم في موضع واحد[٦٤]، وهذا النقل موجود في كتاب ابنه الجرح والتعديل[٦٥].

٣٤- جماع النسوان وأحكام القرآن لأبي إسحاق محمد بن القاسم بن شعبان المصري المعروف بابن القُرْطَي، المتوفى سنة ٣٥٥هـ وهو من الكتب المفقودة. وسماه ابن العربي كما أثبت[٦٦]، أما التجاني فقد نقل منه في موضع واحد، وسماه بكتاب النساء[٦٧]. وهذا النقل هو ما أورده ابن العربي[٦٨]، فلعله نقل منه ولم يطلع على هذا الكتاب.

٣٥- الجماهير في معرفة الجواهر لأبي الريحان محمد ابن أحمد البَيْرُونَيّ، المتوفى سنة ٤٣٢هـ. نقل منه التجاني في تسعة مواضع[٦٩]، مقدماً لها بذكر اسم المؤلف أو كنيته واسم الكتاب.

٣٦- الجمهرة، لم يوضح من مؤلفها، ولم أجد مانقله فيما بين يدي من كتب تُسمَّى بالجمهرة. وقد نقل منها في موضع واحد[٧٠].

٣٧- حرص الحلي، كذا ورد في الأصل المطبوع. ولم أتبين لمن هذا الكتاب، بل لم أجد كتاباً بهذا الاسم. ويغلب على الظن أن تحريفاً قد سرى إلى الاسم فذهب بعيداً عن المراد. نقل منه في موضع واحد[٧١].

٣٨- الحلة السيراء لأبي عبدالله محمد بن عبدالله القُضَاعيّ البَلَنْسَيّ المعروف بابن الأَبَّار، المتوفى سنة ٦٥٨هـ. نقل منه في موضع واحد.[٧٢]

٣٩- الحماسة لأبي تمام حبيب بن أوس الطَّائي، المتوفى سنة ٢٣٢هـ. وقد اكتفى المصنف بذكرها دون بيان مؤلفها، لأنها إن لم تضف لم تنصرف لغير حماسة أبي تمام. وقد نقل منها سبع مختارات شعرية[٧٣].

٤٠- خزانة التواريخ، لابن سعيد. لعل هذا الكتاب من مؤلفات أبي الحسن عليّ بن موسى بن سَعيد الأندلسي، المتوفى سنة ٦٧٣هـ. فقد وجدتُ التجاني في رحلته[٧٤] ينقل من كتاب أبي الحسن ابن سعيد «خزانة الأدب» فلعله هو، وسبقةُ قلم حولت الأدب إلى التاريخ. نقل منها في موضع واحد[٧٥].

٤١- خلق الإنسان لأبي محمد ثابت بن أبي ثابت الكوفي، من علماء القرن الثالث. وهو كتاب لغوي يتناول أعضاء الأنسان. وقد نقل منه في تسعة مواضع[٧٦].

٤٢- درة الغوّاص في أوهام الخواص لأبي محمد القاسم ابن علي البصري الحَرِيْريّ، المتوفى سنة ٥١٦هـ. نقل منه في موضع واحد[٧٧].

٤٣- الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة، وقد يسمى سوائر الأمثال على أفعل لأبي عبدالله حمزة بن الحسن الأصفهاني المتوفى سنة ٣٦٠هـ. وقد نقل منه ثلاثة مواضع[٧٨]، وسماه كتاب أفعل، ومن تلك الاقتباسات موضع فيه بعض الطول[٧٩].

٤٤- دُمْية القصر وجَرِيْدَة أهل العصر لأبي الحسن علي ابن الحسن البَاخَرْزَيّ، المتوفى سنة ٤٦٧هـ. نقل منه في ثلاثة مواضع[٨٠].

٤٥- ديوان النَّابغة الذبياني، صنعة أبوسعيد عبدالملك ابن قريب الأصمعي، المتوفى سنة ٢١٥هـ. نقل عن الأصمعي بيتاً للنابغة وتفسيره[٨١]، ولم يشر إلى مصدر النقل وقد وجدته في ديوان النابغة والذي ضمنه الأعلم الشنتمري شرح أشعار الستة الجاهليين، وأظنه أدمج شرح الأصمعي مع شرحه، لهذا أثبته من الموارد.

٤٦- الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة لأبي الحسن علي ابن بسام الشَّنْتَرِيني، المتوفى سنة ٥٤٢هـ. نقل منه في ستة مواضع[٨٢]، منها موضع طويل[٨٣]. وقد وهل المصنف في إحدى المواضع[٨٤]، فذكر أنه لم يذكره ابن بسام وهو مما ورد، فلعله وقع تحريف في أصل المؤلف أضاف «لم» النافية فأفادت عكس ما كان يريد إثباته.

٤٧- الروض الأُنُف لأبي القاسم عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي الأندلسي، المتوفى سنة ٥٨١هـ. نقل منه في موضعين، صرح في الأول باسم الكتاب والمصنف، واكتفى في الثاني باسم المصنف[٨٥].

٤٨- الرسالة لأبي زيد عبدالله بن أبي زيد القيرواني المالكي، المتوفى سنة ٣٨٦هـ. وهي من متون الفقه المالكي. أشار إليها، وأحال عليها في موضع واحد[٨٦].

٤٩- روضة الأزهار وبهجة النفوس ونزهة الأبصار، تُنْسبُ للحسن بن علي الأموي القُرْطُبيّ، المتوفى سنة ٦٠٢هـ. ولايزال الكتاب مخطوطاً لم يُطبع حسب علمي -. ونسبة الكتاب إلى القرطبي فيه نظرٌ، ففي الروضة[٨٧] نقلٌ عن ابن خلكان، وهو متقدِّمٌ عليه، ونقلٌ عن أبي حيَّان النَّحْوِيّ الأندلسي (ت٧٤٥هـ) مما يدفع نسبة الكتاب للقرطبي. نقل التجاني منه في ثلاثة مواضع[٨٨]، لم يصرح فيها باسم المؤلف.

٥٠- روح الشعر وروح الشحر لأبي عبدالله محمد بن الجَلاَّب الفِهْري الأندلسي، المتوفى سنة ٦٦٤هـ. وهو مفقود، يوجدُ مختصرٌ منه لابن لِيُوْن التُّجَيْبِيّ الأندلسي (ت ٦٨١هـ) في المكتبة الوطنية بالرباط. نقل منه في ثلاثة مواضع[٨٩].

٥١- زهر الآداب وثمر الألباب لأبي إسحاق إبراهيم ابن علي الحَصْرَيّ القَيْرَوانيّ، المتوفى سنة ٤٠٥هـ. وهو من المصادرِ الرئيسة، فقد نقلَ منه مُصرِّحاً بذلك في ثلاثة عشر موضعاً[٩٠]، طول في بعضها[٩١]، إضافةً إلى مواضع لم ينص على النقل[٩٢]، وقد يكون ساق بعضها استطراداً. وقد يسميه كتاب الزهر اختصاراً.

٥٢- سمط اللآلي شرح أمالي القالي لأبي عُبيد عبدالله ابن عبدالعزيز البَكْرِيّ الأندلسي، المتوفى سنة ٤٨٧هـ. نقل منه في أحد عشر موضعاً[٩٣]، منها نقل طويل[٩٤].

٥٣- سُنن التِّرْمِذَيّ لأبي عيسى محمد بن عيسى التِّرْمِذَيّ، المتوفى سنة ٢٧٩هـ. نقل منه في ستة مواضع[٩٥].

٥٤- سنن أبي داود لأبي داود سليمان بن الأَشْعَث السِّجِسْتَانيّ، المتوفى سنة ٢٧٥هـ. نقل منها في سبعة عشر موضعاً[٩٦].

٥٥- سنن الدَّارَقُطْنيّ لأبي الحسن علي بن عُمر الدَّارَقُطْنيّ البغدادي، المتوفى سنة ٣٨٥هـ. نقل منها في موضع واحد[٩٧].

٥٦- سنن النَّسَائِيّ لأبي عبدالرحمن أحمد بن شُعيب النَّسَائِيّ، المتوفى سنة ٣٠٣هـ. نقل منها في أربعة عشر موضعاً[٩٨].

٥٧- شـرح أشعار السـتة الجاهليين لأبي الحجاج يوسف ابن سـليمان الشَّـنْتَمَرِي المعروف بالأَعْلَـم، المتوفى سنة ٤٧٦هـ . نقل منه في موضع واحد[٩٩].

٥٨- شرح سَقْطِ الزَّنْد لأبي العَلاء المَعَرِّي لأبي محمد عبدالله بن محمد بن السِّيْد البَطَلْيَمُوْسَيّ، المتوفى سنة ٥٢١هـ. نقل منه في موضع واحد[١٠٠].

٥٩- شـرح الحماسـة لأبي بكر عاصـم بن أيـوب البَلَوَيّ الأندلسـي، المتوفى سـنة ٤٩٣هـ[١٠١] وهـو من الكتب المفقـودة اليـوم. وقد غاب هـذا الشـرح عن محمد عثمان[١٠٢] فيما جمعه من شـروح حماسة أبي تمام، وكذلـك نـدَّ عـن عبـد الله عُسَـيلان[١٠٣] وقد أحاطا بكثيرمـن شـروح حماسـة أبـي تمام. وقـد نقل منه التجاني في موضعين[١٠٤].

٦٠- شرح مقامات الحريري لأبي العباس أحمد بن عبدالمؤمن القيسي الشَّرِيْشَيّ، المتوفى سنة ٦٢٠هـ. وسماه ابن عبدالمؤمن، نقل منه في سبعة مواضع صرح فيها باسم الكتاب[١٠٥].

٦١- الشعر والشعراء لأبي محمد عبدالله بن مسلم ابن قتيبة الدِّيْنَوْرِيّ، المتوفى سنة ٢٧٦هـ. نقل منه في موضع واحد، وسماه أخبار الشعراء[١٠٦].

٦٢- الشِّفَا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ لأبي الفضل عِيَاض بن موسى اليَحْصُبِيّ، المتوفى سنة ٥٤٤هـ. نقل منه في ستة مواضع[١٠٧]. نص فيها على مدار النقل.

٦٣- الشمائل المحمدية لأبي عيسى محمد بن عيسى التِّرْمِذَيّ، المتوفى سنة ٢٧٩هـ. نقل منه في موضع واحد[١٠٨]. وسماه شمائل الترمذي.

٦٤- الصِّحَاح لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجَوْهَرَيّ، المتوفى ٣٩٣هـ. نقل منه في خمسة مواضع[١٠٩]. يقدم لذلك بذكر الكتاب ونص على مصنفه في موضع واحد[١١٠].

٦٥- الصِّلة في تاريخ أئمة الأندلس لأبي القاسم خلف بن عبدالملك الأندلسي المعروف بابن بَشْكَوال، المتوفى سنة ٥٧٨هـ. نقل منه في موضع واحد[١١١].

٦٦- طـارد الهمـوم، لم أعثر على مُصـنِّفه، بـل لم أجد عنه قليلاً ولاكثيراً، سـوى ماذكره صـاحب إيضـاح المكنـون[١١٢]، والـذي لم يـأت بمزيـد مُكتفياً باسـم الكتـاب. ويظهـر لي أنه مـن كتـب الأدب والأخبار، ويدل على هذا النقلان اللذان نقلهما التجاني[١١٣].

٦٧- الطالع السعيد في تاريخ بني سَعيد لأبي الحسن علي ابن موسـى بن سعيد الأندلسي، المتوفى سنة ٦٨٥هـ. وهـو مما فُقِـدَ من كتـب ابـن سـعيد. وكان الطالع السـعيد لدى المقري، فنقل منـه في نفح الطيب[١١٤]، ممـا يدل على أنه فقـد متأخراً. نقل منه التجاني في موضع واحد[١١٥]، أشار فيه إلى الجزء الأول من اسم الكتاب ومؤلفه.

٦٨- رسـالة الطيب لأبي ياسر عمار بن محمد البَدَلَيْسَيّ الأندلسـي، المتوفى نحو ٥٩٠هـ.. وقد وهم إسماعيل البغـدادي حينمـا ذكـر هـذا الكتـاب[١١٦]، فجعلـه أندلسياً، والصـواب ما أثبته التجاني. ورسالته تلك لا وجود لها حسـب علمي. ولم أجد من ذكرها سـوى صـاحب هديـة العارفين. نقل منها التجاني في سـتة مواضع[١١٧].

٦٩- العقد، الموسوم بالفريد لأبي عمر أحمد بن محمد ابن عبدربه الأندلسي، المتوفى سنة ٣٢٨هـ. نقل منه في موضع واحد[١١٨].

٧٠- عقلاء المجانين لأبي القاسم الحسن بن محمد النَّيْسَابُوْرَيّ، المتوفى سنة ٤٠٦هـ. نقل منه في موضع واحد[١١٩].

٧١- العِلَلُ لأبي الحسن علي بن عمر الدَّارَقُطْنِيّ البغدادي، المتوفى سنة ٣٨٥هـ. نقل منه في موضعين، نص في الثاني منهما على اسم الكتاب[١٢٠].

٧٢- العمدة في محاسن الشعر وآدابه لأبي علي الحسن ابن رَشِيْق القَيْرواني، المتوفى سنة ٤٥٦هـ. نقل منه في موضع واحد[١٢١].

٧٣- كتاب العين لأبي عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفَرَاهِيْدَيّ البصري، المتوفى على الأرجح سنة ١٧٠هـ. نقل منه في موضعين[١٢٢]، في الموضع الأول قدم لذلك بقوله: قال صاحب العين، وفي الثاني قال الخليل.

٧٤- غريب الحديث لأبي سليمان حَمْد بن سليمان الخَطَّابِيّ، المتوفى سنة ٣٨٨هـ. نقل منه في خمسة عشر موضعاً[١٢٣].

٧٥- الغريب المصنف لأبي عُبيد القاسم بن سَلاّم الهَرَوِيّ، المتوفى سنة ٢٢٤هـ. نقل منه في موضعين اثنين[١٢٤]. وهو يسميه غريب الهروي.

٧٦- الفُصُوص لأبي العلاء صاعد بن الحسن الرَّبَعِيّ البغدادي، المتوفى سنة ٤١٠هـ أو ٤١٧هـ. نقل منه في سبعة مواضع[١٢٥]، منها موضع أطال فيه النقل[١٢٦].

٧٧- فِقْهُ اللغة وسِرّ العربية لأبي منصور عبدالملك بن محمد الثَّعَالِبِيّ النَّيْسَابُوْرِيّ، المتوفى سنة٤٢٩هـ. نقل منه في عشرة مواضع[١٢٧]، ومنها مواضع يطيل النقل، ويختم ذلك النقل بقوله: انتهى مانقلته من كتاب ابن منصور[١٢٨].

٧٨- كتاب الفَنْجَدَيْهَيّ لأبي سعيد محمد بن عبدالرحمن المَسْعُوْدِيّ الفَنْجَدَيْهَيّ[١٢٩]، المتوفى سنة ٥٨٤هـ لم ينص التجاني على كتاب بعينه، بل ذكره في موضع واحد[١٣٠]، ذكر المصنف دون الكتاب، ولعله لم يستحضر اسم المؤلف. وللفنجديهي كتاب أثنى عليه ابن خلكان وهو: شرح مقامات الحريري[١٣١]، يوجد مخطوطاً، فلعله هو.

٧٩- قادمة الجناح في آدب النِّكاح لأبي العباس أحمد بن يوسف القَيْسَيّ التِّيْفَاشِيّ، المتوفى سنة ٦٥١هـ. وهو من الكتب المفقودة. نقل منه في ستة مواضع[١٣٢]، طول في ثلاثة منها[١٣٣].

٨٠- كتابٌ من كتب أبي محمد القاسم بن الأصبغ القرطبي الملقب بالبَيَّانيّ، المتوفى سنة ٣٤٠هـ، نقل منه في موضع واحد[١٣٤]، ولم يصرح التجاني باسم كتاب القاسم الذي نقل منه. وللقاسم عدة كتبٍ في الحديث والآثار، منها[١٣٥]: المسند، والمنتقى من الأثر، والصحيح، ومسند مالك. ولانستطيع أن نردَّ هذا الأثر إلى واحدٍ منها، وذلك أنها في عداد المفقود حسب علمي.

٨١- قطب السرور في أوصاف الخمور لأبي إسحاق إبراهيم بن القاسم القيرواني المعروف بالرقيق، المتوفى سنة ٤٢٥هـ. كتاب ضخمٌ، لم يُؤَلَّف في بابه شبيهٌ له. طُبِعَ نصف الكتاب، وبقي الجزء الثاني مخطوطاً[١٣٦]. نقل منه في موضع واحد[١٣٧]، نص فيه على اسم المؤلف والكتاب.

٨٢- كتاب القيان لأبي الفرج علي بن الحسين الأُمَوِيّ الأَصْفَهَانيّ، المتوفى سنة ٣٥٦هـ. جمع مابقي منه في بطون الكتب وأعاد بناءه جليل العطية، وطُبِعَ في لندن سنة ١٩٨٩م. نقل منه في موضع واحد(١٣٨)، مقدماً لذلك بذكر المؤلف وكتابه.

٨٣- الكامل في ضعفاء الرجال لأبي أحمد عبدالله بن عدي الجُرْجَانيّ، المتوفى سنة ٣٦٥هـ. نقل منه في موضع واحد(١٣٩)، لم يذكر فيه اسم الكتاب، ولكنه جاء باسم المؤلف، وما نقله جاء في الكامل(١٤٠).

٨٤- الكامل في اللغة والأدب لأبي العباس محمد بن يزيد الثُّمَاليّ البصري، المتوفى سنة ٢٨٥هـ. نقل منه في خمسة عشر موضعاً(١٤١)، قدم لأكثرها بذكر المؤلف والكتاب.

٨٥- الكمائم، للبَيْهَقيّ، لم أتبين اسمه، فلم يذكره أحدٌ حسب ماطلعت عليه. وكتاب الكمائم كتابٌ تاريخيٌّ إخباريٌّ، جمع فيه مصنفه أخبار العرب في جاهليتهم وإسلامهم، وأخبار الدول وأنساب القبائل، وقد أكثر النقل منه ابن سعيد في كتابه نشوة الطرب. نقل منه التجاني ثلاثةَ نقولٍ(١٤٢)، يقدم لها بذكر الكتاب، وذكر في موضع واحد(١٤٣) اسم المؤلف الأخير، مما أضاع علينا اسم المؤلف.

٨٦- الكتاب لأبي بشر عمرو بن بشر الحارثي الملقب بسَيْبَوَيْه، المتوفى سنة ١٨٠هـ. وهو كتاب النحو الأشهر. نقل منه في موضع واحد(١٤٤).

٨٧- كنُوزُ المطالب بذكر آل أبي طالب لأبي الحسن علي بن موسى بن سَعيد الأندلسي، المتوفى سنة ٦٧٣هـ. وهو من الكتب المفقودة. وقد كان صلاح الدين الصفدي (ت ٧٦٤هـ) قد ملكه بخطِّ مؤلفه في أربعة مجلدات(١٤٥). نقل منه التجاني في أربعة مواضع(١٤٦).

٨٨- مختلف القبائل ومؤتلفها لأبي جعفر محمد بن حبيب البغدادي، المتوفى سنة ٢٤٥هـ، نقل منه في موضع واحد(١٤٧)، ولم يشر إلى الكتاب، لكنه وصف ابن حبيب بالنسابة وساق النقل عنه، وهذا النقل مثبتٌ في كتاب ابن حبيب المذكور(١٤٨).

٨٩- المراسيل لأبي داود سليمان بن الأَشْعَث السِّجِسْتَانيّ، المتوفى سنة ٢٧٥هـ. نقل منه في أربعة مواضع(١٤٩)، نص فيها عليه.

٩٠- مُروج الذهب ومعادن الجوهر لأبي الحسين علي بن الحسين المَسْعُوْديّ، المتوفى سنة ٣٤٦هـ. نقل منه في موضع واحد(١٥٠).

٩١- مسند أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، المتوفى سنة ١٥٠هـ. نقل منه في موضع واحد(١٥١)، مقدماً بقوله: ومن حديث أبي حنيفة. وماأورده ورد في مسند أبي حنيفة برواية الحارثي(١٥٢).

٩٢- المسند لأبي عبدالرحمن بَقِيِّ بن مَخْلَد الأندلسي، المتوفى سنة ٢٧٦هـ. وهو من أعظم مسانيد الحديث وأغزرها. ولكنه فُقِدَ فيما فقد من كتب التراث. نقل منه في موضع واحد(١٥٣).

٩٣- مسند الشِّهَاب لأبي عبدالله محمد بن سلامة القُضَاعيّ، المتوفى سنة ٤٥٤هـ. نقل منه في موضعين(١٥٤).

٩٤- المُسْهِبُ في فضائل المغرب(١٥٥) لأبي محمد عبدالله(١٥٦) بن إبراهيم الحِجَاري الأندلسي، المتوفى بعد سنة ٥٣٠هـ. وهذا الكتاب هو أصل كتاب بني سعيد: المُغْرب في حُلَى المغرب. أخذه الجدُّ

فاختصره وزاد فيه، وتتابع ابنه وحفيده عليه. وهو من الكتب المفقودة، وقد كان موجوداً في زمن المقري، ذكره ونقل منه في نفح الطيب(١٥٧). وصُحِّفَ الاسم في طبعات التحفة إلى الحجازي. نقل منه التجاني في موضعين أطال في واحدٍ منها(١٥٨).

٩٥- المُصنَّف لأبي بكر عبدالرزاق بن همَّام الصَّنْعَانيّ، المتوفى سنة ٢١١هـ. نقل منه في موضع واحدٍ(١٥٩)، ولم ينص على اسم الكتاب ولكن مانقله موجود في المصنف(١٦٠).

٩٦- المُصنف لأبي سفيان وكَيْع بن الجراح الرُّؤَاسيّ، المتوفى سنة ١٩٧هـ. وهو من كتب التراث المفقودة. نقل منه التجاني في أربعة مواضع(١٦١).

٩٧- المُظَفَّريّ، للمُظَفَّر محمد بن عبدالله التُّجَيْبِيّ الأندلسي صاحب بَطَلْيَوْس، وليها من سنة ٤٣٧هـ وحتى وفاته سنة ٤٦٠هـ(١٦٢). وهو كتاب عظيمُ القدرِ، ضخم الحجم، ويُسمَّى التذكرة. قال عنه ابن بسام(١٦٣): وله التصانيف الرائعة والتآليف الفائقة المترجم بالتذكرة المشتهر بالكتاب المظفري، في خمسين مجلداً. ويشتملُ على فنون وعلوم من مغازٍ وسير ومثل وخبر، وجميع مايختص بعلم الأدب... اهـ وهو مما فُقد من الكتب فلم يعد له أثرٌ. نقل منه التجاني في موضع واحدٍ(١٦٤).

٩٨- المُعْلِمُ بفوائد مسلم لأبي عبدالله محمد بن علي ابن إبراهيم المَازِرِيّ التَّميمي، المتوفى سنة ٥٣٦هـ. وهو شرحٌ لصحيح مسلم لم يتمه. ولعله أول شرح لصحيح مسلم. طبع محققاً في تونس سنة ١٩٨٨م حققه محمد الشاذلي النيفر. نقل منه التجاني في ثمانية مواضع(١٦٥). وهو في الغالب مايورد شرح المازريُّ للاحاديث، أو يعلق على كلامه، وقد يوازن بين قوله وقول القاضي عياض(١٦٦).

٩٩- مقامات الحريري لأبي محمد القاسم بن علي الحَرِيْرَيّ البصريّ، المتوفى سنة ٥١٦هـ. نقل منها في خمسةِ مواضع(١٦٧)، يورد مناطق الاستشهاد من المقامات.

١٠٠- المُقتبس في أخبار الأندلس لأبي مروان حيَّان بن خلف الأُمويّ الأندلسي، المتوفى سنة ٤٦٩هـ. طبع الجزء الأكبر منه مشتتاً، ولعله فُقد منه اليسير(١٦٨). نقل منه التجاني في موضع واحد(١٦٩).

١٠١- المُقْتطف من أزهار الطُّرَف لأبي الحسن علي بن موسى بن سَعيد الأندلسي، المتوفى سنة ٦٨٥هـ. طُبع محققاً في القاهرة ١٩٨٣هـ بتحقيق: سيد حنفي حسنين. ونقل منه التجاني في موضع واحد(١٧٠).

١٠٢- مناقب عمر بن الخطاب لأبي الفرج عبدالرحمن ابن علي بن الجوزي البغدادي المتوفى ٥٩٧هـ سماه أخبار عمر بن الخطاب، ونقل منه في ثلاثة مواضع، قدم لها بذكر الكتاب ومصنفه(١٧١).

١٠٣- المُنْتَخَب من مُسند عَبْد بن حُمَيْد، أبومحمد عبد ابن حميد الكِسِّيّ، المتوفى سنة ٢٤٩هـ. لم ينص التجاني على النقل منه، لكنه أورد حديثاً أسنده لابن أبي شيبة(١٧٢)، وهو من رواية عبد بن حميد عن ابن أبي شيبة في المنتخب(١٧٣)، ولم أعثر عليه من طريق ابن أبي شيبة إلا في منتخب عبد بن حميد، فجعلته مدار النقل.

١٠٤- المَنْصُوْرَيّ لأبي بكر محمد بن زكرياء الرَّازِيّ، المتوفى سنة ٣٢٠هـ. وهو كتاب في الطب. طُبعَ طبعة أوروبية قديمة، ثم طبعه معهد المخطوطات العربية

بالكويت سنة ١٩٧٨هـ، بتحقيق: حازم البكري. نقل منه التجاني ثلاث فقرات، واحدةً اسندها إلى جالينوس الطبيب الإغريقي[١٧٤].

١٠٥- المَوَاعَيْنَي في بعض تواليفه. أبوالقاسم محمد بن إبراهيم المواعيني الأندلسي، المتوفى سنة ٥٦٤هـ. ذكر لسان الدين بن الخطيب عدة كتب له[١٧٥]، ولم أعثر على واحد منها مطبوعاً أو مخطوطاً. نقل منها التجاني في موضع واحد[١٧٦].

١٠٦- المُؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمديّ، المتوفى سنة ٣٧٠هـ. نقل منه في موضعين سماه أولاً معجم الشعراء[١٧٧] ثم سماه باسمه الصحيح[١٧٨].

١٠٧- الموطأ لأبي محمد مالك بن أنس الأَصْحَبي، المتوفى سنة ١٧٩هـ، نقل منه في موضع واحد[١٧٩]، قدم له قائلاً: مالك عن ... والحديث بالسند والمتن في الموطأ[١٨٠].

١٠٨- المُوَفَقِيَّاتُ لأبي عبدالله الزُّبير بن بكّار الزبيري المدني، المتوفى سنة ٢٥٦هـ، بقي منها أربعة أجزاء من تسعة عشر جزءاً. نقلَ منها التجاني في ثلاثة عشر موضعاً[١٨١]، منها ثلاثة نقول فيها طول[١٨٢]. كما نقل عن الزبير في موضعين آخرين[١٨٣]، لم ينصّ فيهما على الموفقيات، ولما كان الجزء الأكبر من الموفقيات مفقوداً فلعل هذين النقلين من الجزء المفقود من الموفقيات.

١٠٩- كتاب النَّبات لأبي حنيفة أحمد بن داود الدِّيْنُوَرِيّ، المتوفى سنة ٢٨٢هـ، يقع الكتابُ في ستة أجزاء، بقي منه الجزءان الثالث والخامس، وطبعاً بتحقيق المستشرق برنهارد لفين. نقل منه في موضع واحد[١٨٤]، وهذا النقل من الأجزاء المفقودة من الكتاب «النخل».

١١٠- نَثْرُ الدُّرّ لأبي سعد منصور بن الحسين الآبَيّ، المتوفى سنة ٤١٢هـ، مطبوع في سبعة أجزاء. نقل منه في سبعة مواضع[١٨٥].

١١١- النُّزهةُ مع الأخوان لأبي محمد الحسن بن علي ابن وَكِيع الضَّبّيّ التِّنِّيسَيّ، المتوفى سنة ٣٩٣هـ، توجد من النُّزهة نسخةٌ خطيةٌ يتيمةٌ محفوظةٌ في المكتبة العَاشُورَيَّة بتونس[١٨٦]. نقل منه التجاني في موضع واحد[١٨٧].

١١٢- النُّكَتُ على كتاب الكامل للمُبرَّد لأبي هشام بن الوليد بن أحمد الوَقْشَيّ الأندلسي، المتوفى سنة ٤٨٩هـ. سماه التجاني بالطُّرَر. وقد وصل إلينا كتاب النكت مُدمجاً مع كتبٍ أخرى علقت على كامل المبرد، جمعها ابن سعد الخير الأندلسي (ت ٥٧١هـ) في كتاب واحد، وسمّاه بالقُرْطِ على كتاب الكامل، طبع بتحقيق ظهور أحمد في باكستان سنة ١٤٠١هـ. نقل منه التجاني في موضع واحد[١٨٨].

١١٣- كتاب النساء لأبي بكر بن شبل. لم أهتدِ لمؤلف هذا الكتاب، ولا إلى كتابه. نقل منه في موضع واحد[١٨٩].

١١٤- النَّظرُ في أحكام النظر بحاسة البصر لأبي الحسن علي بن محمد الكتامي الفاسي المعروف بابن القطان، المتوفى سنة ٦٢١هـ كتاب معروف، طبع عدة مرات. نقل منه في ثلاثة عشر موضعاً[١٩٠]، وقد توسع من النقل منه على صغر حجم الكتاب. وقد أطال في موضعين من النقل[١٩١].

١١٥- النَّقَائِضُ لأبي عُبَيدة مَعْمر بن المُثَنَّى التَّيمي، المتوفى سنة ٢١١هـ. سمّاه أولاً أبا عثمان سبقة

قلم منه[١٩٢]. والاقتباسُ موجود في النقائض لأبي عبيدة[١٩٣]، مما يصحح نسبة النقل، وفي الموضع الثاني[١٩٤] جاء على الصواب.

١١٦- نُقَطُ العروس في تواريخ الخلفاء لأبي محمد علي ابن أحمد بن حزم الأندلسي، المتوفى سنة ٤٥٦هـ وهي رسالةٌ صغيرةٌ، حققها إحسان عباس، وطُبعت في الجزء الثاني من رسائل ابن حزم. نقل منها التجاني في موضعين[١٩٥].

١١٧- نُوْرُ الطُرف ونَوْرُ الظُرَف لأبي إسحاق إبراهيم ابن علي الحَصْري القيرواني، المتوفى سنة ٤١٣هـ ويُسمَّى اختصاراً بالنُّوْرَيْن[١٩٦]. طُبع محققاً بقلم لينة أبوصالح، في بيروت سنة ١٤١٦هـ. نقل منه التجاني في خمسة مواضع بثلاثة أسماء: نور الطرف[١٩٧]، النورين[١٩٨]، النُّور والنُّور[١٩٩].

١١٨- واجب الأدب لأبي عِمْران موسى بن محمد ابن سَعيد الأندلسيّ، المتوفى سنة ٦٤٠هـ. وكتابه هذا مفقودٌ. قال عنه ابنُ مصنفه محمد بن موسى[٢٠٠]: وكتاب واجب الأدب لوالدي موسى ابن محمد بن سعيد، اسمُهُ يُغْني عن المراد به. اهـ وأكثر الابنُ النقل منه في كتابه «نشوة الطرب». أما التجاني فنقل منه في موضع واحد[٢٠١]. ولم يذكر مؤلفه.

١١٩- الوَفَا ببيانِ فوائد الشِّفَا، للمؤلف. لايزالُ حَبِيْسَ خزائنِ المخطوطات. أشار إليه، وأحال إليه في موضعين من التحفة[٢٠٢].

١٢٠- الهداية في بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره لأبي محمد مكيٍّ بن أبي طالب القَيْسيّ الأندلسي، المتوفى سنة ٤٣٧هـ. لم ينص على كتابه ولكنه قال[٢٠٣]: وقال بعض المفسرين. اهـ وما أثبته هو بعينه ما ساقه مكيٌّ في تفسيره[٢٠٤].

١٢١- يَتِيْمَةُ الدَّهر في محاسن أهل العصر لأبي منصور عبدالملك بن إسماعيل الثعالبي، المتوفى سنة ٤٢٩هـ. نقل منه التجاني في سبعة مواضع[٢٠٥].

فهذا ماوقفت عليه من الموارد التي اعتمد عليها التجاني في كتابه الحافل تحفة العروس. ونكمل هذا العمل بتفصيلِ تلك الموارد حسب فنونها، وأصقاعها، وما فُقِدَ و نجامنها من عَوادي الزمان، حتى يستحيل الهلالُ بدراً، يضيء لنا منار طريق أبي عبدالله التجاني وموارده.

فعندما نعرِّجُ على تلك الموارِدِ المُشْرَعَة ونُقَسِّمَها على الفنون نجد أنها اشتملت على مايلي:

- تفسير القرآن الكريم: كتابٌ واحدٌ، بما نسبته ٠٨٪.
- الحديث وعلومه:٢٥ كتاباً، بما نسبته ٦، ٢٠٪.
- الفقه: أربعة كتب، بما نسبته ٣,٣٪.
- السيرة النبوية: ثلاثة كتب، بما نسبته ٥,٢٪.
- اللغة : سبعة كتب، بما نسبته ٧، ٥٪.
- الأدب والأخبار: ٣٦ كتاباً، بما نسبته ٣٠٪.
- الاختيارات الشعرية وشروحها والدواوين: خمسة كتب، بما نسبته ٤٪.
- التراجم العامة: تسعة كتب، بما نسبته ٥,٧٪.
- تراجم الشعراء: ثمانية كتب، بما نسبته٣، ٧ ٪.
- التاريخ: عشرة كتب ، بما نسبته ٨٪.
- الأنساب: كتابان ، بما نسبته٦, ١٪.
- كتب التربية والزهد والرقائق: كتاب واحد، بما نسبته ٠٨٪.
- الطب: كتاب واحد، بما نسبته ٠٨٪.

- العلوم الطبيعية: كتاب واحد، بما نسبته ٠٨٪.

- مجهولة التصنيف: سبعة كتب، بما نسبته ٥,٧٪.

ونلحظ مما سبق أن كتاب التحفة ليس كتاب سمر ولهو، بل هو كتاب علم ونظر، كما ذكر ذلك مصنفه[٢٠٢]. لأجل هذا مثّلت كتبُ العلوم الشرعية رُبْعَ موارده، وجاءت كتب الأدب واللغة في منزلة عُليا، فقد كوّن تقريبا من نصف موارد الكتاب تقريباً، وكان لكتب التاريخ والتراجم والأنساب نصيبٌ وافر. كما لم يخل الكتاب من الاستفادة والاستزادة من كتب الطب والعلوم الطبيعية. كل ذلك يحقق صدق مقولة المصنف بأنه كتاب علم ونظر. ويحقق تكامل العلوم. وأن كتب التراث العربي تحقق تكاملاً بين الفنون، وتمازج فيما بينها، وتخلق منها وحدةً متجانسة لاتنفر منها الأذواق، ولاتمجها الآذان. ويدلُ كذلك على أن الفقيه الحقّ هو من يُلِمَّ بأطراف العلوم، ولايجد حرجاً من تناول بعض ما يراه المُتعالِمونَ خطأً وزللاً.

ونجد من المُستحسن أن نحيطَ بموارد التجاني في التحفة من ناحيةِ البلدان التي هي مهدُ تلك الموارد، حتى نتبيَّنَ شغفَ أهل العلم بالكتاب، وأنهم لاتعُوقُهم المسافاتُ والمفاوزُ عن اقتناء كل مايُثري علمهم، ويوسّع مداركهم. فهم شَغُوفُوْنَ بتتبّعها، حريصونَ على تملكها. وأن أسفار العلم تنتقل بين بلدان الإسلام، فما نجدهُ عند المشارقة نجده عند المغاربة والعكس صحيح. وعندما نقسمها هذا التقسيم نجدها تأتي على النحو التالي:

- كتب المشرق الإسلامي[٢٠٣] ٦٩ كتاباً بما نسبته ٥٧٪.

- كتب الأندلس ٣٤ كتاباً بما نسبته ٢٨٪.

- كتب المغرب العربي ١١ كتاباً بما نسبته ٩٪.

- كتب لايمكن تصنيفها ٧ كتب بما نسبته ٦٪.

ونلحظ من هذه القائمة أن أثر الأندلسِ كبيرٌ في ثقافة التجاني وموارده، فعلى الرغم من صغر مساحتها، وقلّةِ أهلها إلاّ أنها استحوذت على ربع موارد التجاني. ولو قارناها بأمصار المشرق مفرقة لم نجد من يفوقها، أما المغرب العربي فلم يكن قد نَجَمَ قرنُهُ في دنيا العلم - إلا بعد هجرات الأندلسيين في القرن السادس والسابع الهجريين - لذلك كان أثرُهُ ضعيفاً في مواردِ التحفة. وتبرز تونس بشكل أكبر من غيرها في الفترات السابقة. وفي هذه الإلماحة برهانٌ ناصعٌ على أن كتبَ المشرق كانت تصل إلى بلاد المغرب العربي بكل سهولة ويسر. فهاهي بين يدي التجاني رغم بعد الشُّقّةِ وترامي المسافات.

ويجدر بنا أن نُلمَّ إلمامَةً سريعةً بالموارد التي ماتزال بين أيدينا، وتلك الأخرى التي ضاعت في مجاهل الجهل الذي ران زمناً طويلاً على الأُمة العربية، فلم نجد لها أثراً إلاّ في تلك الكتب نتلَّمسُ بقاياها ونترسم خُطَاهَا:

- كتبٌ مفقودةٌ، وعددُهاسبعٌ وعشرون كتاباً، بما نسبتُه ٢٢,٥٪.

- كتب مفقودة جزئياً، وعددها خمسة كتب، بما نسبته٤٪.

- كتب مجهولة لم يتم التأكد بشأنها، وعددها أربعة كتب، بما نسبته ٣,٣٪.

- كتبٌ موجودةٌ، مطبوعةٌ أومخطوطةٌ، وعددها خمسةٌ وثمانون كتاباً بما نسبته ٧٠٪.

وبهذا نعرف أن مايقرب من ثلاثة أرباع الموارد التي رجع إليها التجاني هي بين أيدينا الآن ، فيما فقدنا عدداً كبيراً من الكتب ليس لها وجود الآن، بالإضافة إلى كتب فُقدت أجزاءٌ منها. وفي نظري أن السبب في ذلك تأخر زمن التجاني، فلو تقدم به الزمن لوجدنا عكس ذلك.

ولو أردنا أن نعرف أي القرون كان أغزر مادة وأكثر تصنيفاً حسب موارد التجاني نجد أنها تأتي على الترتيب التالي:

- القرن الثاني: خمس كتبٍ. بما نسبته ٤٪.
- القرن الثالث: ثمانٌ وعشرون كتاباً، بما نسبته ٣٢٪.
- القرن الرابع: ثلاثٌ وعشرون كتاباً، بما نسبته ١٩٪.
- القرن الخامس: واحدٌ وعشرون كتاباً، بما نسبته ١٧، ٣٪.
- القرن السادس: إثنان وعشرون كتاباً، بما نسبته ١٨٪.
- القرن السابع: ثلاثة عشر كتاباً، بما نسبته ١٠، ٧٪.
- القرن الثامن: كتابان، بما نسبته ١، ٦٪.
- كتبٌ مجهولة الزمن: سبعةُ كتبٍ، بما نسبته ٥، ٨٪.

ونلحظ أن القرن الثالث هو أغزر القرون موارداً للتجاني في كتابه التحفة، ولا غرو في هذا، فهو عصر تدوين المرويات، وفيه كثر المصنفون والأدباء والمفكرون. ثم يليه القرن الرابع وهو عصر متصلٌ بالقرن الذي قبله، برز فيه كثيرٌ من جهابذه التصنيف والرواية. ثم القرن السادس والذي برز فيه بعض المصنفين الكبار، كابن الجوزي، والذي اتكأ التجاني على عدة كتب له لعل أبرزها أخبار النساء. ويأتي القرن الخامس كذلك قريباً من القرون التي سبقته. أما القرن السابع والثامن فهما قرني المصنف ولعل مسيرَ الكتب بين الخافقين كان وئيد الخطى فلم يصل إلى المصنف من موارده إلا خمسة عشر كتاباً.

وفي الختام أدعو الله العلي القدير أن تكون هذه الإضاءة قد حققت ما أصبو إليه، من التعريف بجانب من جوانب التراث العربي، والمغربي خاصة، وأن تتبعها دراسات تفيدنا بما نجهل وتهدينا لما غاب عنا.

الهوامش

(١) ومن الأمثلة على ذلك في زمننا المعاصر ماقام به العلامة الطيب بن عاشور حينما وقف على تحقيق ديوان بشار بن برد رغم ما فيه من غزل فاضح وهجاء قبيح.

(٢) عيون الأخبار، ابن قتيبة الدينوري؛ تحقيق ١/ ٤٤.

(٣) من ذلك ماقام به ابن قدامة المقدسي ٦٣٠هـ فقد أخذ جل مادة كتابه «التبيين في أنساب القرشيين» من كتاب الزبير بن بكار «جمهرة نسب قريش وأخبارها» وتجاوزه وهو يترجم لأعلام القرشيين علماً بأنه ترجم لمن لايُعرف إلا من طريق الزبير.

(٤) جل ما أثبته في هذه الترجمة مستفاد من الترجمة الضافية التي قدم بها العلامة حسن حسني عبدالوهاب لرحلة التجاني، تونس ١٩٨١م. وقد ترجم له الزركلي في الأعلام في موضعين الأول في ٤/ ١٢٥ وسماه عبدالله بن محمد، والموضع الثاني في ٥/ ٣٢٤ وسماه محمد بن أحمد وذلك لاختلاف الاسم والوفاة بين المصادر التي نقل منها.

(٥) نقل ابن حجر عن ابن رشيد قصيدة له عارض بها قصيدة الفرج لأبي الفضل الأنباري ومطلعها:

لا بُدَّ لضيقٍ من فرجٍ بخواطرِ همّ لا تهجِ

المعجم المفهرس، لابن حجر العسقلاني؛ تحقيق محمد شكور الميادين، بيروت ١٤١٨هـ، ص ٤١٤.

(٦) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة ٠- بيروت، ١٤١٠هـ، ١٠٥٥/٢.

(٧) توجد نسخة خطية منه في معهد البيروني بطاشكند بأزوبكستان.

(٨) ترجم له في :الإحاطة بأخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب؛ تحقيق محمد عنان ٠- القاهرة، ١٣٩٤هـ، وأطال ٢٣٩/٢-٢٤٩

(٩) منه قطعة في تعادل نصف الكتاب في مكتبة جامع الزيتونة، ذكر ذلك حسن حسني في مقدمة رحلة التجاني، ونسخة أخرى لعلها كاملة في مكتبة جامع عبدالله بن العباس في الطائف.

(١٠) تحفة العروس ومتعة النفوس؛ تحقيق جليل العطية٠- لندن، ١٩٩٢م، ص ٣٤٦.

(١١) التحفة ٢٣٢.

(١٢) التحفة ٢٩، ٣٠، ٤٧، ٤٨، ٥١، ٨٩، ١٥٣، ٢٠١.

(١٣) التحفة ٦٠، ٤١٨.

(١٤) التحفة ١٨٦، ٢٣٥.

(١٥) قال في رحلته ص٩: ..مما وقفنا عليه من نسخ الأحكام.اهـ

(١٦) التحفة ٨٩، ٩٠، ٩٢، ٩٥.

(١٧) التحفة٩٠-٩١.

(١٨) التحفة٥٢، ٦٢، ٧٤، ٨١، ١٠٠، ١٢٠، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٥١، ١٥٧، ١٦٢، ١٦٧، ٢٠٣، ٢٣٤، ٢٤٤، ٣٦٢، ٣٩٤، ٣٩٥.

(١٩) التحفة ١٥٧-١٦٣.

(٢٠) التحفة ٣٣٤.

(٢١) التحفة٢٠٧.

(٢٢) لم يبين التجاني من أبوالفرج هذا فيكفينا مؤونة التخمين. وقد ذهب جليل العطية في مقدمة تحقيقه لتحفة العروس ١٨-١٩ أن مؤلفه هو ابن الجوزي وساق مايدعم ذلك وهو رأي راجح لم أجد ماينفيه أو يضعفه فأخذت به حتى يجلو اليقين ظلمة الشك.

(٢٣) التحفة٢٣٤.

(٢٤) التحفة ٣٣، ٣٩، ٤١، ٤٤، ٤٦، ٩٤، ٩٦، ١٠٠، ١٢٢، ١٢٩، ١٣٣، ١٣٧، ١٤٥، ١٤٦، ١٥١، ١٦٥، ١٧٤، ١٧٦، ١٩١، ١٩٤، ١٩٨، ٢١٧، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٤١، ٢٦٤، ٢٧١، ٢٨٤، ٢٩٦، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٨، ٣٣٣، ٣٥٢، ٣٨٨، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦

(٢٥) التحفة١٧٦-١٨١، ١٩٤-١٩٥.

(٢٦) التحفة٢٤١.

(٢٧) التحفة ٣٢.

(٢٨) التحفة ٢٧٦، ٣٣٤، ٣٦٩.

(٢٩) التحفة ٣٤١-٣٤٢.

(٣٠) التحفة ١٣٢، ١٣٩، ١٤٠، ١٧٤، ١٨١، ١٨٦، ١٨٧، ٢٠٢، ٢٣٤، ٢٣٥، ٣٥٩، ٣٩٠.

(٣١) التحفة ٢٣٤.

(٣٢) التحفة ١٨١.

(٣٣) التحفة ٣٤، ١٣٧، ١٤٨، ٢٠٦، ٢٨٧، ٣٤٦، ٤٢٠، ٤٤٠.

(٣٤) التحفة ٤٠٩، ٤٢١.

(٣٥) التحفة ٣٦٩.

(٣٦) التحفة ٤١٠.

(٣٧) التحفة ٤٩، ٦٦، ٦٨، ٧٣، ٧٦، ٩٦، ٩٧، ١٠٥، ١٢٢، ١٩٤، ١٩٦، ٢٠٥، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٥، ٢١٦، ٢٢٦، ٢٦٢، ٢٧٧، ٢٨٧، ٢٩٩، ٣٣٩، ٣٤٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٣، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٨، ٣٧٥، ٤١٤، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢٢، ٤٢٤، ٤٢٨، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤١، ٤٤٥.

(٣٨) التحفة ٦٦-٦٨، ٢٦٠-٢٦٢، ٣٦٢-٣٦٥، ٤١٩-٤٢٠، ٤٣٨-٤٣٩.

(٣٩) التحفة ٧١، ٣٦٧، ٣٧١.

(٤٠) التحفة ١٦٧، ٣٠٩، ٣١٠، ٣٢٦، ٣٣٣، ٣٥٠، ٤١٠، ٤١١، ٤١٤، ٤١٥.

(٤١) التحفة ٤١١-٤١٣.

(٤٢) التحفة ١٤٢- ١٤٣، ١٨٤، ٣٣٥، ٣٥٩.

(٤٣) التحفة ١٦٩، ١٧٦-١٨٠، ٤٠٣.

(٤٤) التحفة ٣٦، ٥٤، ٥٦، ٥٧، ٦٢، ٩١، ٩٢، ١٠٢، ١٠٧، ١١٤، ١١٥، ١٢٥، ١٣٦، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ٢٨٥، ٢٨٧، ٣٩١، ٤٠٤.

(٤٥) التحفة ٥٤.

(٤٦) التحفة ١٩٢، ١٩٣.

(٤٧) التحفة٤٣، ٦٥، ٦٦، ١٤٨، ١٩٤، ٢٠٢، ٢٢٦، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٧٢، ٢٧٤، ٢٩٣، ٢٩٨، ٣١٥، ٣٣٢، ٣٨١، ٤١٦، ٤١٧، ٤٤٢.

(٤٨) الفهرست، محمد بن إسحاق النديم؛ تحقيق رضا تجدد، طهران ١٩٧١م، ص ١٥٤، معجم الأدباء، ياقوت بن عبدالله الحموي؛ تحقيق إحسان عباس٠- بيروت، ١٤١٤هـ، ٣/ ١٢٢٠.

(٤٩) التحفة ١٥٤.

(٥٠) التحفة ٣٢، ٨٠، ١٣٢، ١٨٦، ٢٤٥، ٣٩٣، ٤١٨.

(٥١) التحفة ٣٢، ٨٠.

(٥٢) التحفة ٦٤، ٦٨، ١٧١، ١٨٤، ٢٠٨، ٣١٩، ٣٥٨

(٥٣) التحفة ١٠٤، ٤٣٧.

(٥٤) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المَقّريّ؛ تحقيق إحسان عباس٠- بيروت، ١٤٠٨هـ، ٤/ ١٧٨.

(٥٥) التحفة ٢٠٧، ٤٥٦.

(٥٦) التحفة ٤٠٠.

(٥٧) التحفة ٤٤٧-٤٤٩.

(٥٨) التحفة ٣٤٧.

(٥٩) الفهرست ١٧٠.

(٦٠) التحفة ٤٣٤.

(٦١) التحفة ٣٦٦.

(٦٢) التحفة ٣١، ٣٥، ٤٢، ٥٥، ٥٩، ٩٤، ١٠٠، ١٠١، ١٠٧، ١١٤، ١٥٤، ١٥٦، ١٦٢، ١٦٥، ١٨٩، ٢٠١، ٤٥٤، ٣٥٨، ٣٦٩، ٣٨٨، ٣٩٤.

(٦٣) التحفة ٣٢، ٣٦، ٣٩، ٥٦، ٥٨، ٦١، ٧٩، ٩٣، ٩٥، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٧، ١١٤، ١٢٥، ١٥٤، ١٦٤، ١٨٩، ٢٥٦، ٣٤٩، ٣٥٧، ٣٩٣، ٤٠٣، ٤٠٥.

(٦٤) التحفة ٦١.

(٦٥) الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم، الهند ١٣٧١هـ، ٣/ ٨٤.

(٦٦) أحكام القرآن، أبوبكر بن العربي؛ تحقيق محمد عطا ٠- بيروت، ١٤١٦هـ، ١/ ٢٣٨.

(٦٧) التحفة ٢٨٥.

(٦٨) أحكام القرآن ١/ ٢٣٨.

(٦٩) التحفة ١٢٩، ١٦٧، ١٦٨، ٢١٤، ٢٥٣، ٣٠٢، ٣٧٧، ٤٤٦.

(٧٠) التحفة ٤١٧.

(٧١) التحفة ٢٨٧.

(٧٢) التحفة ٢٢١.

(٧٣) التحفة ١٣٩، ٢٠٦، ٢٣٩، ٣١٥، ٣٢٠، ٣٢٣، ٣٣٢.

(٧٤) رحلة التجاني ٥٢.

(٧٥) التحفة ٤٥٠.

(٧٦) التحفة ٢٨٠، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٠٦، ٣١٥، ٣٤٨، ٣٨٣

(٧٧) التحفة ٤٢٤.

(٧٨) التحفة ٢٥٧، ٣٩٩، ٤٠٩.

(٧٩) التحفة ٣٩٩-٤٠٠.

(٨٠) التحفة ١٣٤، ٣٢٨، ٣٢٩.

(٨١) التحفة ١٢١.

(٨٢) التحفة ٢٠٩، ٢٢٨، ٢٧٤، ٢٩٢، ٣٨٩، ٤٥٣.

(٨٣) التحفة ٥٤٣-٥٥٥.

(٨٤) التحفة ٤٥٤.

(٨٥) التحفة ٢٥٧، ٣٠٣.

(٨٦) التحفة٣٧٤ .

(٨٧) روضة الأزهار وبهجة النفوس، منسوبة للحسن بن علي الأموي القرطبي، مصورة النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة شستربتي بدبلن بإرلندا، ص ٣٧أ.

(٨٨) التحفة ٤٣٤، ٤٣٨، ٤٤١.

(٨٩) التحفة ٢٩١، ٣١٣، ٣٢٧.

(٩٠) التحفة ٤٦، ٤٧، ١٣٨، ١٨٣، ١٩٥، ٢٣٢، ٢٤٨، ٢٦٦، ٢٩٠، ٢٩٦.

(٩١) التحفة ٢٣٢-٢٣٣، ٢٤٨-٢٤٩.

(٩٢) التحفة ٢٩٨، ٢٩٩، ٣١٦.

(٩٣) التحفة ٧٦، ٢٢٢، ٢٦٧، ٢٦٨، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٨، ٣٨٠، ٣٨٨، ٤١٥، ٤٢٧.

(٩٤) التحفة ٣٨٠-٣٨١.

(٩٥) التحفة ١١٥، ١٥٤، ١٥٥، ١٦٢، ٢٢٢، ٣٤٤.

(٩٦) التحفة ٥١، ٧٠، ٨٠، ١٠٨، ١٢١، ١٢٦، ١٣٢، ١٣٥، ١٤٢، ١٥٦، ١٦٢، ١٦٤، ١٧٣، ١٩٧، ٢١٣، ٢٥٦، ٤١٨.

(٩٧) التحفة ٦١.

(٩٨) التحفة ٥٢، ٥٨، ٦٣، ٧٠، ٧٩، ١١٥، ١٢٣، ١٣٣، ١٤٩، ١٦٥، ٣٨١، ٣٨٨، ٤٠٥.

(٩٩) التحفة ٣١٥.

(١٠٠) التحفة ٣٦٨.

(١٠١) فهرست ابن خير الإشبيلي، عناية: فرنسشكة قداره وخليان ربارة، أسبانيا ١٨٩٣م، ص ٣٨٨

(١٠٢) شروح حماسة أبي تمام، محمد عثمان علي، بيروت. وقد جمع منها ٣٩ شرحاً ٧٣-٨٧.

(١٠٣) حماسة أبي تمام وشروحها، عبدالله عسيلان ٠- القاهرة، ١٩٨٧م، ص ٦٢-٦٧.

(١٠٤) التحفة ١٩٩، ٣١٦.

(١٠٥) التحفة ١٤٧، ٢٠٣، ٢٢٩، ٣٦٥، ٣٧٨، ٣٨٩، ٤٢٥.

(١٠٦) التحفة ٤٢٩.

(١٠٧) التحفة ٥٩، ٢٥٣، ٢٩٧، ٣٥٤، ٣٥٦، ٣٥٧.

(١٠٨) التحفة ٢٩٧.

(١٠٩) التحفة ٢١٧، ٢٧٨، ٣٠٤، ٣٢٨، ٤٢٧.

(١١٠) التحفة ٤٢٧.

(١١١) التحفة ٤٥٥.

(١١٢) إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، إسماعيل بن محمد الباباني البغدادي ٠- بيروت، ١٤٠٢هـ ٢/٧٦.

(١١٣) التحفة ٤٢١، ٤٤٥-٤٤٦.

(١١٤) نفح الطيب ١/١٩٠، ٢/٢٧١، ٣/٣٣٦، ١٧٨، ٢٩٦، ٥/٥٣٥

(١١٥) التحفة ٤٥٦.

(١١٦) هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، إسماعيل بن محمد الباباني البغدادي، بيروت ١٤٠٢هـ، ١/٧٧٩، والبدليسي نسبة لبلدة من بلدان أرمينية تسمى بلديس، انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي ٠- بيروت، ١/٣٥٨ ، وهي اليوم تسمى تبليسي عاصمة دولة جورجيا.

(١١٧) التحفة ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٣٦، ٢١٤.

(١١٨) التحفة ٤٣٢.

(١١٩) التحفة ٢٠٤.

(١٢٠) التحفة ٢٥٢، ٣٩٣.

(١٢١) التحفة ٣١٢-٣١٣.

(١٢٢) التحفة ١٠١، ٣٣٤.

(١٢٣) التحفة ٩٤، ١٠١، ١٢٦، ١٣٥، ١٤٩، ١٦٤، ١٩٠، ١٩٧، ٢٠٢، ٢٢٧، ٢٤٢، ٢٧٥، ٣٦٦.

(١٢٤) التحفة ٣٥، ٦٣.

(١٢٥) التحفة ٤٤، ٧٤، ٢١٠، ٢٦٣، ٣٩٧، ٤٢٧، ٤٢٨.

(١٢٦) التحفة ٢٩٧-٣٩٩

(١٢٧) التحفة ١٩٩، ٢١٩، ٢٥٤، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٨٣، ٣٤٧، ٣٧١، ٣٩٠

(١٢٨) التحفة ٣٧٢.

(١٢٩) نسبة إلى بلدة «بنج ديه» من بلدان فارس، والنسبة إليها: الفنجديهي والبنديهي. انظر: وفيات الأعيان ٤/٣٩١ .

(١٣٠) التحفة ٤١٤.

(١٣١) وفيات الأعيان، ابن خلكان؛ تحقيق إحسان عباس ٠- بيروت، ١٣٩٧هـ ٤/٣٩١.

(١٣٢) التحفة ١٣٠، ١٦٩، ١٨١، ٢٤٦، ٣٦٢، ٤٢٥.

(١٣٣) التحفة ١٣٠-١٣١، ١٦٩-١٧٠، ٤٢٥-٤٢٦.

(١٣٤) التحفة ٨٤.

(١٣٥) فهرس ابن عطية؛ تحقيق محمد أبوالأجفان ومحمد الزاهي، بيروت ١٩٨٣م، ص ٨٧، سير أعلام النبلاء، الذهبي؛ تحقيق مجموعة من المحققين ·- بيروت، ١٤١٠هـ، ١٥/ ٤٧٣، فهرست ابن خير ١٢٤، ١٢٥.

(١٣٦) فصّل ذلك المحقق الثبت هلال ناجي في كتابه: محاضرات في تحقيق النصوص ٤٦-٥٠.

(١٣٧) التحفة ٤٠١-٤٠٢.

(١٣٨) التحفة ٢٦٨.

(١٣٩) التحفة ١٢٣.

(١٤٠) الكامل في الضعفاء، أبوأحمد بن عدي؛ تحقيق عادل عبدالموجود وعلي معوض ·- بيروت، ١٤١٤هـ، ٦/ ١٥٠.

(١٤١) التحفة ٦٦، ٩٤، ١٤٠، ١٤٧، ١٧٤، ١٧٥، ١٨١، ١٨٣، ١٨٥، ١٨٦، ٢٣٨، ٢٤٠، ٣٠٤، ٣٠٧، ٤١٧.

(١٤٢) التحفة ٢٤٧، ٤٢٣، ٤٤٢.

(١٤٣) التحفة ٤٤٢.

(١٤٤) التحفة ٣٣١.

(١٤٥) الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي؛ تحقيق أحمد الأرناؤوط وزكي مصطفى ·- بيروت، ١٤٢٠هـ، ٢٢/ ١٥٨.

(١٤٦) التحفة ٦٩، ٧٠، ١٧٥، ٣٢٨.

(١٤٧) التحفة ٩٦.

(١٤٨) مؤتلف القبائل ومختلفها، محمد بن حبيب البغدادي؛ تحقيق حمد الجاسر ·- الرياض، ١٤٠٠هـ.

(١٤٩) التحفة ٥١، ٩٧، ١٤١، ٣٣٩.

(١٥٠) التحفة ٣٣٩.

(١٥١) التحفة ٧١.

(١٥٢) مسند أبي حنيفة، برواية أبي محمد عبدالله بن محمد الحارثي (ت ٣٤٠هـ) ؛ تحقيق أبو محمد الأسيوطي ·- بيروت، ١٤٢٩هـ، ص ١٧٠-١٧١.

(١٥٣) التحفة ٣٣٦.

(١٥٤) التحفة ٦٤، ٢٤٤.

(١٥٥) وصفه المقري في نفح الطيب ٣/ ١٨٣، وسماه في موضع كما ذكرنا، وفي موضع آخر ٤/ ٧٦ سماه: المسهب في أخبار المغرب.

(١٥٦) وقع وهمٌ عند الدكتور شوقي ضيف في مقدمة تحقيقه لكتاب المُغرب، فقد سماه أباعبدالله محمد بن إبراهيم. وهو وَهْلٌ منه. انظر: نفح الطيب ٢/ ٣٢٩.

(١٥٧) نفح الطيب ١/ ٦٨٤، ٢/ ١٢٤، ٥٠٥ ومواضع أخرى كثيرة.

(١٥٨) التحفة ٣٢١، ٤٥١-٤٥٣.

(١٥٩) التحفة ٨٤ .

(١٦٠) المصنف، عبدالرزاق الصنعاني ؛ تحقيق حبيب الأعظمي ·- بيروت، ١٤٠٣هـ، ٦/ ١٦٣.

(١٦١) التحفة ٧١، ٨٥، ٨٦، ١٩٨.

(١٦٢) ترجمته في: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام الشنتمري؛ تحقيق إحسان عباس ·- بيروت، ١٤١٧هـ، ٤/ ٦٤٠.

(١٦٣) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ٤/ ٦٤٠، ونقله المقري في نفح الطيب ٣/ ٢٨٠.

(١٦٤) التحفة ٤٣٥.

(١٦٥) التحفة ٥٣، ٥٦، ٦٣، ١٠١، ١٨٩، ٢٥٧، ٣٨٦، ٣٩١.

(١٦٦) التحفة ٥٥.

(١٦٧) التحفة ٢٠٤، ٢٧٧، ٢٨٠، ٣٠١، ٣٨٩.

(١٦٨) المقتبس من أنباء أهل الأندلس؛ تحقيق محمود مكي ·- القاهرة، ١٤١٥هـ، ص ١١٧ ومابعدها.

(١٦٩) التحفة ٤٤٩.

(١٧٠) التحفة ٤٥٥.

(١٧١) التحفة ٢٠٧.

(١٧٢) التحفة ٨٤.

(١٧٣) المنتخب من مسند عبد بن حميد؛ تحقيق صبحي السامرائي ومحمد الصعيدي ·- بيروت، ١٤٠٨هـ، ص ٤٠٩.

(١٧٤) التحفة ٤٧، ٢٤٦، ٣٤٣.

(١٧٥) الإحاطـة في أخبـار غرناطة، ٢/٢٣٨ وذكـر منها: ريحان الآداب وريعان الشـباب، الوشاح المفضـل، الأمثال السائرة، وكتاب أدبي نحا فيه منحى ابن عبدالبر في بهجة المجالس.

(١٧٦) التحفة ١٤٩.

(١٧٧) التحفة ٣٦٤.

(١٧٨) التحفة ٤١٣.

(١٧٩) التحفة ٣٩-٤٠.

(١٨٠) الموطأ، مالك بن أنس؛ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ·- القاهرة، ١٣٧٢هـ، ص ٩٥٢.

(١٨١) التحفة ٦٨، ٩٠، ٩٤، ٩٦، ١١٦، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٨، ٢٥٩، ٣٦٠، ٣٩٦، ٤٠٦، ٤٣٣، ٤٣٧.

(١٨٢) التحفة ١١٦-١١٨، ١٦٥-١٦٧، ٢٥٩-٢٦٠.

(١٨٣) التحفة ٢٤٨، ٣٦٤.

(١٨٤) التحفة ٣٠٣.

(١٨٥) التحفة ١٤٠، ١٤٨، ١٩٢، ٣٦٥، ٣٧٦، ٣٧٨، ٤٠٥.

(١٨٦) ديوان ابن وكيع؛ جمعه وحققه هلال ناجي ·- القاهرة، ص١٣.

(١٨٧) التحفة ٤٢٧.

(١٨٨) التحفة ٩٤.

(١٨٩) التحفة ٣٨٥.

(١٩٠) التحفة ٨١-٨٧، ١١١، ١٨٧، ٣٣٥.

(١٩١) التحفة ٨٥-٨٦، ٣٣٥-٣٣٧.

(١٩٢) التحفة ١٢٧.

(١٩٣) النقائض لأبي عبيدة معمر بن المثنى؛ تحقيق محمد حور ووليد خالص ·- أبوظبي، ١٩٩٨م، ٣/٩٤٨.

(١٩٤) التحفة ٢٩٤.

(١٩٥) التحفة ١٨٤، ٤٤٣.

(١٩٦) الحصـري حياتـه وأدبـه لمحمـد الشـويعر ·- الرياض، ١٤٠٤هـ، ١/٩١-٩٢.

(١٩٧) التحفة ١٤٤، ٣٢٦، ٣٤٩.

(١٩٨) التحفة ٢٧٨.

(١٩٩) التحفة ٢١١.

(٢٠٠) نفح الطيب ٣/١٨٤.

(٢٠١) التحفة ٣٤.

(٢٠٢) التحفة ٥٩، ٣٥٥.

(٢٠٣) التحفة ٢٧١، ٢٨١، ٢٨٤، ٣٠٩، ٣٢٤، ٤٢٩، ٤٤٩.

(٢٠٤) التحفة ٢٨.

(٢٠٥) وهو القسم الأكبر من العالم الإسلامي فهو هنا يضم مصر وما جاء شرقها.

المراجعات

فوات معجم البلاغة العربية

أبو العيد الطاهر الفقهي

كلية الآداب - بني الوليد - ليبيا

كتاب معجم البلاغة العربية لعالم البلاغة العربية في العصر الحديث بدوي طبانة كتاب ضخم ومفيد للباحثين في علوم البلاغة العربية، جمع فيه مؤلفه كل مصطلحات علوم البلاغة العربية تقريباً، وقد أورد فيه في طبعته الأولى ٩٠٣ مفردات ثم زاد عليها مفردات أخرى في الطبعات التي تلتها، والطبعة الأخيرة التي اطلعت عليها هي الرابعة، وقد وصلت فيها المفردات إلى ٩٨١ مفردة.

طبع الكتاب في طبعته الأولى ضمن منشورات جامعة طرابلس في ليبيا في مجلدين كبيرين عام ١٩٧٥م ثم كانت الطبعة الرابعة وأظنها الأخيرة في مجلد واحد ضخم، وقد طبعت هذه الطبعة في المملكة العربية السعودية في دار المنارة للنشر والتوزيع بجدة ودار ابن حزم ببيروت الطبعة الرابعة ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

وهذا الكتاب هو الأول في ميدانه فليس هناك من علماء العربية من جمع كل مصطلحات البلاغة العربية في كتاب واحد قبل بدوي طبانة، فهو جهد كبير لملم فيه جهود العلماء السابقين في هذا الميدان الذين أتى فيه بعضهم بالبعض من هذه المصطلحات وأغفل البعض الآخر، وقد قال في طبعته الأولى: وبعد فهذا معجم البلاغة العربية يراه الناس للمرة الأولى وهو ينضم إلى ذلك التراث الخالد الذي خلفته الأمة العربية فملأت به الآفاق علماً ونوراً ويحتل منزلته بين نتاج الفكر الإنساني ليشهد لمبدعيه بالأصالة والقدرة على التصرف في فنون المعرفة والافتنان في الغوص على شواردها ونوادرها[1].

وقد ألف بعده أحمد مطلوب من العراق معجماً آخر في موضوعه سماه (معجم المصطلحات البلاغية وتطورها) وقد طبع هذا المعجم في طبعته الأولى عام ١٩٨٧م ضمن مطبوعات المجمع العلمي العراقي.

وقد سار بدوي طبانة في معجمه على ترتيب حروف المعجم من الهمزة إلى الياء ومراعاة الحروف

الأصلية دون الزوائد فمصطلح «تأتي الإنكار» مثلاً أورده في ترتيب حرف الهمزة ثم التاء «أتى» وهكذا بقية المواد .

ولكن يبقى هذا العمل الفريد والضخم كأي عمل بشري عرضة للنقص والهنات فقد فاتته مفردات كثيرة لم يوردها في هذا المعجم في طبعته الأولى استدركها في الطبعة الأخيرة ومع ذلك فقد فاتته مفردات أخرى لم يذكرها، ولعل ما فاته من مفردات لم يتأت له إحصاؤها بسبب ورودها في مؤلفات لم يطلع عليها أو ورودها في مؤلفات لم تطبع قبل تأليف الكتاب .

كما يؤخذ على صاحب المعجم أنه أكثر من الاستشهاد بالشعر دون الاستشهاد بالقرآن الكريم .

وسأسير في هذا المستدرك على نهج المؤلف في كتابه ولن ألتفت إلى ما كتبه أحد الباحثين عن هذا الكتاب في نقده ونقضه[٢]، فسأسير على منهج المؤلف في إيراد المصطلحات الجزئية والكلية فيمكن إيراد مصطلح الحذف وهو مصطلح كلي وإيراد الحذف المقابلي وهو مصطلح جزئي، كما أني سأسير على منهجه في إيراد كل المصطلحات التي تخدم البلاغة العربية دون اعتبار لما أورده صاحب النقد والنقض من أن بعض ما أورده بدوي طبانة في معجمه ليس من البلاغة مما يتعلق بالشعر أو الأدب أو المنطق[٣].

هذا مع مراعاة الإيجاز والاختصار بقدر الإمكان فالإطناب فيه قد يستغرق كتاباً كبيراً .

وها هي ذي المواد التي فاتته مرتبة بحسب ترتيب حروف المعجم :

١ - المؤاخاة بين المباني:

أورد المؤلف مصطلح المؤاخاة هكذا مجرداً ولكنه اقتصر على المؤاخاة بين المعاني باختصار مقتصراً على مثال واحد من شعر ذي الرمة عن السبكي في عروس الأفراح، ولم يذكر المؤاخاة بين المباني، وقد قسم العلماء المؤاخاة إلى هذين القسمين، ولكن المؤلف أهمل القسم الثاني، قال ابن الأثير بعد أن أورد القسم الأول : وأما المؤاخاة بين المباني فإنه يتعلق بمباني الألفاظ، فمن ذلك قول أبي تمام في وصف الرماح :

مثقفات سلبن العرب سمرتها
والروم زرقتها والعاشق القضفا

فقد قال : العرب والروم ثم قال العاشق ولو صح أن يقول العشاق لكان أحسن إذ كانت الأوصاف تجري على نهج واحد، وكذلك قوله : سمرتها وزرقتها ثم قال القضفا وكان ينبغي أن يقول قضفها أو دقتها.

وقال أبو نواس :

صفراء مجدها مرازبها
جلت عن النظراء والمثل

فجمع وأفرد في معنى واحد وهو أنه قال النظراء مجموعاً ثم قال المثل مفرداً وكان الأحسن أن يقول النظير والمثل أو النظراء والأمثال، وقد اعتبر ابن الأثير المؤاخاة ضرباً من المقابلة ولكن بعنوان مقابلة الشيء بما ليس ضده[٤].

٢ - الأوابد:

قال ابن رشيق : الأوابد من الشعر الأبيات السائرة كالأمثال، وأكثر ما تستعمل الأوابد في الهجاء، يقال: رماه بآبدة فتكون الآبدة هنا الداهية قال الجاحظ : الأوابد الدواهي ومنه أوابد الشعر، والأوابد الإبل التي تتوحش فلا يقدر عليها إلا بالعقر والأوابد الطير التي تقيم صيفاً وشتاء والأوابد الوحش، فإذا حملت أبيات الشعر على

ما قال الجاحظ كانت المعاني السائرة كالإبل الشاردة المتوحشة وإن شئت المقيمة على من قيلت فيه لا تفارقه كإقامة الطير التي ليست بقواطع وإن شئت قلت : إنها في بعدها من الشعراء وامتناعها عليهم كالوحش في نفارها من الناس[٥].

٣ - الائتلاف والملاءمة

أورد صاحب الطراز في بيان ما يتعلق بالفصاحة المعنوية عشرة أضرب أوردها صاحب المعجم إلا ضربين اثنين وهما : الائتلاف والملاءمة والإلهاب والتهييج وسيأتي، والائتلاف والملاءمة : أن يكون اللفظ ملائماً للمعنى فإذا كان الموضع موضعاً للوعد والبشارة كان اللفظ رقيقاً ومثاله قوله تعالى : ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾ التوبة ٢١ وإذا كان الموضع موضعا للوعيد والنذارة كان اللفظ جزلاً ومثاله قوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا ﴾ [الأنعام ٢٧] فانظر إلى التفاوت بين المقامين في الجزالة والرقة وكل واحد منهما ملائم للمعنى الذي جيء به من أجله، وهكذا تجد ألفاظ القرآن على هذه الصفة، وهذا إنما يدرك بالقريحة الصافية والذوق السليم[٦].

٤ - أما بعد:

أورد المؤلف مصطلح «أما» واستعمالاتها ولكنه لم يخص «أما بعد» بالقول وهي جديرة بذلك، ففي أحد تفسيرات قوله تعالى : ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴾ [ص ٢٠] قول داود: «أما بعد»، وقال ابن الأثير: والذي أجمع عليه المحققون من أهل علماء البيان أن فصل الخطاب هو «أما بعد» وهي من قبيل الاقتضاب القريب من التخلص وهو الانتقال من الافتتاح إلى المقصود مع نوع من المناسبة وشيء من الملاءمة كقول المؤلفين في أثناء الخطب : أما بعد[٧].

وقال صاحب الطراز : وهذه اللفظة قد أجمع أهل التحقيق من علماء البيان على أنها هي فصل الخطاب الذي أراده الله في قوله : وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب، وقد اختلف في أول من قالها فقيل : أول من نطق بها آدم وقيل : داود وقيل : يعقوب وقيل : قس بن ساعدة وقيل: كعب بن لؤي وقيل : يعرب بن قحطان وقيل : سحبان وائل[٨].

٥ - البدلية:

هي إحدي علاقات المجاز المرسل وهي كون الشيء بدلا من شيء آخر كقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ ﴾ [الجمعة/ ١٠] والمراد الأداء[٩].

٦ - المبدلية:

هي إحدى علاقات المجاز المرسل، وهي كون الشيء مبدلاً منه شيء آخر نحو : (أكلت دم زيد) أي ديته فالدم مجاز مرسل علاقته المبدلية لأن الدم مبدل عن الدية[١٠].

٧ - الأبيات المغسولة :

الأبيات المغسولة هي الأبيات التي ليس فيها بيت رائع قال المرزباني في الموشح: أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عبد الله بن الحسين قال : قال لي البحتري : دعاني علي بن الجهم فمضيت إليه وأفضنا في أشعار المحدثين إلى أن ذكرنا أشجع السلمي فقال لي: إنه يخلي وأعادها مرات ولم أفهمها وأنفت أن أسأله عن معناها فلما انصرفت أفكرت في الكلمة ونظرت في شعر أشجع فإذا هو ربما مرت له الأبيات مغسولة ليس فيها بيت رائع وإذا هو يريد هذا بعينه وهو أنه يعمل الأبيات

ولا تصيب فيها بيتاً نادراً، وأن معناه أن الرامي إذا لم يصب من رشقه فلم يصب كله الغرض بشيء قيل أخلى وكان علي بن الجهم عالماً بالشعر، ونقل الكلام نفسه عن الصولي[11].

ومن هذا يمكن استنتاج مصطلح آخر وهو الإخلاء أي عدم الجودة في قول الشعر.

٨ - الاستتباع:

جعله صاحب الإيضاح من تأكيد المدح بما يشبه الذم فقال: وهو المدح بشيء على وجه يستتبع المدح بشيء آخر كقول أبي الطيب:

نهبت من الأعمار ما لو حويته

لهنئت الدنيا بأنك خالد

فإنه مدحه ببلوغه النهاية في الشجاعة إذ كثر قتلاه بحيث لو ورث أعمارهم لخلد في الدنيا على وجه استتبع مدحه بكونه سبباً لصلاح الدنيا ونظامها حيث جعل الدنيا مهنأة بخلوده[12].

٩ - التثبيج:

ذكره ابن رشيق معطوفاً على المعاظلة فقال في العمدة: هو طول الكلام واضطرابه، ولا يقال: كلام مثبج حتى يكون هكذا ويقال: رجل مثبج الخلق إذا كان طويلاً في اضطراب، والتثبيج عند الصولي في الخط ألا يكون بيناً وكذلك هو الكلام[13] والتثبيج في اللغة: ثبج كل شيء معظمه ووسطه وأعلاه[14] ولم يورد صاحب العمدة للكلام المثبج أمثلة.

١٠ - الاحتباك:

هو مصطلح بلاغي ألحقه المتأخرون بالبديع، قال السيوطي: فمن أنواع البديع الاحتباك وهو نوع لطيف لم ينتبه له أحد من أهل هذا الفن ولا ذكره أصحاب البديعيات ولم نقف على أحد تعرض لذكره إلا رفيق الأعمى في شرح بديعيته[15] وهو عند السيوطي أن تحذف من الأول ما أثبت نظيره من الثاني وتحذف من الثاني ما أثبت نظيره في الأول[16] والاحتباك جاء من الحبك الذي معناه الشد والإحكام وتحسين أثر الصنعة في الثوب فحبك الثوب سد ما بين خيوطه من الفرج وشدة إحكامه بحيث يمنع عنه الخلل[17] وبيان أخذ المعنى الأصطلاحي منه أن مواضع الحذف من الكلام شبهت بالفرج بين الخيوط فلما أدركها الناقد البصير بصوغه الماهر في نظمه وحوكه فوضع المحذوف مواضعه كان حابكاً له مانعاً من خلل يطرقه فسد بتقديره ما يحصل به الخلل مع ما أكسبه من الحسن والرونق[18] ومثاله من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ [آل عمران/١٣] فأصل الكلام فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت أو الشيطان فحذف من الأول «مؤمنة» وحذف من الثاني «تقاتل في سبيل الطاغوت» ومثاله من الشعر قول الفرزدق:

فكم عمة لك يا جرير وخالة

فدعاء قد حلبت علي عشاري

فقد حذف من الأول «فدعاء» وحذف من الثاني «لك»، وليس كلام السيوطي أنه لم ينتبه له أحد من أهل هذا الفن .... إلخ صحيحاً فقد تعرض له أبو حيان شيخ ابن جابر وكتابه البحر المحيط فيه أشارات كثيرة إليه، وقد جعل أبو حيان لب الباب ورأسه آية البقرة: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة / ١٧١] ووقف عند هذه الآية طويلاً وعول عليها كثيراً[19] وبهذا

يمكن الرد على السيوطي، بل هناك من أشار إلى هذا الفن قبل أبي حيان بتقرير أبي حيان نفسه حيث قال: وذهب إلى تقرير هذ الفن جماعة من أصحابنا منهم أبو بكر ابن طاهر وتلميذه الحسن بن خروف وأبو علي الشلوبين وقالوا: إن العرب تستحسنه وأنه من بديع كلامها ومثاله قوله تعالى: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ﴾ [طه/ ٢٢] والتقدير: وادخل يدك في جيبك تدخل وأخرجها تخرج بيضاء فحذف «تدخل» لدلالة تخرج وحذف وأخرجها لدلالة وادخل[٢٠].

وقد ورد الاحتباك في الشعر العربي، ومنه قول أبي ذؤيب الهذلي:

وإني لتعروني لذكراك هزة
كما انتفض العصفور بلله القطر

وتفسيره أن الشاعر لم يرد أن يشبه هزته بهزة العصفور حين بلله القطر لكونهما حركة وسكوناً فهما ضدان ولكن تقديره: أني إذا ذكرتك عراني انتفاض ثم اهتز كما أن العصفور إذا بلله القطر عراه اهتزاز ثم ينتفض غير أن وجيب قلبه واضطرابه قبل الهزة وهزة العصفور قبل انتفاضه[٢١].

أما بدر الدين الزركشي فقد تعرض له أيضاً في كتابه البرهان في علوم القرآن إلا أنه أطلق عليه مصطلح «الحذف المقابلي» في باب «الحذف» وحده بقوله: أن يجتمع في الكلام متقابلان فيحذف من كل واحد منهما ما يقابله لدلالة الآخر عليه[٢٢].

١١ - حسن الرد:

قال أبو هلال العسكري في الصناعتين: ومما يلحق بهذه الأبواب أيضاً حسن الرد - ويقصد ما زاده على فنون البلاغة من أبواب - ومنه ما روي أن الرشيد قال للفضل ابن الربيع: كذبت فقال الفضل: وجه الكذوب لا يقابلك يا أمير المؤمنين ولسانه لا يخاطبك فوصله وقال: كذبني فوصلته بحسن جوابه وأورد حكايات أخرى مثل هذه[٢٣] وأضاف: وعلى حسب ما يستحسن هذا يستهجن خلافه، وذلك مثل ما روي أن أبا بكر مر برجل فقال له أتبيع كذا؟ فقال: لا عافاك الله فقال أبو بكر: علمتم لو تعلمون قل: لا وعافاك الله، ومنه أن الرسول ﷺ قال لعمه العباس: أنت أكبر مني فقال العباس: أنا أسن ورسول الله أكبر، وقد أورد له أمثلة أخرى كثيرة.

١٢ - الاستحقاق:

هو نوع من المقابلة، قال ابن رشيق في العمدة[٢٤]: وهو أن يكون بين المتقابلين مناسبة وليس مضادة ومنها قول المتنبي:

رجلاه في الركض رجل واليدان يد
وفعله ما تريد الكف والقدم

لأن الكف من اليد بمنزلة القدم من الرجل فبينهما مناسبة وليست مضادة ولو طلبت المضادة لكان الرأس أو الناصية أولى كما قال تعالى: ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن/ ٤١].

وهذا المصطلح يقرب من مصطلح المؤاخاة بين المباني السابق.

١٣ - الحكاية:

هو أن يحكى كلام المتكلم إما بلفظه أو بمعناه، والقرآن الكريم مشحون بذلك[٢٥]، وهو على قسمين ظاهر ومقدر، أما الظاهر فكما حكاه الله تعالى من قول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة/ ٣٠] وأما المقدر فقوله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ

﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء/ ٧٩] دليل ذلك أنه رد عليهم بقوله : ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء/ ٧٨] .

١٤ - الحمل على المعنى:

ذكره ابن النقيب في مقدمته[٢٦] وقال : وذلك كتأنيث المذكر وتذكير المؤنث وتصور معنى الواحد للجماعة وحمل الثاني على لفظ الأول أصلاً كان أو فرعاً أو غير ذلك، وقد ورد في القرآن العظيم وفصيح الكلام منثوراً ومنظوماً من ذلك كثير، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [النساء/ ١] والمراد آدم عليه السلام، ومن الشعر قوله :

يا أيها الراكب المزجي مطيته

سائل بني أسد ما هذه الصوت

وأما تذكير المؤنث فقد كثر عن العرب تأنيث فعل المضاف ولذلك قرئ قوله تعالى : ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾[الأنعام/ ١٥٨] بالتأنيث فأنث فعل الإيمان المذكر إذا كانت إضافته إلى مؤنث فكان بعض المضاف إليه أو به أو منه، وأمثال هذا في القرآن كثير، ومن الشعر قوله :

لما أتى خبر الزبير تواضعت

سور المدينة والجبال الخشع

١٥ - المحتمل الضدين:

هكذا سماه ابن النقيب في مقدمته[٢٧] وهو عند المؤلف التوجيه وقال ابن حجة الحموي: إن تسمية النوع هنا بالإبهام أليق من تسميته بالتوجيه [٢٨]، وقد أورد له ابن النقيب أمثلة من القرآن الكريم منها قوله تعالى : ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف/ ٧٩] يحتمل أن يكون أراد بورائهم أمامهم ويحتمل أن يكون وراءهم يطالبهم وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة/ ٢٢٨] والقرء يطلق على الحيض والطهر، ومثله من الشعر قول الشاعر :

يبادر الآثار أن تؤوبا

وحاجب الجونة أن يغيب

والجون الأبيض والجون الأسود وهو من الأضداد.

١٦ - الإحالة والتغيير:

هكذا سماه ابن رشيق في العمدة وقد أتى المؤلف بمصطلح التغيير فقط وأرى أن تسمية ابن رشيق أدق فالتغيير منصب على الإحالة التاريخية واللفظية والإحالة منصبة على الإحالة العقلية، فالإحالة التاريخية مثالها ما استشهد به المؤلف، وزاد عليه ابن رشيق قول ابن مقبل :

أما الأداة ففينا ضمر سمع

جود حواجز بالألباد واللجم

ونسج داود من بيض مضاعفة

من عهد عاد بعد الحي من إرم

فكيف يكون نسج داود من عهد عاد وكم بين قيس عيلان وبين عاد فضلاً عن بني العجلان[٢٩].

أما الإحالة العقلية فكقول عبد الرحمن بن حسان :

وأن مال الضجيع بها فدعص

من الكثبان ملتبد مهيل

قالوا : كيف يكون ملتبداً مهيلاً ؟ هذا مستحيل متناقض، ومنه قول أبي نواس :

وأخفت أهل الشرك حتى أنه

تخافك النطف التي لم تخلق

فهذا مستحيل عقلاً[٣٠] .

ومنه في التغيير قول جميل :

لا حسنها حسن ولا كدلالها

دل ولا كوقارها توقير

فحذف كاف التشبيه فصار المعنى كأن ليس حسنها حسناً .

وقد أخذ ابن رشيق على المولدين الحضريين أن يقعوا في ذلك أما ما وقع في أشعار الجاهليين فالتمس لهم العذر في ذلك لأنهم أرباب اللغة وأصحاب اللسان(٣١).

١٧ - الخبر والوصف بلفظ الاستفهام:

هو وجه من وجوه التلطف، قال أبو هلال العسكري: وخرج لي وجه آخر منه (يقصد المشتق) وهو الخبر والوصف في صورة الاستفهام بعد أن استخرج منه التخييل وهو لم يعرفه وأورد له أمثلة(٣٢) منها قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ [الزمر/ ٣٢] وقول جحظة :

فجاء بالجام والإبريق

وبالمدام والسلسبيل الرقيق

أما رأيت قطع العقيق

أما رأيت شقق البروق

وقال أبو هلال العسكري : وقد قلت في وصف عود :

أحمر الرأس أسود البم أحوى

هل رأيتم جداول التقييم

ومنه قول بعض العرب في وصف لبن مذيق :

جاءوا بضيح هل رأيت الذئب قط

١٨ - الخصوص:

هو أحد علاقات المجاز المرسل وهو كون اللفظ خاصاً بشيء واحد كإطلاق اسم الشخص على القبيلة نحو ربيعة وقريش(٣٣).

١٩ - الإخلاء:

والمقصود خلو الشعر من الروعة، وينظر الأبيات المغسولة.

٢٠- التخييل:

جعله صاحب الطراز الصنف السابع من الضرب الأول من الصنف الثالث وهو التطبيق ويقال له التضاد والتكافؤ والطباق، وقد أسهب في الحديث عنه فذكر تعاريفه وبين أمثلته، وهو عنده من مرامي سهام البلاغة المسددة وعقد من عقود لآليه الممددة كثير التداول في كتاب الله تعالى والسنة الشريفة لما فيه من الدقة والرموز واستيلائه على إثارة المعادن والكنوز(٣٤).

وقال أبو هلال العسكري في الصناعتين: وظهر لي باب آخر وسميته التخييل وهو أن يخيل أنه يمدح وهو يهجو أو يخيل أنه يهجو وهو يمدح(٣٥)، ومثال ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال: كانت عند رجل من بني أسد ورهاء فدخل يوماً وهي مغضبة فقال : ما شأنك قالت : إنك لا تشبب بي فقال أفعل ثم أنشأ يقول :

تمت عبيدة إلا في ملاحتها

والحسن منها بحيث الشمس والقمر

ما خالف الظبي منها حين يبصرها

إلا سوالفه والجيد والنظر

قل للذي عابها من عائب حلق

أقصر فرأس الذي قد عبت والحجر

قال فرضيت .

٢١ - التدبيج :

أتى المؤلف بمصطلح التدبيج وهو عند البلاغيين أن يذكر في معنى من المدح أو غيره ألوان لقصد إيجاد

الكناية في تلك الألوان أو بعضها أو لقصد التورية كذلك وقد أطال في ذلك وأورد أمثلة [٣٦]، ولكن وجدت في الخزانة التدبيج بمعنى آخر ففي شرحه للبيت المستشهد به وهو قول الشاعر:

بدت قمراً ومالت خوط بان
وفاحت عنبراً ورنت غزالاً

قال: قال الواحدي: هذه أسماء وضعت موضع الحال والمعنى بدت مشبهة قمراً في حسنها ومالت غصن بان في تثنيها وفاحت مشبهة عنبراً في طيب رائحتها ورنت غزالاً في سواد مقلتها وهذا يسمى التدبيج في الشعر [٣٧] ومثله:

لاحت هلالاً وفاحت عنبراً وشذت
مسكاً وماست قضيباً وانثنت غصناً

ومنه:

سفرن بدوراً وانتقبن أهلة
ومسن غصوناً والتفتن جآذرا

٢٢ - المدرج:

قال الزركشي: هذا النوع سميته بهذه التسمية بنظير المدرج من الحديث وحقيقته في أسلوب القرآن أن تجيء الكلمة إلى جنب أخرى كأنها في الظاهر معها وهي في الحقيقة غير متعلقة بها كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل/ ٣٤] هو من قول الله لا من قول المرأة ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [يوسف/٥١] انتهى قول المرأة ثم قال يوسف عليه السلام: ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب ومعناه ليعلم الملك أني لم أخنه ومنه قوله تعالى: ﴿يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا﴾ [يس/ ٥٢] تم الكلام فقالت الملائكة هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون، ومن الأحاديث المدرجة قوله ﷺ: للعبد المملوك أجران والذي نفسي بيده لولا الجهاد والحج وبر الأم لأحببت أن أموت وأنا مملوك فقول الرسول للمملوك أجران غير أن أبا هريرة تكفل بإيضاح هذين الأمرين بقسمه يتمنى الرق [٣٨].

٢٣ - التذكير:

وهو التنبيه لمن غفل أو سها عن شكر نعمة أسديت إليه ومن أزلفت لديه نسيها أو تناساها لتقوم عليه حجة المنعم وليوقظ من نوم غفلته في ليل نسيانه أو تناسيه المظلم وفي الكتاب العزيز منه كثير[٣٩] من ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة/ ٤٠] وقوله تعالى: ﴿فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى﴾ [طه/ ٤٤] ومعناه لعله يتذكر سترنا له وإنعامنا عليه في أمر النيل إذ تضرع إلينا فأجرينا له النيل لما التمس منه قومه إجراء النيل أو يخشى انتقامنا منه في الدنيا بالغرق وفي الآخرة بالنار والحرق.

والفرق بين الاقتضاء والتذكير أن التقاضي لاستبعاد حصول المطلوب مدة انتظار المرغوب والتذكار إنما يكون عن غفلة أو نسيان كقول بعضهم

جئتك للإذكار مستحرضاً
لا لتقاضيك وحوشيتا
ولست بالمهمل لكنما
لكثرة الأشغال أنسيتا

٢٤ - الرثاء:

هو إظهار التفجع والحسرة والأسف على الميت فهو غرض من أغراض الشعر المعروفة، وقد عقد له ابن رشيق باباً في العمدة [٤٠] فقال: وليس بينه وبين المدح

فرق إلا أن يخلط بالرثاء شيء يدل على أن المقصود به ميت مثل كان أو عدمنا كيت وكيت وما يشاكل هذا ليعلم أنه ميت، وعند سبيل الرثاء يكون ظاهر التفجع بين الحسرة مخلوطاً بالتلهف والأسف والاستعظام إن كان الملك ملكاً أو رئيساً كبيراً كما قال النابغة في حصن بن حذيفة بن بدر :

يقولون حصن ثم تأبى نفوسهم
وكيف بحصن والجبال جنوح
ولم تلفظ الموتى القبور ولم تزل
نجوم السماء والأديم صحيح
فعما قليل ثم جاء نعيه
فظل ندي الحي وهو ينوح

٢٥ - الترجيع في المحاورة :

أورد المؤلف الترجيع ولكنه في معنى غير هذا المعنى، والترجيع في المحاورة قال عنه صاحب الطراز : تفعيل من قولك رجعت الشيء إذا رددته وهو في مصطلح علماء البيان عبارة عن أن يحكي المتكلم مراجعة في القول ومحاورة جرت بينه وبين غيره بأوجز عبارة وأخصر لفظ فينزل في البلاغة أحسن المنازل وأعجب المواقع[٤١] .

ومن جيد ما يورد من مثلها ما قاله بعض الشعراء :

قالت ألا لا تلجن دارنا
إن أبانا رجل غائر
أما رأيت الباب من دوننا
قلت فإني واثب ظافر
قالت فإن الليث عادية
قلت فسيفي مرهف باتر
قالت أليس البحر من دوننا
قلت فإني سابح ماهر
قالت أليس الله من فوقنا
قلت بلى وهو لنا غافر
قالت فلما كنت أعييتنا
فأت إذا ماهجع السامر

٢٦ - ترادف الصفات:

هو من غريب المبالغة قال ابن رشيق في العمدة ومن أغربها أي المبالغة :ترادف الصفات وفي ذلك تهويل مع صحة لفظ لا تحيل معنى كقول الله تعالى : ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ [النور/ ٤٠]، وهو من غريب المبالغة [٤٢] وما استشهد به ابن رشيق جعله الزركشي في باب التوسع [٤٣] في ترادف الصفات فقال : ومنه التوسع في ترادف الصفات وأورد الآية ثم قال : فإنه لو أراد اختصاره لكان أو كظلمات في بحر لجي مظلم .

٢٧ - الترقي:

أورد الزركشي مصطلح الترقي في موضعين : الأول في قسم من أقسام التقديم والتأخير كقوله تعالى: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ﴾ [الأعراف/ ١٩٥] الآية فإنه سبحانه بدأ بالأدنى لغرض الترقي، وفي الموضع الثاني جعله من باب القلب ومثل له بقوله تعالى : لا تأخذه سنة ولا نوم وقوله: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ [الكهف/٥٠] فإن قيل : ورد ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾ [طه/ ١١٢] ولا هضماً والغالب أن يقدم القليل على الكثير مع أن الظلم منع للحق عن أصله والهضم منع له من وجه كالتطفيف فكان يناسبه تقديم الهضم قلت : لأجل فواصل الآي فإنه تقدم قبله وقد خاب من حمل ظلماً فعدل عنه في الثاني كيلاً يكون أبطأ[٤٤] .

٢٨ - التركيب:

هذا المصطلح جعله صاحب معجم البلاغة العربية من ضروب الجناس التام، وفي موضع آخر هو أن يؤلف البيت من أبيات قد ركب بعضها من بعض، أما صاحب مواد البيان قال عنه: هذا الباب تسميه العامة التجنيس وتخطئ فيه وإنما سمي تركيباً لأنه يؤتى فيه بالكلمة الأولى متصلة ثم يؤتى بما يقابلها مركباً من كلمتين وقلما يسلم من ظهور التكلف وعليه أكثر شعر البستي ومنه قوله:

لا تعص يا شمس على قابوساً

فمن عصى قابوس لاقى بوساً

ومنه:

إلى حتفي سعى قدمي

أرى قدمي أراق دمي

فما ذكره صاحب مواد البيان يختلف عما أورده صاحب المعجم(٤٥).

٢٩ - المزلزل:

وهو أن يكون في الكلام لفظة لو غير وضعها أو إعرابها تغير المعنى، ومنه في القرآن الكريم: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة/ ٥] فلو كسرت الكاف لتغير المعنى ومنه قوله تعالى: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة/ ٧] لو ضمت التاء لاختل المعنى وقوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ [البقرة/١٢٤] وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر/ ٢٨] لو غير إعراب إبراهيم وإعراب العلماء لاختل المعنى، ومن الشعر قول الوطواط:

رسول الله كذبه الأعادي

فويل ثم ويل للمكذب

إن كسرت ذال المكذب كان حسناً وإن فتحت كان قبيحاً وكفراً ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ﴾ [الصافات/ ١٧٧] بفتح الذال ولو كسرت الذال كان قبيحاً وكفراً(٤٦).

٣٠ - الزيادة في البناء:

أورد المؤلف مصطلح الزيادة في موضعين ولكنه لم يعن بهما ما يعنيه هذا المصطلح هنا، وهو أن يقصد المتكلم معنى يعبر عنه لفظتان إحداهما أزيد بناء من الأخرى فيذكر الكلمة التي تزيد حروفها عن الأخرى قصداً منه إلى الزيادة في ذلك المعنى الذي عبر عنه، ولهذا فإن اعشوشب واخشوشن في المعنى أكثر وأبلغ من عشب وخشن ولهذا وقعت الزيادة بالتشديد أيضاً فإن ستّار أبلغ من ساتر وغفّار أبلغ من غافر ولهذا قال تعالى: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح/ ١٠] ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف/ ٤٥] ليشعر بالزيادة على زيادة قدرة الله، وقال فيما لا يستحق المبالغة: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً﴾ [الأنعام/ ٣٧] وهكذا هي أكثر أسماء الله الحسنى، ومنه قول أبي نواس:

فعفوت عني عفو مقتدر

أحلت له نقم فألغاها

وجعله ابن الأثير النوع الثاني عشر من أنواع الصناعة المعنوية وسماه قوة اللفظ لقوة المعنى فقال: اعلم أن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نقل إلى وزن آخر أكثر منه فلا بد أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولا لأن الألفاظ أدلة على المعاني وأمثلة للإبانة عنها فإذا زيد في الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني وهذا لا نزاع فيه لبيانه فمن ذلك قولهم: اخشوشن فمعنى خشن دون

معنى اخشوشن ... إلخ[٤٧] وسماه الزركشي الزيادة في بنية الكلمة [٤٨].

٣١- التسجيل:

أورد المؤلف مصطلح التسجيل على السامع وهو غير التسجيل هنا وهو في مصطلح علماء البلاغة تطويل الكلام والمبالغة فيما سيق من أجله من مدح أو ذم وهو نوع من الإطناب خلا أن الإطناب عام في كل مقصود من الكلام والتسجيل خاص في المبالغة في المدح أو الذم ومثاله من القرآن الكريم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ﴾ [الحج/ ٧٣] فانظر ماذا حازته هذه الآية عن نقص عقولهم

هذا ما يتعلق بأمثلة التسجيل في الذم، أما مثال التسجيل في المدح فكقوله في صفة المؤمنين في صدر سورة البقرة حيث ذكرهم بالصفات المحمودة وأثنى عليهم بالمناقب المحمودة وبما شرح الله صدورهم بالإيمان بالله ورسوله وكتبه المنزلة قديماً وحديثاً ...إلخ [٤٩].

٣٢- سفساف الشعر:

لم أجد من ذكر هذا المصطلح غير المرزباني في الموشح، وسفساف الشعر رديئه وساقطه، وفي اللغة السفساف الرديء من كل شيء والأمر الحقير وكل عمل دون الإحكام سفساف ثم قال: وسفساف الشعر رديئه وشعر سفساف رديء[٥٠] وقال المرزباني : حدثني علي ابن محمد الكاتب قال : أحمد بن عبد الله قال : مما أنكر على أبي العتاهية قوله لما ترفق في نسيبه بعتبة :

إني أعوذ من التي شعفت

مني الفؤاد بآية الكرسي

وآية الكرسي يهرب منها الشياطين ويحترس بها من الغيلان كما روي عن ابن مسعود قال : وأبو العتاهية مع رقة طبعه وقرب متناوله وسهولة نظم المنثور عليه وسرعته إلى ما يعجز المتأني بلوغه لا يخلو من الخطأ الفاحش والقول السخيف[٥١]، ومما أنكر عليه من سفساف شعره قوله :

ولهني حبها وصيرني

مثل جحى شهرة ومشخلبة

وينظر الأبيات المغسولة.

٣٣- السهل الممتنع:

وهو الذي يظن من سمعه لسهولة ألفاظه وعذوبة معانيه أنه قادر على الإتيان بمثله عز عليه مثاله وامتنع على طالب معارضته فلا يناله[٥٢].

والقرآن الكريم كله على هذا المنوال عدا ما فيه من المتشابه والحروف التي في أوائل السور، ومنه في السنة كثير فمن ذلك قوله ﷺ : تنكح المرأة لجمالها ومالها وحسبها عليك بذات الدين تربت يداك .

ومن الشعر قول مروان بن أبي حفصة :

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم

أسود لها من غيا خفان شبل

هم يمنعون الجار حتى كأنهم

لجارهم بين السماكين منزل

٣٤- السهولة:

هي في البديع خلو اللفظ من التكليف والتعقيد والتعسف في السبك[٥٣]، ومن أحسن أمثلته قول الشاعر :

أليس وعدتني يا قلب أني

إذا ما تبت من ليلى تتوب

فها أنا تائب من حب ليلى

فما لك كلما ذكرت تذوب

وهو عند ابن النقيب الغرابة والظرافة والسهولة، ويرى المحقق أن في هذا تحريف عن ابن منقذ وأن الصواب الغرابة والطرفة.

وقال ابن النقيب: والقرآن الكريم كله سهل ممتنع ألفاظه سهلة ومعانيه نادرة وأسلوبه غريب قد مازجت القلوب عذوبته وحلت في العيون طلاوته وراق في الأسماع سماعه واستقر في الطباع طباعه فلهذا لم يسأم على ترداده ولم تمله النفوس على دوام إيراده فكل آية منه حسنة المساق وكل كلمة منه عذبة المذاق وكل معنى منه دق ورق، ومن هذا النوع من أشعار العرب والمخضرمين والمتأخرين كثير لا يحصى، فمن ذلك قول بعض العرب:

هوى صاحبي ريح الشمال إذا جرت

وأشفى لقلبي أن تهب جنوب

يقولون لو عزيت قلبك لأرعوى

فقلت وهل للعاشقين قلوب

وأورد أشعاراً أخرى كثيرة[٥٤].

٣٥- التشبيب:

هو ذكر ما في المحبوب من الصفات الحسية والمعنوية كحمرة الخد ورشاقة القد وكالجلالة والخفر، وهو أحد أنواع النسيب قاله ابن هشام الأنصاري في شرح بانت سعاد، وقال ابن رشيق في العمدة: والنسيب والتغزل والتشبيب بمعنى واحد، [٥٥] واشتقاق التشبيب يجوز أن يكون من ذكر الشبيبة وأصله الارتفاع كأن الشاب ارتفع عن حال الطفولية أو رفع صاحبه ويقال شب الفرس إذا رفع يديه وقام على رجليه[٥٦].

٣٦ - الاشتغال:

اشتهر هذا المصطلح بأنه مصطلح نحوي أكثر منه مصطلحاً بلاغياً ولكن الزركشي جعله من البلاغة لأن عنده الشيء إذا أضمر ثم فسر كان أفخم مما إذا لم يتقدم إضمار ألا ترى أنك تجد اهتزازاً في نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ [التوبة/ ٦] وقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ﴾ [الإسراء/ ١٠٠]، وفي القرآن من هذا الأسلوب كثير[٥٧].

٣٧ - الشكاية:

ذكر ابن النقيب هذا المصطلح دون أن يعرفه وقال: وهي في القرآن على قسمين: ملفوظ بها وغير ملفوظ بها، أما الملفوظ بها ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف/ ٨٦] ومن الشعر قول بعضهم:

إلى الله أشكو لا إلى الناس إنني

أرى الأرض تطوى والأخلاء تذهب

أما غير الملفوظ بها ففي القرآن منه كثير[٥٨]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِى﴾ [الأعراف/ ١٥٠].

٣٨ - المشوش:

قال صاحب الطراز: هو عبارة عن كل جنس من التجنيس يجاذبه طرفان من الصيغة ولا يمكن إطلاق اسم أحدهما عليه دون الآخر واشتقاقه من قولهم تشوش الأمر إذا مزج واختلط بعضه ببعض ومنه قولهم: فلان مشوش إذا كان به مرض من اختلاط المزاج وتغيره ومثاله قولهم: مليح البلاغة لبيق البراعة فلو اتفق العينان في الكلمتين وكانتا من حرف

واحد لكان ذلك من تجنيس التصحيف أو كان اللامان متفقين لكان ذلك من المضارع فلما لم يكن كما ذكرناه بقي مذبذباً بين الأمرين ينجذب إلى كل واحد منهما بشبه، ومنه أيضاً قولهم : صدعني مذ صد عني فلولا تشديد النون لكان معدوداً من تجنيس المركب وقال الحريري : ندمنا على ما ند منا[٥٩].

٣٩ - إضمار ما لم يجر له ذكر:

هكذا سماه ابن رشيق في العمدة[٦٠] وهو غير الإضمار المطلق الذي يراد به الحذف كما ذكر المؤلف في المعجم فهو يراد به حذف من نوع خاص وهو حذف الضمير الذي يعود عليه الكلام ولم يذكر كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر/ ١] ولم يجر للقرآن ذكر وقوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص/ ٣٢] يعني الشمس وقوله تعالى فأثرن به نقعا ولم يجر للوادي ذكر وقول حاتم الطائي :

أماوي ما يغني الثراء عن الفتى

إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

٤٠ - الاستطراد :

أورد المؤلف مصطلح الاستطراد وشرحه لغة واصطلاحاً وأورد له أمثلة، ولكن الزركشي أتى بهذا المصطلح على غير المعنى الذي ذكره المؤلف فقال : وهو التعريض بعيب إنسان بذكر عيب غيره[٦١] كقوله تعالى : ﴿وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ [إبراهيم/٤٥] وكقوله : ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت/ ١٣] وقوله : ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ [هود/ ٩٥].

٤١ - الاستظهار :

جعله ابن رشيق من الإيغال فقال : ومن هذا (يقصد الإيغال) نوع يسمى الاستظهار ومنه قول ابن المعتز لابن طباطبا العلوي أو غيره :

فأنتم بنو بنته دوننا

ونحن بنو عمه المسلم

فقوله المسلم استظهار لأن العلوية من بني عم النبي عليه الصلاة والسلام أيضاً أعني أبا طالب ومات جاهلياً فكأن ابن المعتز أشار بحذقه إلى ميراث الخلافة[٦٢].

٤٢ - طرد الخيال:

طرد الخيال والمجاراة في المحبة مذهب مشهور عند الشعراء وقد ركبه جلة الشعراء منهم طرفة ولبيد ثم جرير وجميل فقال طرفة وهو أول من طرقه :

فقل لخيال الحنظلية ينقلب

إليها فإني واصل حبل من وصل

وقال لبيد في مثل ذلك:

فاقطع لبانة من تعرض وصله

ولشر واصل خلة صرامها

وقال جرير :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا

وقت الزيارة فارجعي بسلام

وهذا بيت مشهور لجرير وقد انتقد فيه وقيل كيف تطرد خيال الحبيبة على أن قوماً زعموا أنه كان محرماً فلذلك طرد الخيال كأنه تحرج وليس طرد عتب، وقال جميل :

ولست وإن عزت علي بقائل

لها بعد صرم يا بثين صليني

وجرى على سنن هؤلاء جماعة من المولدين واعتقدوا هذا المذهب قولاً وفعلاً حتى تعداه بعضهم إلى القتل إلا أن أصل هذا المذهب عند قدامة فاسد وعاب على نابغة بني تغلب قوله :

بخلنا لبخلك لو تعلمين

وكيف يعيب بخيل بخيلا

لأن الواجب عنده في التغزل أن يكون على خلاف هذا وكل ما لا يليق بالمحبوب فهو مكروه في باب النسيب(٦٣).

٤٣ - الإطلاق:

هو أحد علاقات المجاز المرسل، وهو كون الشيء مجرداً من القيود نحو قوله تعالى : ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [النساء/ ٩٢] أي عتق رقبة مؤمنة فالرقبة مجاز مرسل علاقته الإطلاق فإن المراد منها المؤمنة وإطلاق الرقبة على جميع الجسم مجاز مرسل علاقته الجزئية(٦٤).

٤٤ - الإعتاب :

أورد هذا المصطلح ابن خلف في مواد البيان بتعريف وأمثلة تتفق مع مصطلح لزوم ما لا يلزم فقال : هو أن يلتزم الشاعر في القوافي والناثر في الأسجاع ما لا يلزمهما توسعاً واقتداراً ويتكلفان ما ليس عليهما تمكناً وانفساح مجال، ومثاله في المنثور قول أبي بصير : (حتى عاد تعريضك تصريحاً وتمريضك تصحيحاً) ومثاله من المنظوم قول أبي العالية :

إني امرؤ أصفي الخليل الخلة

وأمنحه ودي وأرعى إله

وأبغض الزيارة المعلة

وأقطع المهمه المضلة

والقصيدة طويلة التزم في أكثرها اللام المشددة اقتداراً(٦٥).

٤٥ - الإعتاب:

هو رجوع الإنسان عما عتبت عليه بسببه يقال عتبته فاستعتب أي أرجعته فارتجع ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِن يَصْبِرُواْ فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ [فصلت/ ٢٤] وفي الحديث إما محسناً فيزداد وإما مسيئاً فيستعتب ومنه قول الشاعر :

عتبت عليه فيما أعتبا

وعنه اعتذرت وقد أذنبا

ومحتوى هذا المصطلح يقرب من مصطلح عتاب المرء نفسه الذي أورده المؤلف ولكن وجد فيه خلطاً كبيراً عند العلماء(٦٦).

٤٦ - العتاب والإنذار:

قال ابن النقيب : وهو دليل بقاء المودة ودوام عقد الألفة والصحبة والغرض به إزالة ما في النفوس من الوحشة لأن بجريانه يظهر ما في القلوب من آثار الجناية ويبدو ما في البواطن من تأكيد أسباب العناية إذ لولا بقاء المودة الخفية لحصلت القطيعة بالكلية ولم يحتج إلى عتاب ولم يرغب في الإعتاب (٦٧) ولهذا قيل :

ويبقى الود ما بقي العتاب

وقد عقد ابن رشيق للعتاب باباً في العمدة وجعل الإنذار مع الوعيد في باب الوعيد والإنذار(٦٨).

٤٧ - الاعتذار:

هو كما عند ابن النقيب التوسل إلى محو الذنب وإزالة أثر الجرم مأخوذ من قولهم: اعتذرت المنازل إذا درست(٦٩)، ومنه قوله تعالى: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُواْ﴾ [التوبة/ ٩٤]، أما ابن رشيق فلم يعرفه وقال : وينبغي للشاعر أن لا يقول شيئاً يحتاج أن يعتذر منه فإن اضطره المقدار إلى ذلك وأوقعه

فيه القضاء فليذهب مذهباً لطيفاً وليقصد مقصداً عجيباً ... إلخ .

وقد أورد ابن رشيق أمثلة شعرية كثيرة في الاعتذار منها قول إبراهيم بن المهدي يعتذر للمأمون في أبيات :

الله يعلم ما أقول فإنها

جهد الألية من مقر خاضع

ما إن عصيتك والغواة تمدني

أسبابها إلا بنية طائع

ثم قال : وأجل ما وقع في الاعتذار من مشهورات العرب قصائد النابغة الثلاث [٧٠] .

٤٨ - الإعراض عن صريح الحكم :

هو الإعراض عن ذكر الخبر أو جواب الشرط أو بعض المتعلقات ووضعه في عموم تفخيماً لشأنه كقوله تعالى : ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [النساء/ ١٠٠] أعرض عن ذكر مقدار الجزاء والثواب وذكر ما هو معلوم مشترك بين جميع أعمال البشر تفخيماً لمقدار الجزاء لما فيه من إبهام المقدار وتنزيلاً له منزلة ما هو غير محتاج إلى بيانه على حد فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله أعرض عن ذكر الجزاء بإعادة الشرط تنبيهاً على عظم ما ينال وتفخيماً لبيان ما أتى به من العمل فصار السكوت عن مرتبة الثواب أبلغ من ذكرها، وكقوله تعالى : إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً وهذه الآية تتضمن الرجوع والبقاء والجمع، ألا تراه كيف رجع بعد ذكره المبتدأ الذي هو الذين عن ذكر خبره إلى الشروع في كلام آخر فبنى مبتدأ على مبتدأ وجمع والمعنى قوله إنا لا نضيع من خبر المبتدأ الأول وتقديره : إنا لا نضيع أجرهم لأنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً [٧١]

٤٩- التعصيل

هو التفصيل في رأي.

٥٠- التعضيل

هو التفصيل في رأي.

٥١- عكس الظاهر

هكذا ذكره ابن النقيب في مقدمته[٧٢] هو نفي الشيء بإيجابه وهو هكذا عند المؤلف أيضاً[٧٣] والبعض يسميه نفي الشيء بإثباته [٧٤]

٥٢ - التعلق الاشتقاقي:

هو أحد علاقات المجاز المرسل، وهو إقامة صيغة مقام أخرى وذلك على الأوضاع الآتية :

١- إقامة المصدر مقام المفعول في قوله تعالى: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل/ ٨٨] أي مصنوعه.

٢ - إقامة الفاعل مقام المصدر في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ [سورة الواقعة/٢] أي تكذيب .

٣ - إطلاق الفاعل على المفعول في قوله تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [سورة هود/٤٣] أي لا معصوم .

٤ - إقامة المفعول مقام الفاعل في قوله تعالى: ﴿حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ [سورة الإسراء/ ٤٥] أي ساتراً .

والقرينة على مجازية ما تقدم هي ذكر ما يمتنع إرادة المعنى الأصلي[٧٥].

٥٣- العموم:

هو أحد علاقات المجاز المرسل وهو كون الشيء شاملاً لكثير نحو قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ ﴾ [النساء/ ٥٤] أي النبي ﷺ فالناس مجاز مرسل علاقته العموم، ومثله قوله تعالى : الذين قال لهم الناس فإن من المراد من الناس واحد وهو نعيم بن مسعود [٧٦].

٥٤- **الفذلكة :**

هي اسم لجزء من الإشباع والتأكيد الذي ذكره المؤلف، تقول العرب : عشرة وعشرة فتلك عشرون وذلك زيادة في التوكيد وهو منحوت من قولهم فذلك كذا، ومنه قوله تعالى : ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾، [البقرة/ ١٩٦] وقد ذكر هذا المصطلح ابن هشام في المغني(٧٧).

أما الكفوي فقد وسع معنى هذا المصطلح فقال هو مأخوذ من قول الحساب فذلك كان كذا فذلك إشارة إلى حاصل الحساب ونتيجته ثم أطلق لفظ الفذلكة لكل ما هو نتيجة متفرعة على ما سبق حساباً كان أو غيره، ونظير هذا الأخذ أخذهم نحو البسملة والحمدلة ونظائرهما من الكلمات المركبة المعلومة وهذا يسمى بالنحت وقد يكون مثل ذلك في النسب كعبقسي وعبشمي إلى غير ذلك(٧٨).

٥٥- **التفصيل:**

ذكره المؤلف في موضعين(٧٩) ففي الموضع الأول على أنه من الزيادة في الكلام، أما في الموضع الثاني فذكره على أنه اسم آخر للتقطيع الذي هو من التقسيم نقلاً عن ابن رشيق، أما التفصيل هنا فهو شيء آخر منقول عن ابن رشيق في موضع آخر وهو عنده نوع من الحشو سماه قدامة التفصيل بالفاء، وزعم قوم أنه بالعين كأنهم يجعلونه اعوجاجاً من قولهم : ناب أعصل وجعله آخرون بالعين والضاد المعجمة كأنه عندهم من تعضل الولد إذا عسر خروجه واعترض في الرحم(٨٠)، قال دريد بن الصمة :

وبلغ نميراً إن عرضت ابن عامر
وأي أخ في النائبات وطالب

ويجري هذا المجرى قول أبي الطيب بل هو أقبح منه :

حملت إليه من لساني حديقة
سقاها الحيا سقي الرياض السحائب

لأن التفرقة بين النعت والمنعوت أسهل من التفرقة بين المضاف والمضاف إليه وهما بمنزلة اسم واحد .

وقال المرزباني : ومن عيوب الشعر التفصيل وهو ألا ينتظم للشاعر نسق الكلام على ما ينبغي لمكان العروض فيقدم ويؤخر كما قال دريد بن الصمة وأورد بيت دريد السابق(٨١).

٥٦- **الاقتسام الطراز :**

هكذا أورده صاحب الطراز(٨٢) وهو نفسه القسم عند المؤلف .

٥٧- **التقصي:**

هو نوع من المبالغة قال ابن رشيق : فمن أحسن المبالغة عند الحذاق التقصي وهو بلوغ الشاعر أقصى ما يمكن من وصف الشيء كقول عمرو بن كلثوم :

ونكرم جارنا مادام فينا
ونتبعه الكرامة حيث كانا

فتقصى بما يمكن أن يقدر عليه فتعاطاه ووصف به قومه، وهو غير الغلو لأن الغلو أن يكون الأمر المدعى غير ممكن عقلاً ويلزم أن يكون ممكناً كقول أبي نواس :

وأخفت أهل الشرك حتى أنه
لتخافك النطف التي لم تخلق

أما بيت عمرو بن كلثوم فممكن عقلاً وفعلاً(٨٣).

٥٨- **التفقير:**

هو أن يأتي في البيت ذكر نكتة أو بيت أو رسالة أو خطبة أو غير ذلك فيؤمئ إليها الشاعر أو الناثر مثل

قوله تعالى : ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ [الرحمن/ ٥٦] فإن امرأ القيس أومأ إليه بقوله :

من القاصرات لو دب محول

من الذر فوق الأتب منها لأثرا

ومنه قول الآخر :

ألوم زياداً في ركاكة رأيه

وفي قوله أي الرجال المهذب

وهل يحسبن التهذيب منك خلائقاً

أرق من الماء الزلال وأطيب

فقد أومأ إلى بيت النابغة وهو قوله :

ولست بمستبق أخا لا تلمه

على شعث وأي الرجال المهذب

وقد أخذ على من قال إن القرآن أومأ إلى قول امرئ القيس فوصف النساء بقاصرات الطرف وصف للنساء بالعفة والطهارة وقد وقع في كلام العرب ومدحوا به النساء وليس في كلام امرئ القيس فقط [٨٤].

٥٩ - الاقتضاء:

قال ابن النقيب : هو طلب الموعود بالوعد السابق وهو على ضربين حسن وخشن فالحسن مرغوب فيه لأنه يحصل المقصود وينجز الموعود وأما المذموم فهو سبب الحرمان وحسم لمادة الإحسان [٨٥].

وسماه ابن رشيق في العمدة الاقتضاء والاستنجاز، وقال : وقوم يدرجون العتاب في الاقتضاء والاقتضاء في العتاب وأنا أرى غير هذا المذهب أصوب فالاقتضاء طلب حاجة وبابه التلطيف فيه أجود فإن بلغ الأمر العتاب فإنما هو طلب الإبقاء على المودة والمراعاة وفي توبيخ ومعارضة لا يجوز معها بعد الاقتضاء إلا أن الناس خلطوا هذين البابين وساووا بينهما [٨٦].

ومن أمثلة الاقتضاء الحسن قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران/ ١٩٤] ومن الاقتضاء السيء قوله تعالى : ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الأعراف/ ٧٠].

٦٠ - القافية:

قال ابن رشيق : واختلف الناس في القافية ما هي ؟ فقال الخليل القافية من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه من قبله مع حركة الحرف الذي قبل الساكن والقافية على هذا المذهب وهو الصحيح تكون مرة بعض كلمة ومرة كلمة ومرة كلمتين، وهو يرى أن القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ولا يسمى الشعر شعراً حتى يكون له وزن وقافية .

وقد أورد رأي الأخفش وغيره في تعريف القافية وأتى بكلام كثير في الترجيح بين الآراء وتوضيحات أخرى كثيرة ليس هنا مجال سردها [٨٧].

٦١ - القواديسي:

هو نوع من الشعر، قال ابن رشيق : ومن الشعر نوع غريب يسمونه القواديسي تشبيها بقواديس السانية لارتفاع بعض قوافيه من جهة وانخفاضها في الجهة الأخرى فأول ما رأيته جاء به طلحة بن عبيد الله العوني :

كم للدمى بالخبتين من منازل

بمهجتي للوجد من تذكارها منازل

معاهد رعيلها مثعنجر الهواطل

لما نأى ساكنها فأدمعي هواطل

وهو مربوع الرجز تعمد فيه الإقواء وأوطأ في أكثره قصداً كما فعل في البيتين الأولين من هذه [٨٨].

٦٢ - التقييد:

هـو أحد علاقـات المجـاز المرسـل وهو كون الشـيء مقيداً بقيد أو أكثر نحو : ما أغلظ جحفلة زيد أي شـفته فجحفلـة زيد مجاز مرسـل علاقته التقييـد لأنها مقيدة بشفة الفرس (٨٩).

٦٣ - إلجام الخصم بالحجة :

أورد المؤلف مصطلح الإلجاء وعرفه بتعريف وملخص له وهو قريب من هذا المصطلح ولكنه لم يورد له إلا مثالاً واحداً، أما مصـطلح إلجام الخصـم بالحجـة فهو كما عند الزركشـي : الاحتجـاج على المعنى المقصـود بحجة عقلية تقطع المعاند فيه .

وقال الزركشي: والعجب من ابن المعتز في بديعه حيث أنكر وجود هذا النوع في القرآن وهو من أساليبه ومنه قوله تعالى : ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ [آل عمران/ ٢٢] وقوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس/ ٧٩] وقوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ [الإسراء/ ٩٩] ولم يورد من الشعر شيئاً وأورد أمثلة أخرى من القرآن (٩٠).

٦٤ - اللازمية:

هي إحدى علاقات المجاز المرسـل، وهي كون الشـيء يجـب وجـوده عند وجود شـيء آخر نحو طلع الضـوء أي الشمس فالضوء مجاز مرسل علاقته اللازمية لأنه يوجد عند وجود الشمس، والمعتبر هنا اللزوم الخاص وهو عدم الانفكاك(٩١).

٦٥ - الملزومية :

هي إحدى علاقات المجاز المرسل، وهي كون الشيء يجب عند وجوده وجود شيء آخر نحو : ملأت الشمس المكان أي الضوء فالشمس مجاز مرسل (٩٢).

٦٦ - الإلمام :

ذكر المؤلف هذا المصـطلح في موضعين وفي كليهما لم يعن به ما سـأذكره هنا، فقد أورده صـاحب مواد البيان بمعنـى آخر فقـال : الإلمام مأخوذ مـن قولهم : ألم فلان بفـلان إذا زاره، وهو أن يؤتى بكلمة في الفصـل الأول ثم يؤتى بها في الفصـل الثـاني قد قلبت حروفهـا مثل فرق وقـرف ونجم ومجن وفرش وشـرف .... إلـخ، ومنه قول بعضهم :

إذا رأيت الوداع فاصبرولا يهمنك البعاد

وانـتـظـر الـعـود مـن قـريـب

فـإن عـكـس الـوداع عـادوا

فالإلمام هنا بين البعاد وعادوا(٩٣).

٦٧ - الإلهاب والتهييج:

ذكره صـاحب الطراز في موضعين، والإلهاب إفعال مـن قولهم ألهب النار إذا أسـعرها حتى التهبت وطال لهبهـا والتهييـج تفعيـل من قولهم هاجـت الحرب إذا ثـارت (٩٤) أمـا في الاصـطلاح فهمـا مقـولان على كل كلام دال علـى الحـث علـى الفعـل لمن لا يتصـور منه تركـه وعلـى ترك الفعل لمن لا يتصـور منـه فعله ولكن يكون صـدور الأمـر والنهي ممن هذه حالـه على جهة الإلهـاب والتهييج له على الفعل أو الكف لا غير فالأمر مثالـه قولـه تعـالى : ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر/ ٢] ففي الموضـع الأول جعله الصـنف السابع والعشـرين مـن أنـواع البديع ممـا يتعلق بالفصـاحة المعنويـة، وفي الموضـع الآخر جعله الضـرب السـادس مـن أضـرب مـا يتعلـق بالفصـاحة المعنوية وقـد مثل للقسمين بنفس الأمثلة القرآنية .

٦٨ - ما يشبه التجنيس:

هـو الجناس غير التام عند المؤلف فقد قسـم المؤلف الجناس - وعنده هو التجنيس - إلى جناس تام وجناس غير تام، وعند ابن الأثير: التجنيس الحقيقي هو أن تتساوى حروف ألفاظه في تركيبها ووزنها كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم/ ٥٥] وليس في القرآن الكريم سوى هذه الآية وقد قال قبل ذلك: وعلى هذا فإني نظرت في التجنيس وما شبه به فأجري مجراه فوجدته ينقسم إلى سبعة أقسام واحد منها يدل على حقيقة التجنيس لأن لفظه واحد لا يختلف وستة أقسام مشبهة ثم قال: ما يشبه التجنيس وأما الأقسام الستة المشبهة بالتجنيس فالقسم الأول منها .... إلخ وقد فصل بإسهاب في هذه الأقسام الستة[٩٥] وفي الطراز عنده التجنيس قسمان: الأول هو التجنيس التام ويقال له: المستوفى والكامل أما القسم الثاني فيقال له الناقص والمشبه وجعله عشرة أضرب بينما اقتصر ابن الأثير على ستة أضرب[٩٦].

٦٩ - ما يقرأ من الجهتين:

هكذا ذكره ابن النقيب[٩٧] وهو نفسه ما يطلق عليه ما لا يستحيل بالانعكاس وقد ذكره المؤلف[٩٨].

٧٠ - ما يلحق باللزوم:

والمقصود ما يلحق بلزوم ما لا يلزم وقد أورد هذا المصطلح ابن الأثير بعد أن أورد لزوم ما لا يلزم فقال: واعلم أنه إذا صغرت الكلمة الأخيرة من الشعر أو من فواصل الكلام المنثور فإن ذلك ملحق باللزوم، ويكون التصغير عوضاً عن تساوي الحروف التي قبل روي الأبيات الشعرية والحروف التي قبل الفاصلة من النثر،[٩٩] فمن ذلك قول بعضهم:

عز على ليلى بذي سدير
سوء مبيتي ليلة الغمير
مقبضاً نفسي في طمير
تنتهز الرعدة في ظهيري

٧١ - ما يوهم فساداً وليس بفساد:

قال ابن النقيب: هو أن يقرن الناظم أو الناثر كلاماً بما ليس يناسبه أو يقدم التشبيه على ذكر المشبه ومنه في القرآن الكريم كثير وكذلك في أشعار العرب، فمن القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة/ ٢٣٨] قرنها بقوله: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [البقرة/ ٢٣٧] وأتبعها بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾ [البقرة/ ٢٣٤] فليس قبلها ولا بعدها ما يناسبها،[١٠٠] وقد أورد ابن النقيب أمثلة كثيرة من القرآن الكريم وأشعار العرب، ففي الآية السابقة قد يسأل البعض عن ورودها فيما يتعلق بالطلاق وشؤونه وقد سئل بعض أجلة أهل العلم فقال: لما أمر الله تبارك وتعالى بالمحافظة على حقوق الخلق ذكر لهم حقوقه وهو الصلاة ليجمع لهم في التعليم بين مراعاة حقوق الخلق والحق ليحصل لهم الكمال، ثم لما كانت حقوق الآدميين منها ما هو متعلق بالحياة وقد ذكر ذلك قبلها ناسب أن يذكر الحقوق المتعلقة بالممات.

ومنه قول امرئ القيس:

كأني لم أركب جواداً للذة
ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال
ولم أسبأ الزق الروي ولم أقل
لخيلي كري كرة بعد إجفال

قال بعض النقاد : إن هذا فاسد لأنه جعل التغزل مجاوراً للشجاعة في البيتين والأجود أن يجاور الشجاعة بالشجاعة والغزل بالغزل فيقول :

كأني لم أركب جواداً ولم أقل

لخيلي كري كرة بعد جفال

ولم أسبأ الزق الروي للذة

ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال

ولكن المتنبي رد عليهم بقوله : وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة ركوب الخيل للصيد وقرن السماحة في سباء الخمر للأضياف بالشجاعة في منازلة الأعداء .

٧٢ - الامتحان :

جعله صاحب الطراز الفصل الثالث في القاعدة الثالثة من قواعد الباب الثالث في مراعاة أحوال التأليف وبيان ظهور المعاني المركبة والقاعدة الثالثة فيما يجب فيه مراعاة أحوال التأليف بين الألفاظ المفردة والجمل المركبة حتى تكون أجزاء الكلام متلائمة آخذاً بعضها برقاب بعض، والامتحان عنده ما يمكن أن يكون عليه مراتب الكلام من الإفراط والتفريط والاقتصاد فمن المعاني ما يكون متوسطاً فيما أتي به من أجله فيكون اقتصاداً ومنها ما يكون قاصراً عن الغرض فيقال له تفريط ومنها ما يكون زائداً عن الحد فيكون إفراطاً فهذا الفصل يسمى الامتحان لما كان في الإفادة لمعرفة هذه الأمور الثلاثة فإذا عرفت ذلك فاعلم أن هذه الأمور الثلاثة أعني الاقتصاد والتفريط والإفراط لها مدخل في كل شيء من العلوم والصناعات والأخلاق والطباع ولا بد من بيان معانيها في الأوضاع اللغوية ثم نظهر نقلها إلى المعاني، وقد أسهب في التعريف بها ومثل لها بأمثلة كثيرة [١٠١].

٧٣ - التمكين :

قال صاحب الكليات : هو أن يمهد الناثر بسجعه فقرة أو الناظم لبيته قافية حتى تأتي متمكنة في مكانها مطمئنة فيه مستقرة في قرارها غير نافرة ولا قلقة ولا مستدعاة بما ليس له تعلق بلفظ البيت ومعناه بحيث لو طرحت من البيت نقص معناه واضطرب مفهومه بل يكون بحيث إن منشد البيت إذا سكت دون القافية كملها السامع بطباعه بدلالة من اللفظ عليها وقد جاء من ذلك في فواصل القرآن كل عجيبة باهرة [١٠٢].

وقال صاحب العقد البديع في فن البديع : ويسمى ائتلاف القافية وهو أن يوطئ الشاعر لقافية بيته توطئة حسنة تأتي القافية من ورائها متمكنة في مكانها غير نافرة ولا أجنبية بحيث لو طرحت لأختل المعنى ولو سكت عنها لكملها السامع الأديب بطبعه [١٠٣]، ومن ذلك قول أبي تمام :

قالوا أتبكي على رسم فقلت لهم

من فاته العين هدى شوقه الأثر

وقول المتنبي :

وهكذا كنت في أهلي وفي وطني

إن النفس غريب حيثما كانا

وقوله أيضاً :

يا من يعز علينا أن نفارقهم

وجداننا كل شيء بعدكم عدم

إن كان سركم ما قال حاسدنا

فما لجرح إذا أرضاكم ألم

٧٤ - النادر والبارد:

لم يعرفه ابن النقيب ولا ابن منقذ وقال ابن النقيب: فأما البارد فليس في القرآن منه شيء وأما النادر

فالقرآن مشحون به فإن أكثر ألفاظه نادرة الوجود ومعانيه مستوفية المقصود كل كلمة جامعة لمعان شتى، فمن الآيات التي لم ينسج على منوالها ولا سمحت قريحة بمثالها قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ .. ﴾... وقيل بعداً للقوم الظالمين [هود/ ٤٠] [١٠٤]، وقد قيل: إن في هذه الآية سبع عشرة لفظة تضمنت واحداً وعشرين ضرباً من البديع [١٠٥].

٧٥ - النسيب:

قال ابن رشيق في العمدة: هو الكلام الذي يفتتح به الشاعر كلامه وبه ذكر الحب والمحبوب وما يتعلق بهما، وحق النسيب عنده أن يكون حلو الألفاظ رسلها قريب المعاني سهلها غير كز ولا غامض وأن يختار له من الكلام ما كان ظاهر المعنى لين الإيثار رطب المكسر شفاف الجوهر يطرب الحزين ويستخف الرصين [١٠٦].

وقال ابن هشام الأنصاري في شرح بانت سعاد: النسيب عند المحققين من أهل الأدب جنس يجمع أربعة أنواع:

أحدها: ذكر ما في المحبوب من الصفات الحسية والمعنوية كحمرة الخد ورشاقة القد وكالجلالة والخفر.

الثاني: ذكر ما في المحب من الصفات أيضاً كالنحول والذبول والحزن والشغف. الثالث: ذكر ما يتعلق بهما من هجر ووصل وشكوى واعتذار ووفاء وإخلاف. الرابع: ذكر ما يتعلق بغيرهما بسببهما كالوشاة والرقباء [١٠٧].

٧٦ - تنسيق الصفات بغير حرف النسق:

قال ابن النقيب: هو أن تصف الشيء بصفات عديدة متوالية إما لتعظيمه وإما لتحقيره وإما لبيان خصوصية فيه، ومنه في الكتاب العزيز كثير، أما في التعظيم فمثل قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الحشر/٢٢] إلى آخر السورة، وأما في التحقير فكقوله تعالى: ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم. وأما لبيان الخصوصية وإظها ر الكرامة فكقوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ ﴾ [التحريم/٥] إلى آخر الآية، ومنه في السنة النبوية المطهرة قوله ﷺ: (ألا أخبركم بأحبكم إلي وأقربكم مني مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً الموطئون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون)، وفي الذم ألا أخبركم بأبغضكم إلي وأبعدكم مني مجالس يوم القيامة أسوؤكم أخلاقاً الثرثارون المتفيهقون. ومن الشعر من هذا الباب كثير ومنه قول العباس يمدح رسول الله ﷺ:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وقول حسان:

بيض الوجوه كريمة أحسابهم
شم الأنوف من الطراز الأول [١٠٨]

وسماه ابن رشيق في العمدة [١٠٩] ترادف الصفات فقال: ومن أغربها وهو يقصد المبالغة ترادف الصفات وفي ذلك تهويل مع صحة لفظ لا تخيل معنى كقوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ [النور/ ٤٠].

٧٧ - الهجاء:

هو ذكر الإنسان أو القوم أو القبيلة بما يكرهون من الصفات والأفعال وقال ابن رشيق: وخير الهجاء ما روي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال: خير الهجاء ما تنشده العذراء في خدرها فلا يقبح بمثلها كقول جرير:

لو أن تغلب جمعت أحسابها

يوم التفاخر لم تزن مثقالا

وقوله :

فغض الطرف إنك من نمير

فلا كعباً بلغت ولا كلابا

غير أن البيت الثاني أشد هجاء لما فيه من التفضيل فقد حكي عن محمد بن سلام الجمحي عن يونس بن حبيب أنه قال : أشد الهجاء الهجاء بالتفضيل وهو الإقذاع عندهم(١١٠).

٧٨ - هذا:

المعروف أن لفظة هذا اسم إشارة في الاستعمال النحوي يشار به إلى القريب والبعيد والمتوسط ولكنها لها استعمال بلاغي أيضاً فيما يعرف بالاقتضاب، قال ابن الأثير : ومن الفصل الذي هو أحسن من الوصل لفظة هذا وهي علاقة وطيدة بين الخروج من كلام إلى كلام آخر غيره كقوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴾ [ص/٤٥-٥٠] لا ترى إلى ما ذكر قبل هذا ؟ ذكر من ذكر من الأنبياء عليهم السلام وأراد أن يذكر على عقبه باباً آخر غيره وهو ذكر الجنة وأهلها فقال : هذا ذكر ثم قال : وإن للمتقين لحسن مآب ثم لما أتم ذكر أهل الجنة وأراد يعقبه بذكر أهل النار قال : هذا وإن للطاغين لشر مآب وذلك من فصل الخطاب الذي هو ألطف موقعاً من التخلص.

وقد وردت لفظة هذا في الشعر إلا أن ورودها فيه قليل بالنسبة للكلام المنثور، فمن ذلك قول الشاعر المعروف بالخباز البلدي في قصيدة أولها:

العيش غض والزمان غرير

. . . .

إلى قوله :

مل بي إلى جور السقاة فإنني

أهوى سقاة الكأس حين تجور

هذا وكم لي بالجنينة سكرة

أنا من بقايا شربها مخمور

هذه الأبيات حسنة وخروجها من شدق هذا الخباز البلدي عجيب ولو جاءت في شعر أبي نواس لزانت ديوانه(١١١).

٧٩ - الموجه:

ذكر المؤلف الموجه ولكن على غير المعنى الذي نذكره له هنا، فهو هنا المدح بشيء يقتضي المدح لشيء آخر وفي القرآن الكريم منه الشيء الكثير ومنه قوله تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾ [الفتح/ ٢٩] مدحه في أول الآية بالشدة على الكفار ثم بالخشوع والخضوع ثم بالتذلل وحسن المسألة ثم حسن السيماء وصباحة الوجه.

وكقول المتنبي :

نهبت من الأعمار ما لو حويته

لهنئت الدنيا بأنك خالد

أول البيت مدح بفرط الشجاعة وآخره بعلو الدرجة(١١٢).

أما الموجه الذي ذكره المؤلف فهو داخل في باب التصريع، وهو عند القزويني في الإيضاح الاستتباع(١١٣).

٨٠ - الوعد والوعيد:

هكذا سماه ابن النقيب[١١٤] وسماه ابن رشيق الوعيد والإنذار[١١٥] أما الوعد فهو إطماع بإحسان في المستقبل، وأما الوعيد فهو تخويف بسوء المجازاة في المستقبل تحذيراً من الوقوع في المخالفات.

وعنده الوعد قسمان : قسم متحقق الوقوع وهو وعد الله تعالى لقوله : ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [الزمر/ ٢٠] وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران/٩] ووعد مرجو وقوعه وهو وعد العباد وهو يكون في الخير والشر ولكن استعماله في الخير أكثر وقد ورد منه في القرآن الكريم الكثير ومنه قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ [مريم/ ٦١].

والوعيد منه في القرآن الكثير ومنه قوله تعالى : ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء/ ٩٣].

وقد أورد المؤلف مصطلح الوعيد على أنه من الأغراض التي يخرج إليها الاستفهام عن معناه الأصلي[١١٦].

٨١ - الاتفاق والاطراد:

أورد المؤلف مصطلحي الاتفاق والاطراد كلاً على حده ولكن ابن النقيب جمع بينهما وأورد شواهد لمصطلحه غير الشواهد التي أتى بها المؤلف، فعنده الاتفاق والاطراد أن يوفق شيئاً لا يتفق عاجلاً مثل قول أبي تمام :

لسلمى سلامان وعمرة عامر

وهند بني هند وسعدى بني سعد

وقوله أيضاً :

بحوافر حفر وصلب صلب

ومشاعر شعر وخلق أخلق

ومنه قول المتنبي :

وحمدان حمدون وحمدان حارث

وحارث لقمان ولقمان راشد

ثم قال : وهذه كلها تعسفات ليس في القرآن العظيم منها شيء[١١٧].

الهوامش

(١) معجم البلاغة العربية ١ : ٥ طبعة جامعة طرابلس وفي ص ٥ في طبعة دار المنارة للنشر والتوزيع جدة ؛ بيروت: دار ابن حزم .

(٢) ألف أحد الباحثين العراقيين هو عبده عبد العزيز قلقيلة كتاباً في نقد معجم البلاغة العربية سماه معجم البلاغة العربية (نقد ونقض).

(٣) معجم البلاغة العربية (نقد ونقض) ٣.

(٤) المثل السائر ٣ : ١٥٦.

(٥) الطراز ٥٦٦.

(٦) العمدة ٢ : ١٨٥.

(٧) المثل السائر ٣ : ١٣٩.

(٨) الطراز ٣٦٨.

(٩) جواهر البلاغة ٢٣٦.

(١٠) نفسه ٢٣٤.

(١١) الموشح ٣٦٢.

(١٢) الإيضاح ٦ : ٧٨.

(١٣) العمدة ٢ : ٢٦٤.

(١٤) اللسان (ت . ب . ج).

(١٥) عقود الجمان ١٣٣.

(١٦) نفسه ١٣٤.

(١٧) اللسان (ح . ب . ك).

(١٨) الإتقان في علوم القرآن ٢ : ١٨٣.

(١٩) البحر المحيط ٢ : ٢٩٣.

(٢٠) نفسه ونفس الصفحة .

(٢١) نفسه١ : ٤٨٣.

(٢٢) البرهان في علوم القرآن ٣ : ١٢٩.

(٢٣) الصناعتين ٤٤٨.

(٢٤) العمدة ٢ : ١٦.

(٢٥) نفسه ٤١٤.

(٢٦) نفسه ٢١٤.

(٢٧) نفسه ٣٤٧.

(٢٨) معجم البلاغة العربية ٧١٩.

(٢٩) العمدة ٢ : ٢٦٧.

(٣٠) الموشح ٣٢٥ .

(٣١) العمدة ٢ : ٢٦٧.

(٣٢) الصناعتين ٤٥٠.

(٣٣) جواهر البلاغة ٢٣٤.

(٣٤) الطراز ٣٩٩.

(٣٥) الصناعتين ٤٤٩.

(٣٦) معجم البلاغة العربية ٢٢١ .

(٣٧) خزانة الأدب ٣ : ٢٢٢.

(٣٨) البرهان في علوم القرآن ٣ : ٢٩٤ .

(٣٩) مقدمة ابن النقيب ٤١٦.

(٤٠) العمدة ٢ : ٢٤٧.

(٤١) الطراز ٤٧١.

(٤٢) العمدة ٢ : ٥٥.

(٤٣) البرهان في علوم القرآن ٤١٣.

(٤٤) نفسه ٢٧٠، ٢٩٦.

(٤٥) مواد البيان ٣٣٢ وينظر معجم البلاغة العربية ٢٦٣.

(٤٦) مقدمة ابن النقيب ٣٣٤.

(٤٧) المثل السائر ٢ : ٢٤١.

(٤٨) البرهان في علوم القرآن ٣ : ٣٤١.

(٤٩) الطراز ٤٧٨.

(٥٠) اللسان (س . ف . ف).

(٥١) الموشح ٣٢٤.

(٥٢) مقدمة ابن النقيب ٤٦٤.

(٥٣) الكليات ٣ : ٣١.

(٥٤) مقدمة ابن النقيب ٣٦١.

(٥٥) العمدة ٢ : ١١٦.

(٥٦) اللسان (ش . ب . ب).

(٥٧) البرهان في علوم القرآن ٣ : ٩٠.

(٥٨) مقدمة ابن النقيب ٤١٢.

(٥٩) الطراز ٣٧٧.

(٦٠) العمدة ٢ : ٢٧٧.

(٦١) البرهان في علوم القرآن ٣ : ٣٠٠.

(٦٢) العمدة ٢ : ٦٠.

(٦٣) نفسه ٢ : ١٢٥.

(٦٤) جواهر البلاغة ٢٣٤.

(٦٥) مواد البيان ٣٢٨.

(٦٦) مقدمة ابن النقيب ٤٢٠.

(٦٧) نفسه ٤١٩.

(٦٨) العمدة ٢ : ١٦٧ .

(٦٩) مقدمة ابن النقيب ٤٢١.

(٧٠) العمدة ٢ : ١٧٦.

(٧١) البرهان في علوم القرآن ٣ : ٤١١.

(٧٢) مقدمة ابن النقيب ٣٨٠.

(٧٣) معجم البلاغة العربية ٦٨٣.

(٧٤) العمدة ٢ : ٨٠.

(٧٥) جواهر البلاغة ٢٣٦.

(٧٦) نفسه ٢٣٤.

(٧٧) مغني اللبيب ٦٤.

(٧٨) الكليات ٣ : ٣٥٥.

(٧٩) معجم البلاغة العربية ٥١٧، ٥١٨.

(٨٠) العمدة ٢ : ٧٢.

(٨١) الموشح ١١٣.

(٨٢) الطراز ٤٧٢.

(٨٣) العمدة ٢ : ٥٥.

(٨٤) مقدمة ابن النقيب ٤٤٩.

(٨٥) نفسه ٤١٥.

(٨٦) العمدة ٢ : ١٥٨.

(٨٧) نفسه ١ : ١٥١.

(٨٨) نفسه ١ : ١٧٨.

(٨٩) جواهر البلاغة ٢٤٣.

(٩٠) البرهان في علوم القرآن ٣ : ٤٦٨.

(٩١) جواهر البلاغة ٢٣٣.

(٩٢) نفسه ٢٣٤.

(٩٣) مواد البيان ٣٣٤.

(٩٤) الطراز ٤٤٧، ٥٦٧.

(٩٥) المثل السائر ١ : ٢٦٨.

(٩٦) الطراز ٣٧٣.

(٩٧) مقدمة ابن النقيب ٤٩٥.

(٩٨) معجم البلاغة العربية ٦٤٢.

(٩٩) المثل السائر ١ : ٢٨٩.

(١٠٠) مقدمة ابن النقيب ٣٦٥.

(١٠١) الطراز ٣٤٥.

(١٠٢) الكليات ٢ : ٨٥.

(١٠٣) العقد البديع في فن البديع ٣١٠ .

(١٠٤) مقدمة ابن النقيب ٣٧٠.

(١٠٥) بديع القرآن٣٤٢.

(١٠٦) العمدة ٢ : ١١٦.

(١٠٧) شرح قصيدة كعب بن زهير ٤٦.

(١٠٨) مقدمة ابن النقيب ٣٩٥.

(١٠٩) العمدة ٢ : ٥٥.

(١١٠) نفسه ٢ : ١٧٠.

(١١١) المثل السائر ٣ : ١٣٩.

(١١٢) مقدمة ابن النقيب ٣٤٥.

(١١٣) الإيضاح ٦ : ٧٨.

(١١٤) مقدمة ابن النقيب ٤١٧.

(١١٥) العمدة ٢ : ١٦٧.

(١١٦) معجم البلاغة العربية ٧٤٠.

(١١٧) مقدمة ابن النقيب ٥٠٥.

المصادر والمراجع

- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،- ط٢ ،- بيروت : دار المعرفة (د . ت) .
- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ،- دار إحياء التراث العربي (د. ط) (د . ت) .
- بديع القرآن لابن أبي الإصبع ؛ تحقيق محمد حفني شرف ،- ط٢ ،- القاهرة : دار نهضة مصر للطبع والنشر (د . ت).
- البرهان في علوم القرآن للزركشي ؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،- ط٢ ،- القاهرة : مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه (د . ت) .
- جواهر البلاغة للسيد أحمد الهاشمي ،- ط٦ ،- بيروت : دار الكتب العلمية (د . ت) .
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي ؛ تحقيق عبد السلام هارون ،- ط١ ،- القاهرة : مكتبة الخانجي، ١٩٨٦م .
- شرح قصيدة بانت سعاد ؛ تحقيق محمود حسن أبو ناجي ،- ط٣ ،- دمشق ، بيروت : مؤسسة علوم القرآن، ١٩٨٤م.
- الصناعتين الكتابة والشعر لأبي هلال العسكري ؛ تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ،- ط١ ،- القاهرة : دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلوي اليمني؛ تحقيق محمد عبد السلام شاهين ،- ط١ ،- بيروت : دار الكتب، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .
- العقد البديع في فن البديع للخوري بولس عواد ؛ تحقيق حسن محمد نور الدين ،- ط١ ،- بيروت : دار المواسم للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق القيرواني؛ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ،- ط٤ ،- القاهرة: دار الجيل، ١٩٧٢م .
- الكليات «معجم في المصطلحات والفروق اللغوية» لأبي البقاء الكفوي؛ تحقيق عدنان درويش وآخر ،- ط١ ،- دمشق، سوريا : وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٨٢م .
- لسان العرب لابن منظور ،- بيروت : دار صادر (د . ط) (د . ت) .
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير ؛ تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة ،- القاهرة : دار نهضة مصر للطبع والنشر (د ت) (د . ط).
- معجم البلاغة العربية لبدوي طبانة ،- ط٤ ،- جدة : دار المنارة للنشر والتوزيع ؛ بيروت : ودار ابن حزم، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م .
- مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري ؛ بعناية محمد محيي الدين عبد الحميد ،- دار الشام للتراث (د . ط) (د . ت).
- مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن لمحمد بن سليمان البلخي الشهير بابن النقيب ؛ تحقيق زكريا سعيد علي ،- ط١ ،- القاهرة : مكتبة الخانجي، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- مواد البيان لعلي بن خلف الكاتب؛ تحقيق حسين عبد اللطيف ،- طرابلس، ليبيا : جامعة طرابلس ١٩٨٠م (د . ط).
- الموشح للمرزباني ؛ تحقيق علي البجاوي ،- القاهرة : دار الفكر العربي (د .ت) (د . ط) .

تاريخ القدس والخليل لمحمد الخليلي

بشير بركات

مدير دار إسعاف النشاشيبي للثقافة والفنون والآداب - القدس

الخليلي، محمد . تاريخ القدس والخليل .- لندن : مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٥هـ .- ٤٢٩ص.

صدر هذا الكتاب عن مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي في لندن عام ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، بعد أن تصدى لدراسته وتحقيقه محمد عدنان البخيت ونوفان رجا السواريه خلال إجازة للتفرغ العلمي من الجامعة الأردنية في العام الدراسي ٢٠٠٢-٢٠٠٣م. وجاء الكتاب في ٤٢٩ صفحة من القطع الكبير، وقدم له أحمد زكي اليماني رئيس مؤسسة الفرقان، حيث أشار إلى حرص المؤسسة على نشر التراث الإسلامي المخطوط.

ويعد كتاب تاريخ القدس والخليل من أهم مؤلفات الشيخ محمد الخليلي (ت ١١٤٧هـ/ ١٧٣٤م)، حيث أتحفتنا نسخته الفريدة المحفوظة في مكتبة بودليان في جامعة أكسفورد (مجموعة كلارك، رقم ٣٢) بمعلومات نادرة عن محافظ القدس والخليل رجب باشا (ت ١١٣٩هـ/ ١٧٢٦م) وعن مآثره في إصلاح ما أفسده أسلافه الذين حكموا المدينتين، إضافة إلى كثير من النصوص التي أثرت معارفنا حول القدس والخليل ومقام النبي موسى في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري.

وقد وضع المحققان الكبيران مقدمة طويلة هامة للكتاب، امتدت مع حواشيها حتى الصفحة رقم ١١٩، وشملت مختلف جوانب سيرة الشيخ محمد الخليلي ومكتبته وعصره، وألقت أضواءً على إنجازات رجب باشا التي بيّنها الشيخ الخليلي وثمّنها. وكما هو مأمول من المؤرخَين البخيت والسوارية، فقد شملت الحواشي توثيقات وتوضيحات وتعريفات تكاد لا تقل أهمية عن

الكتاب نفسه. وكذلك فقد تجلى تجرد المحققين في الحياد الأكاديمي التام إزاء بعض المفاهيم الواردة في كتاب الخليلي والتي تختلف حولها مواقف تيارات إسلامية معاصرة.

احتل متن الكتاب ١٠٤ صفحات من الحيز المطبوع (١٢٣-٢٢٦)، بينما امتدت حواشيه على الصفحات (٢٢٧-٣٠٣)، وفي الختام تم تثبيت المصادر والمراجع والكشافات والملاحق حسب الأصول والضوابط الأكاديمية المعتبرة ابتداء من الصفحة ٣٠٧ حتى آخر الكتاب.

ملاحظات عامة

لن أتطرق هنا إلى الإيجابيات الجمة التي أفادنا بها المحققان، حيث لا تخفى على المؤرخين المعنيين بتاريخ بيت المقدس والأرض المباركة حولها، وإنما سأحاول توضيح أو تصحيح بعض النقاط التي يغلب على ظني ضرورة الالتفات إليها من باب الحفاظ على دقة البيانات التي ننشرها، مع التأكيد المسبق على أن أهميتها لا تقارن بالإنجاز العظيم الذي حققه المحققان، كما أننا لا نتوقع من أي مؤرخ أن يحيط بالعلم كله أو أن يخلو عمله من الأخطاء، فالكمال لله وحده. وسأذكر ملاحظاتي حسب تسلسل نقاطها في الكتاب.

ففي أعلى الصفحة ٢٨، ورد ذكر «أحمد بن مزيد» (مع الحاشية رقم ٢٢٢ الواقعة في ص ٩٨، نقلاً عن السجل ٧٥، ص ٨٠-٨١، بتاريخ أوائل رجب ١٠٠٥هـ). لكن الاسم الصحيح هو «أحمد بن مُريد» والتاريخ الصحيح هو أوائل رجب ١٠٠٠هـ، وقد ورد ذكر أحمد ووالده مُريد بن كندر اليحياوي الرومي في عدة حجج، إضافة إلى أنني عثرت على مخطوط في المكتبة البديرية خلال فهرستي لها عليه عبارة تمليك: «اشتراه محيي الدين بن حاجي مريد بن كندر اليحياوي في القدس الشريف سنة ٩٨٠» ثم آل إلى أخيه «أحمد بن مريد المجاور في البيت المقدس».

ووردت في الفقرة التالية وقفية القاضي طه بن صالح بن يحيى قاضي القدس والبلد الحرام في ١٠ محرم ١٠٧٧هـ/١٣ تموز ١٦٦٦م، (حاشية رقم ٢٢٣، نقلاً عن السجل ١٦٢، ص٤٤١-٤٤٢، بتاريخ ١٠ محرم ١٠٧٧هـ). لكن الواقف طه الديري توفي عام ١٠٧١هـ/١٦٦١م، فقد ترجم له صاحب خلاصة الأثر (٢: ٢٦٠) وذكر توليته نيابة الحكم وكتابة الصكوك بمحكمة القدس (١٠٢٢-١٠٤٢هـ/١٦١٣-١٦٣٣م)، ثم نيابة الحكم في مكة عام ١٠٤٤هـ/١٦٣٤م، وأخيراً وفاته في ١١ رمضان ١٠٧١هـ. ولذا رجعت إلى السجل المذكور للتحقق من صحة التاريخ، فتبين أن ترويسة الحجة تشير إلى صورة وقفية قُيدت بالإذن الشرعي في ٣ رجب ١٠٧٣هـ/١٦٦٣م، أما الوقفية الأصلية فقد كُتبت بتاريخ ١٠ محرم ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م وليس عام ١٠٧٧هـ/١٦٦٦م.

ثم ورد في الفقرة التالية أن مكتبة محمد أمين أفندي ضمت ٣٨٣ كتاباً (حاشية رقم ٢٢٤، نقلاً عن سجل ١٣٠، ص ٨٦، بتاريخ ٦ رجب ١٠٥١هـ)، لكنني أعتقد أن عددها يبلغ حوالي ٢٧٠ كتاباً فقط. وفي نفس الفقرة تحدث المحققان عن وقفية مصطفى بن أبي الوفا العلمي (حاشية رقم ٢٢٥، نقلاً عن سجل ٢٠٢، بتاريخ ٢٩ ج٢

كان سفاكاً للدماء» ضمن الذين أرسلهم السلطان لتعمير المسجد الأقصى والحرم الإبراهيمي، وتم التعليق عليه في الحاشية رقم ٢٠٩: «لم نعثر له على ترجمة»، وكذلك بالنسبة لعلي آغا (ص ١٩٩، حاشية ٣٨٨)، وقد حاولت البحث عن هذين الاسمين في سجلات المحكمة في الفترة التي سبقت حكم رجب باشا فعثرت على النص التالي: «لما كان دفع مفخر الأكابر والأعيان الفخام إبراهيم أفندي الذي كان معيناً من طرف السلطنة العلية لتعمير المسجد الأقصى والصخرة المشرفة لمفخر الأعيان المكرمين خليل آغا المتولي سابقاً على وقف سيدنا خليل الرحمن على نبينا وعليه صلوات الملك الديان وعلى وقف الصخرة المشرفة مبلغاً قدره ثمانماية غرش وخمسة عشر غرشاً أسدية... لنقل الأخشاب والكرستة... [فتابع الأمر] علي آغا المتولي حالاً على وقف مسجد قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى». (السجل ٢٠٦، ص ١٨١، أواخر صفر ١١٢٢هـ/١٧١٠م).

وفي الصفحة ١٩١ ورد ذكر «الرامة» وتم التعليق عليها في الصفحة ٢٧٠ (حاشية رقم ٣٥٠) «الرامة (الرام)... من قرى القدس قضاء القدس، تبعد عنها مسافة خمسة أميال بين جبع وقلندية». والصحيح أن في ذلك خلطٌ بين قريتين، فالرامة المذكورة في كتاب الخليلي والموقوفة على مصالح المسجد الإبراهيمي هي تلك القرية الواقعة جنوب غربي جنين، أما الرام فهي قرية أخرى تقع شمال شرقي قرية بيت حنينا. ثم تكرر خطأ مشابه في الصفحة ٢٣٢ (حاشية رقم ٥٨) حيث ورد أن مقام شمويل يقع في قرية رامة إحدى قرى القدس، استناداً إلى كتاب الأنس الجليل (ج١: ص١١٧-١١٨؛ ج٢: ص ٧٦). لكن العليمي قال: «واسم القرية عند اليهود رامة»، ولم أعثر على أي مصدر عربي يذكرها بهذا الاسم، فهي عندنا قرية السيد شموئيل (انظر سجل ١١٢، ص ٣٥٩، شعبان ١٠٣٦هـ/١٦٢٧م) أو قرية النبي شمويل (انظر سجل ٤١٤، ص ٨٤، # ١٩٢، ١٤ ذق ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م)، حيث تكررت بهذا الاسم في عشرات الحجج في سجلات المحكمة. أما رامة (الواقعة في قضاء القدس والتي تحول اسمها إلى الرام في عهد الصليبيين) فهي تقع شمال شرقي قرية بيت حنينا، كما ذكرت آنفاً. ولعل الأمر يحتاج لبحث مطول. وفي الصفحة ٢٤٢ (حاشية رقم ١٥٤) ورد أن «المصعد: قبة تقع على قمة جبل الطور، وهي كنيسة الصعود». والواقع أن بعض أساتذة الجامعات المقدسيين أنفسهم يخلطون بين قبة المصعد وكنيسة الصعود. فقبة المصعد التي ذكرها الخليلي هنا هي تلك الغرفة الصغيرة الواقعة وسط الساحة الدائرية المكشوفة بجوار الزاوية الأسعدية جهة الغرب (هُدمت القبة إثر زلزال وأعيد بناؤها خلال الحكم المصري)، وفي أطراف الساحة قواعد أعمدة من بقايا كنيسة مهدومة، ذكر مجير الدين أنها هيلانية (الأنس الجليل، ٢: ٦١). وأما كنيسة الصعود فقد شيدها الروس شرقيّ المصعد وجنوبي مقبرة الطور الإسلامية عام ١٣٠٣هـ/١٨٨٦م، وبجوارها جرسية شاهقة يبلغ ارتفاعها ٤٠٠٠ قدم وتطل على البحر

الميت والبحر الأبيض المتوسط.

وورد في نفس الصفحة (حاشية رقم ١٥٥) النص التالي: «مقام مريم وتسمى الجيسمانية وتقع على سفح جبل الزيتون»، وربما ينبغي هنا أيضاً التمييز بين مقام السيدة مريم عليها السلام والجيسمانية، فالأول يقع في واد ستنا مريم (ويطلق عليه أيضاً واد أبو رجب) وهو يشكل في الواقع المقطع الأول من واد سلوان (أو واد جهنم)، ويقع هذا المقام شمال غربي القبر المنسوب إلى مجير الدين الحنبلي. أما الجيسمانية فهي أرض واسعة تمتد من جنوب غربي جبل الزيتون حتى أسفل واد جهنم، وقد شيدت عليها عدة مبان تشمل كنيسة كافة الأمم Church of all Nations وإلى الشمال الشرقي منها كنيسة ستنا مريم.

وفي الصفحة ١٩٣ (حاشية رقم ٣٧٢) ورد ذكر قرية الأنقر، مع تعليق عليها «لم تسعفنا المراجع التي بين أيدينا عن أي ذكر لها»، وأعتقد أنها مدينة أنقرة، حيث كانت قديماً قرية يطلق عليها أنقر، وإليها ينسب أحمد ابن محمد الأنقروي صاحب «فتاوى الأنقروي» (انظر الأعلام، ١: ٢٣٩).

وورد في الصفحة ٢٥٩ (حاشية رقم ٢٩٢) أن إجراءات رجب باشا شملت «استحداث وظيفة نظارة النظار على سائر الأوقاف بالقدس الشريف وغزة والرملة ونابلس والمجدل وجنين». لكنني أرجح أن تلك الوظيفة كانت موجودة في العهد المملوكي واستمرت طويلاً بعد زواله، فعلى سبيل المثال كان «إبراهيم بك ابن عبد الله ناظر النظار بلواء القدس الشريف» عام ٩٦٧هـ/١٥٦٠م (انظر السجل ٣٩، ص ٢٦٠، رجب ٩٦٧هـ). وقد استمر ذكر هذه الوظيفة حتى النصف الثاني من القرن الحادي عشر، ويبدو أن رجب باشا أحياها مجدداً.

هفوات هينات:

ومن الأخطاء والهفوات الإملائية واللغوية التي لا يخلو أي كتاب من أمثالها والتي يسهو عنها المؤلف ولا يتنبه لها إلا بعد طبع الكتاب، ما ورد في الصفحة ٢٧ حيث ذُكر «محمد خليفة بن إبراهيم» والصحيح «أمت خليفة بن إبراهيم» حسبما تكرر اسمه عدة مرات في السجلات.

وفي الصفحة ٨١ (حاشية رقم ١٠٧) وردت عبارة «محمد بن عمرو بن محمد العلمي» والصحيح أنه عمر.

وفي الصفحة ١٢٦ ورد «فلطال ما» وأعتقد أن الصحيح «فلطالما».

وفي الصفحة ١٣٤ وردت «قامع الكفرة اللآم» ولعل الصحيح هو «اللئام».

وفي الصفحة ١٥٦ وردت «أو مر بذلك» والمقصود «أو أمر بذلك»، كما وردت عبارة «الحب في الله والقبض في الله» وأعتقد أن المقصود «الحب في الله والبغض في الله»، والله أعلم.

وفي الصفحة ١٧٤ وردت كلمة «فيكف» والمقصود «فكيف».

وفي الصفحة ١٩٠ (حاشية رقم ٣٩٠) وردت عبارة «وقد قام مسؤولي قسم إحياء التراث»، والصحيح مسؤولو.

وفي الصفحة ٢٠٥ وردت «عثامنة (هكذا)»، ولم تكن

هنـاك حاجـة للتعجب منهـا، فهي جمع «عثمـاني» وهي قطعة نقد قليلة القيمة.

وفي الصـفحة ٢٩٠ (حاشـية رقـم ٤٨٣) تم تفسـير «الاسـتطراق» بأنها تعنـي «الطريق» ولكننـي أعتقد أنها تعني حق اسـتخدام الطريق فحسب وليس الطريق ذاته، وكان التأكيد على هذا الحق شائعاً في عقود البيع.

أخيراً أود الإعراب عن عظيم تقديـري للمحققين الكبيريـن وللخدمـات الجمـة التـي قدماهـا للتراث الشـامي عامـة والمقدسـي خاصـة. والحمـد لله رب العالمين.

تعقيبات

المستدرك على
تحقيق كتاب اللباب في علل البناء والإعراب
لأبي البقاء العكبري ٥٣٨-٦١٦ هـ

علي بن إبراهيم بن محمد السّعود

أستاذ النحو والصرف المشارك بقسم اللغة العربية وآدابها
بكلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية بجامعة القصيم

لما كان كتاب اللباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري (٥٣٨-٦١٦هـ) من المصنفات المتميزة في بابها، حيث عنيت بالتعليل للمسائل والأحكام النحوية، ومقولات النحويين، وأقوالهم، وغيرها، وكان له أثر في التراث النحوي، حيث أخذ العلماء مما ورد فيه مقتبسين، ولآراء أبي البقاء مناقشين، كان لإخراج الكتاب إلى المكتبة العربية أثر كبير، لما يحويه هذا الكتاب من تحليلات وتعليلات، يندر وجودها في كتاب نحوي.

وقد عني الباحثون بهذا الكتاب درساً وتحقيقاً، وكان من أوائل من حقق هذه الكتاب خليل بنيان الحسون، في دار العلوم بالقاهرة، لكن الكتاب ظل رهين المكتبة، ولم ير النور هذا التحقيق، إلى أن أخرجه كل من الأستاذين الفاضلين: غازي مختار طليمات وعبدالإله أحمد نبهان، عام ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، وهو من مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي، في مجلدين، حقق الجزء الأول غازي طليمات، والثاني عبدالإله نبهان.

ولا شك أن الاشتراك في تحقيق الكتب له إيجابياته وسلبياته، لأن العقول البشرية تتفاوت، وبخاصة في جوانب العلم، فدقة الفهم، وجودة النظر، وعلو الكعب في التخصص، والدربة في التحقيق، وأمور أخرى، تظل متباينة بين المختصين، ولا يمكن مهما كان العمل قد وصل إلى حد جيد من الإتقان إلا أن تتضح تلك الفوارق البشرية.

وقد وفقني الله في فترة سابقة من فترات البحث أن أعنى بهذا الكتاب قراءة ودرساً وتحليلاً، ومع التأمل حينها في نصوص أبي البقاء العكبري اعتورتني بعض الإشكالات في النص، فاضطررت إلى تصوير النسختين التي اعتمد عليهما المؤلفان، ونسختين أخريين، حتى تفسّر لي ما أغلق في النص.

وقد مكنتني هذه القراءة في الوقوف على بعض الهنات في التحقيق، ما جعلني أقابل المطبوع على النسخ المخطوطة التي بين يدي، وقمت بالتصحيح على نسختي المطبوعة

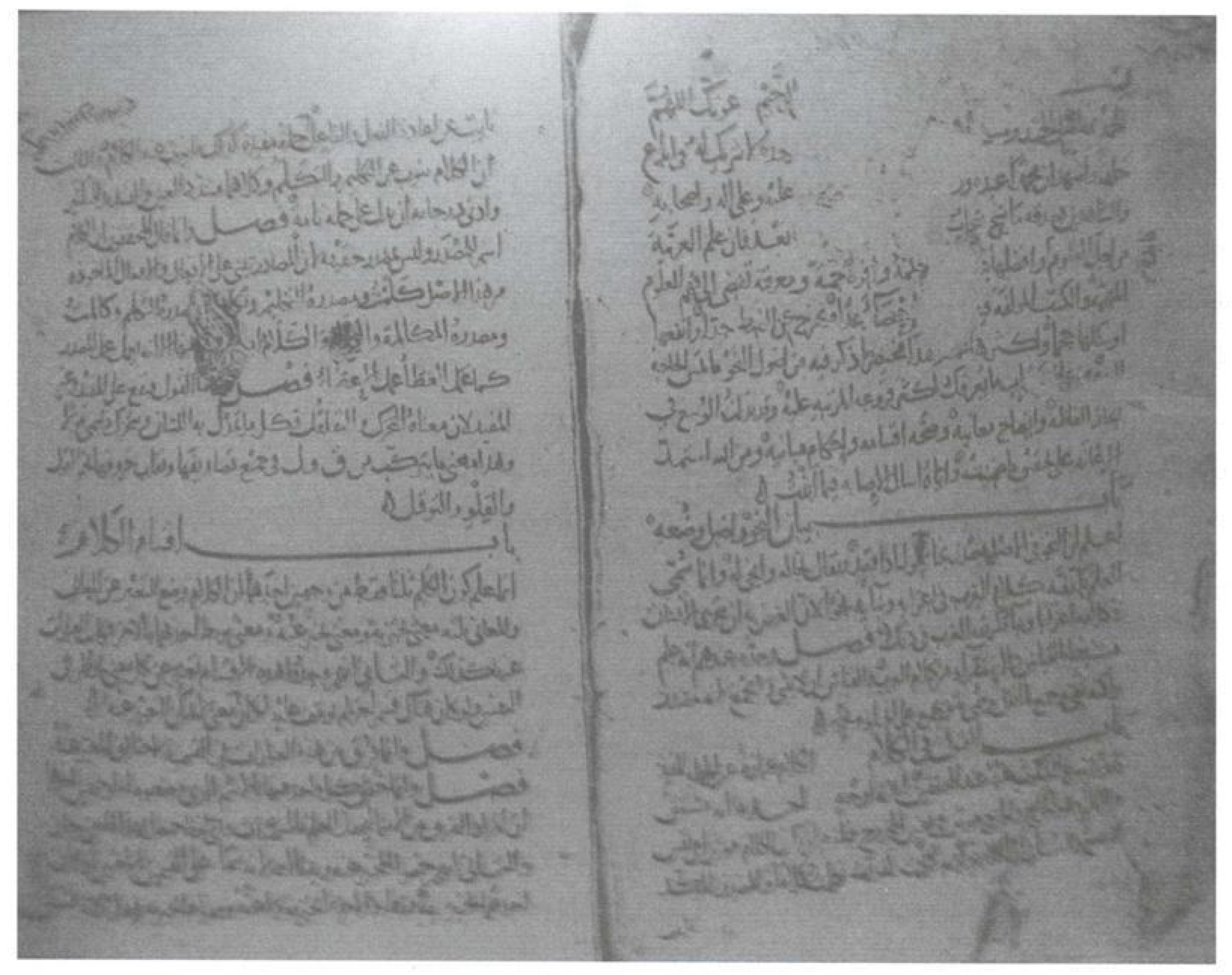


حينها، وتلك الهنات لا تنقص من عمل الأستاذين الفاضلين، فلهما سابقة في البحث والتحقيق لاتجهل، لكن مامن عمل بشري إلا وله بعض جوانب النقص التي ندرك بها فقرنا إلى المزيد من العمل والتدقيق، وتركت هذا الملحوظات بغية أن تعاد طباعة الكتاب، وتعالج تلك النواقص فيه، فرأيت المركز توقف عند هذا التحقيق، فرجعت إلى ملحوظاتي واستدراكاتي عليه؛ لأقدمها بين يدي الباحثين، لعلهم يجدون فيها مايفيد في مسيرتهم العلمية والبحثية، ومنهجي في التصحيح أني أضع النص الأصلي كما ورد في المطبوع، ثم أعيد كتابته مصححاً، واضعا السقط أو التحريف بين معقوفتين، والإحالة عن وجود التصحيح في أيٍّ من نسخ الكتاب المخطوطة، داعياً الله الصواب في القول والعمل، وأن ينفع بهذا العمل، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

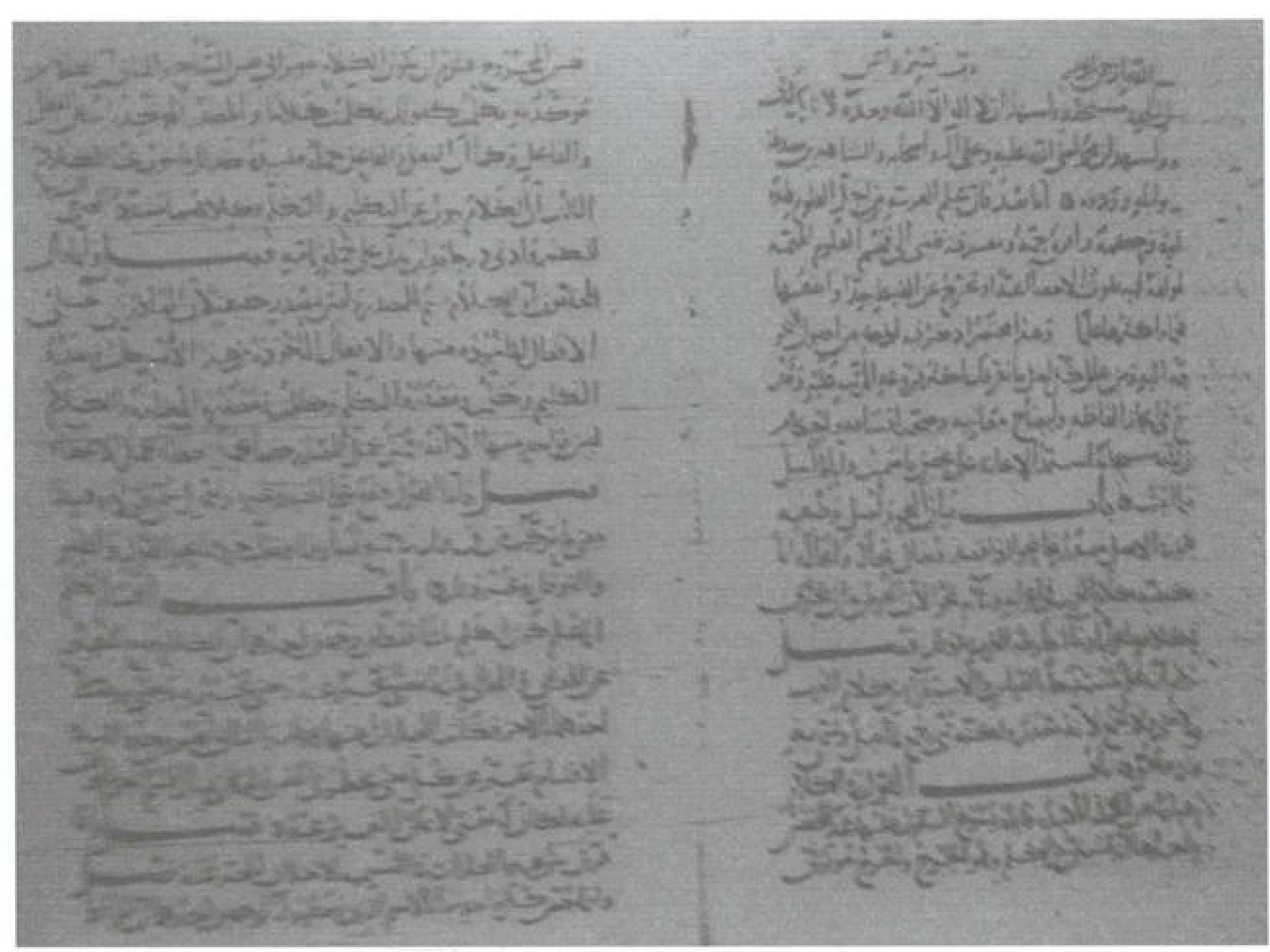
أولا: مخطوطات الكتاب:

اعتمد المحققان نسختين:

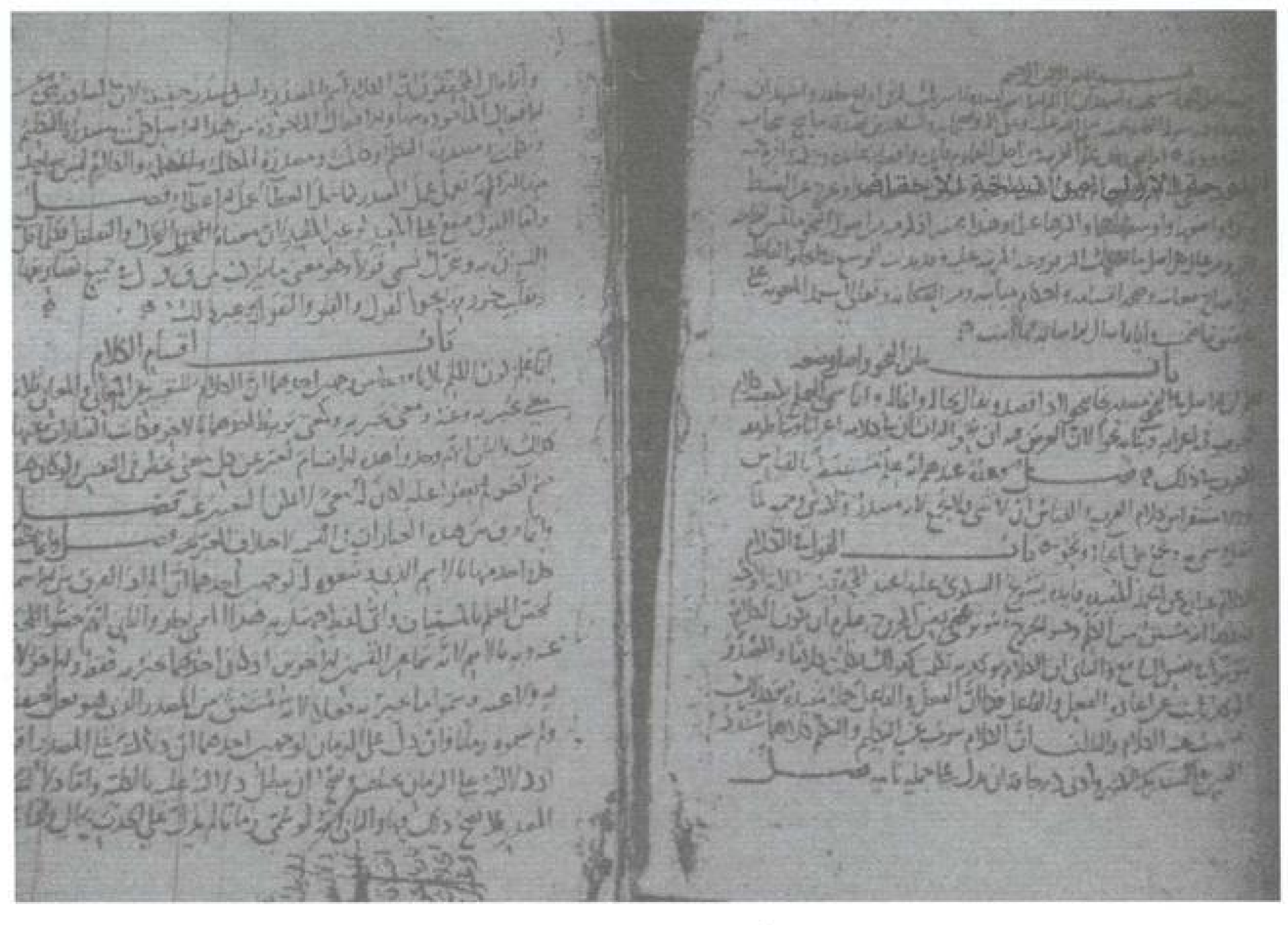
الأولى: نسخة الأحقاف، وقد رمزوا لها بحرف (ح)، وهي في مكتبة الأحقاف في اليمن الجنوبي،



اللوحة الأولى من نسخة الأحقاف



اللوحة الأولى من النسخة المصرية



اللوحة الأولى من نسخة جامعة الإمام





اللوحة الأولى من نسخة أم القرى

ورقمها (١٣ نحو تريم)، مكتوبة بخط النسخ، وقد كتبت سنة ٦١٢ هـ قبل وفاة المصنف بأربع سنوات، وعدد ألواحها (١٨٦) لوحاً .

الثانية : النسخة المصرية، وقد رمزوا لها بحرف (م)، وهي في مكتبة الأزهر، ورقمها (٥٦٠٢ نحو)، وقد كتبت بعد وفاة المصنف بسنة، عام ٦١٧ هـ وعدد ألواحها (٢٠٨) ألواح .

وصورت نسختين أخريين :

الأولى : نسخة مصورة عن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية برقم (ف : ٤٩٠٢)، وقد كتبت سنة ٦١١هـ .

الثانية : نسخة مصورة من مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى، برقم (٣٧٢)، وعدد الألواح فيها (١٥٧) لوحا، وهي نسخة جيدة، مضبوطة بالشكل .

ثانياً : مقدمة التحقيق :

جاءت مقدمة التحقيق (٢٨) صفحة، وقد تناولت شخصية العكبري ودراسة الكتاب، ويلاحظ الآتي :

١ - اكتفت الدراسة المختصرة للكتاب على الأفكار العامة.

٢ - أن النماذج القليلة التي اعتمدت عليها الدراسة، كلها من الجزء الأول في التحقيق، وهو الجزء المخصص لطليمات في التحقيق، فجعل الدراسة في ضوء هذا الجزء دون أن يحيل على الجزء الثاني .

ثالثاً : حواشي الكتاب :

يلاحظ على حواشي الكتاب في الجزأين ما يلي :

١ - كثرة النقول لنصوص العلماء من كتبهم، مع أن الحاجة لم تكن تقتضي نقل هذه النصوص، وإثقال الكتاب بحواش لا قيمة لها، ولو كان الجهد مقدّما لتخريج الأقوال من كتب أصحابها لكان العمل أجدى. وقد أكثر المحققان من نقل النصوص الطويلة من كتاب سيبويه، وكتابي سر الصناعة والمنصف لابن جني، وكتابي شرح المفصل وشرح التصريف الملوكي لابن يعيش، تتجاوز عشرة أسطر أحياناً .

٢ - عدم المنهجية في توثيق الأبيات من الدواوين، فمرة يحال على الديوان وأخرى لا يحال عليه مع وجوده .

٣ - أهمل المحققان تخريج كثير من الأقوال من كتب أصحابها .

رابعاً : نصّ الكتاب :

وقفت في الكتاب على جملة من التحريف والسقط، بيانها على النحو الآتي :

- ج ١ ص ٤٨ : في باب أقسام الكلم، يقول في المطبوع: «وحد الفعل ما أسند إلى غيره، ولم يسند غيره إليه . وذكر الإسناد ههنا أولى من الإخبار؛ لأن الإسناد أعم، إذ كان يقع على الاستفهام والأمر غيرهما» .

وصواب النص الآتي :

«وحد الفعل ما أسند إلى غيره، ولم يسند غيره إليه . وذكر الإسناد ههنا أولى من الإخبار؛ لأن الإسناد أعم، إذ كان يقع على الاستفهام والأمر [و [١]] غيرهما» .

- ج ١ ص ١٢٥ : في حديثه عن المبتدأ، يقول في المطبوع : «وإنما شرط فيه التجرد من العامل اللفظي؛ لأن العامل اللفظي إذا تقدم عليه عمل فيه ينسب إليه أكان فاعلاً أو ما أشبهه» .

وقد حاول المحقق قراءة الكلمة الملبسة في النص في الحاشية [٤] قائلاً : «كذا في م و ح . ولعل أصل العبارة: ونسب إليه العمل» .

وصواب النص الآتي :

«وإنما شرط فيه التجرد من العامل اللفظي؛ لأن العامل اللفظي إذا تقدم عليه عمل فيه [فينسب [٢]] إليه أكان فاعلاً أو ما أشبهه» .

- ج ١ ص ١٢٧ : يقول في المطبوع في حديثه عن العامل في المبتدأ : «ولا يجوز أن يكون العامل ما في النفس من معنى الخبر؛ لوجهين :

أحدهما : أن تصور معنى الابتداء سابق على تصور معنى الخبر، والسابق أولى أن يكون عاملاً .

والثاني : أن رتبة الخبر بعد المبتدأ، ورتبة العامل قبل المعمول، فيتنافيان .

والثالث : أن الخبر قد يكون فعلا، فلو عمل في المبتدأ لكان فاعلاً» .

وقد سقط في هذا النص سطران، يغيران مراد المصنف وتعليلاته للقول، حيث ألبس التقسيم في تكرار



كلمة الثاني على النص، وصواب النص: «ولا يجوز أن يكون العامل ما في النفس من معنى الخبر؛ لوجهين:

أحدهما: أن تصور معنى الابتداء سابق على تصور معنى الخبر، والسابق أولى أن يكون عاملاً.

[والثاني: أن معنى الخبر موجود مع "كان" و "إنّ" ولم يعمل.

ولا يجوز أن يكون الخبر عاملاً لستة أوجه:

أحدها: أن الخبر يكون جامداً كزيد وعمرو، والجامد لا يعمل[3]].

والثاني: أن رتبة الخبر بعد المبتدأ، ورتبة العامل قبل المعمول، فيتنافيان.

والثالث: أن الخبر قد يكون فعلاً، فلو عمل في المبتدأ لكان فاعلاً».

- ج ١ ص ١٢٨: في باب ذكر الأسماء المرفوعة، في حديثه عن ضعف قول أبي علي الفارسي، يقول في المطبوع: «والثاني: أن المبتدأ لو عمل في الخبر لم يبطل بدخول العامل اللفظي؛ لأنه لفظي أبضاً، ومن مذهبه أن العامل اللفظي لا يعمل في المبتدأ والخبر».

وصواب النص الآتي:

«والثاني: أن المبتدأ لو عمل في الخبر لم يبطل بدخول العامل اللفظي؛ لأنه لفظي أبضاً، ومن مذهبه أن العامل اللفظي [يعمل] في المبتدأ والخبر».

وذلك بحذف (لا) من قوله: لا يعمل في المبتدأ والخبر[4].

- ج ١ ص ١٤٣: في باب ذكر الأسماء المرفوعة، يقول في المطبوع: «فصل: إذا تقدم الظرف على الاسم، واعتمد على أحد سبعة أشياء: مبتدأ على أن يكون هو خبراً، أو صفة أو صلة أو حال».

وصواب النص الآتي:

«فصل: إذا تقدم الظرف على الاسم، واعتمد على أحد سبعة أشياء: [على المبتدأ بأن يكون هو خبراً، أو أن يكون[5]] صفة أو صلة أو حال».

- ج ١ ص ١٤٤: في باب ذكر الأسماء المرفوعة، يقول في المطبوع: «والمعمول تابع العامل، والتابع لا يقع موقعاً لا يقع فيه المتبوع».

وصواب النص الآتي:

«والمعمول تابع [للعامل[6]]، والتابع لا يقع موقعاً لا يقع فيه المتبوع».

- ج ١ ص ١٥٩-١٦٠: في باب مالم يسم فاعله، يقول في المطبوع: «وأما إقامة المصدر مقام الفاعل مع المفعول به، فللبصريين فيه مذهبان: أحدهما: لا يجوز؛ لأن المصدر يصل إليه في المعنى».

وصواب النص الآتي:

«وأما إقامة المصدر مقام الفاعل مع المفعول به، فللبصريين فيه مذهبان: أحدهما: لا يجوز؛ لأن المصدر [هو الفعل في المعنى[7]]».

- ج ١ ص ١٧١: في باب كان وأخواتها في المطبوع: «فصل: ولا تدخل (لام كي) على خبر كان؛ لأنها تدل على المفعول له، وهذا يجوز، والخبر لا يجوز حذفه».

وقد سقط من النص كلمة، وصواب النص الآتي:

«فصل: ولا تدخل (لام كي) على خبر كان؛ لأنها تدل على المفعول له، وهذا يجوز [حذفه[8]]، والخبر لا يجوز حذفه».

- ج ١ ص ١٨٤: في باب نعم وبئس سقطت كلمة تغيّر في رأي أبي البقاء العكبري للمسألة، يقول في المطبوع: «والثاني: أن المظهر ليس يراد به واحد بعينه، ففيه نوع

إبهـام . والمضـمر قبل الذكـر كذلك . وهذا مثـل قوله : ربّـه رجلاً، والاختيار أن يجمع بـين الفاعل والتمييز؛ لأن التمييز ههنا مفسر للمضمر، ولا مضمر» .

وقد سقطت كلمة (لا) في اختيار أبي البقاء، وصواب النص الآتي :

«والثـاني : أن المظهـر ليس يـراد بـه واحـد بعينه، ففيه نوع إبهام . والمضـمر قبـل الذكر كذلك . وهذا مثل قولـه: ربّه رجلاً، والاختيـار أن [لا [٩]] يجمع بين الفاعل والتمييز؛ لأن التمييز ههنا مفسر للمضمر، ولا مضمر» .

- ج ١ ص ٢٠٤ : في بـاب التعجـب، يقول في المطبوع : «فصـل : وتـزاد (كان) في التعجب نحو : ما كان أحسـن زيـداً، ولا فاعـل لهـا عنـد أبي علـي . وإنمـا دخلت تدل على المضـي . وقال السيرافي : فاعلها مصـدرها . وقال الزجاجي : فاعلها ضمير (ما)، وهذا ضعيف؛ لوجهين :

أحدهما : أنها لو كان كذلك لكانت هي خبر (ما) لا يكون هنا إلا (أفعل») . وصواب النص الآتي :

«فصل : وتزاد (كان) في التعجب نحو : ما كان أحسن زيداً، ولا فاعل لها عند أبي علي . وإنما دخلت [لتدل [١٠]] على المضي . وقال السيرافي : فاعلها مصدرها . وقال الزجاجي : فاعلها ضمير (ما)، وهذا ضعيف؛ لوجهين :

أحدهما : أنها لو كان كذلك لكانت هي خبر (ما)، [وخبر (ما) [١١]] لا يكون هنا إلا (أفعل») .

- ج ١ ص ٢١٢ : في بـاب (إنّ وأخواتهـا) يقـول في المطبوع : «فصـل : وإنما بطل ذلك؛ لأنها هيأتها لدخولها على الأفعال، كقولك : إنما قام زيد» .

وقد اجتهد المحقق في قراءة النص في الحاشية رقم (١) يقول : «يبدو أن في الفصل سقطاً، وأنه كان : ويبطل عمل هذه الأحرف إذا اتصلت بها (ما) الكافة . وإنما بطل ذلك» .

وقد سقط من النص سطر، وصواب النص كالآتي :

«فصـل : وإنمـا بطـل [عمـل هـذه الحـروف؛ لأنها عملت، لاختصاصها بالأسماء، وبدخول (ما) بطل [١٢]] ذلـك؛ لأنها هيأتها لدخولهـا على الأفعال، كقولك: إنما قام زيد» .

- ج ١ ص ٢٦٠ : في باب المصدر، يقول في المطبوع: «المصدر مشتق من: صدرت الإبل عن الماء، إذا انصرفت، وولته صدورها» .

وصواب النص الآتي :

«المصـدر مشـتق مـن : صـدرت الإبل عن المـاء، إذا انصرفت [عنه [١٣]]، وولته صدورها» .

- ج ١ ص ٢٦٩ : في باب مذ ومنذ، يقول في المطبوع: «فصل : و (منذ) مفرد عند البصريين، ومركب عند الكوفيين . واختلفوا في تركيبه : فقال الفراء : (من ذو) التي بمعنى (الذي) في اللغة الطائية» .

وصواب النص الآتي :

«فصل : و (منذ) مفرد عند البصريين، ومركب عند الكوفيين . واختلفوا في تركيبه : فقال الفراء : [أصله [١٤]] (من ذو) التي بمعنى (الذي) في اللغة الطائية» .

- ج ١ ص ٢٧٠ : في باب مذ ومنذ، يقول في المطبوع : «فنفي دعوى التركيب تحكم، لا يعلم إلا بخبر الصادق . ثم دعوى التركيب تفسد من جهة أخرى» .

وصواب النص الآتي :

«[ففـي] دعـوى التركيـب تحكـم، لا يعلـم إلا بخبـر الصادق . ثم دعوى التركيب تفسد من جهة أخرى» .



- ج ١ ص ٢٧٢ : في باب المفعول فيه، يقول في المطبوع: «فصل : وإنما عمل الفعل في جميع أسماء الزمان؛ لأن صيغة الفعل تدل عليه كما تدل على المصدر، إلا أن دلالتها على الزمان من جهة حركاته، وعلى المصدر من جهة حروفه، وكلاهما لفظ .

أحدهما : أنها تخص جزءاً من الجهة التي تدل عليها كالأمام ..» .

وقد سقط من النص سطر ونصف، وصواب النص الآتي :

«فصل : وإنما عمل الفعل في جميع أسماء الزمان؛ لأن صيغة الفعل تدل عليه كما تدل على المصدر، إلا أن دلالتها على الزمان من جهة حركاته، وعلى المصدر من جهة حروفه، وكلاهما لفظ .

[فصل : وأما ظرف المكان فيتعدى الفعل إلى مبهمه، وهي الجهات الست؛ لشبهها بظروف الزمان، وشبهها بها من وجهين :[15]].

أحدهما : أنها تخص جزءا من الجهة التي تدل عليها كالأمام ..» .

- ج ١ ص ٢٧٣-٢٧٤ : في باب المفعول فيه، يقول في المطبوع : «وقال الجرمي : هو متعد، مثل : بنيت، وعمرت، ونحو ذلك .

أحدها : أنه لو كان متعديّاً هنا لكان متعديّاً في كل موضع» .

وقد سقط من النص سطر، وصواب النص الآتي :

«وقال الجرمي : هو متعد، مثل : بنيت، وعمرت، ونحو ذلك .

[والدليل أنه لازم من أربعة أوجه :[16]]

أحدهـا : أنه لـو كان متعديّا هنا لـكان متعديّا في كل موضع» .

- ج ١ ص ٣١٩ : في باب كم، يقول في المطبوع : «ومما ألحق بكم (كأين) في الكثير، وفيها لغات» .

وصواب النص الآتي :

«ومما ألحق بكم (كأين) في [التكثير[17]]، وفيها لغات» .

- ج ١ ص ٣٤٥ : في باب الترخيم، يقول في المطبوع : «وبهذا المعنى سمّي الترخيم والنداء» .

وصواب النص الآتي :

«وبهذا المعنى سمّي الترخيم [في[18]] النداء» .

- ج ١ ص ٣٥٣ : في باب حروف الجر، يقول في المطبوع: «والأصل في الجر للحروف؛ لأمرين :

أحدهما : أن أصل العمل للأفعال، والحروف دخلت موصولة لها إلى الأسماء» .

وصواب النص الآتي :

«والأصل في الجر للحروف؛ لأمرين :

أحدهما : أن أصل العمل للأفعال، والحروف دخلت [موصلة[19]] لها إلى الأسماء» .

- ج ١ ص ٣٩٨ : في باب التوكيد في حديثه عن جمَع، يقول في المطبوع : «وأما التعريف فبوضعه توكيداً للمعرفة صار كالأعلام، وليس فيه أداة للتعريف، وأما (جمعاء) فلألفي التأنيث» .

وصواب النص الآتي :

«وأما التعريف فبوضعه توكيداً للمعرفة صار كالأعلام، وليس فيه أداة للتعريف، [وأما (أجمع) فلم ينصرف؛ لوزن الفعل والتعريف[20]] ، وأما (جمعاء) فلألفي التأنيث».

- ج ١ ص ٤٦٥ : في باب ما ينتصب بفعل محذوف، في حديثه عن لبيك وسعديك، يقول في المطبوع : «وقال سيبويه : هو مفرد، قلبت ألفه ياء مع المضمر، مثل : كلا».

وصواب النص الآتي :

«وقال [يونس[٢١]]: هو مفرد، قلبت ألفه ياء مع المضمر، مثل : كلا» .

- ج ١ ص ٤٧٥-٤٧٦ : في باب المعرفة والنكرة في حديثه عن (نحن)، يقول في المطبوع : «فصل : وإنما حركت النون؛ لئلا يلتقي ساكنان، وضمت النون؛ لثلاثة أوجه :

أحدها : أن الصيغة للجمع، و (الواو) تدل على الجمع، نحو : قاموا، والزيدون، والضمة من جنسها .

والثاني : أن الجمع أقوى من الواحد، فحرّك بأقوى الحركات، وهي الضمة، وهذا الضمير مرفوع الموضع، فحرك بحركة المرفوع» .

وهذا النص فيه زيادة وخلط وسقط، وصواب النص الآتي :

«فصل : وإنما حركت النون؛ لئلا يلتقي ساكنان، وضمت النون؛ لثلاثة أوجه :

أحدها : أن الصيغة للجمع، و (الواو) تدل على الجمع، نحو : قاموا، والزيدون، والضمة من جنسها .

والثاني : أن الجمع أقوى من الواحد، فحرّك بأقوى الحركات .

[والثالث : أن[٢٢]] هذا الضمير مرفوع الموضع، فحرك بحركة المرفوع» .

- ج ١ ص ٤٩٠ : في باب المعرفة والنكرة، في حديثه عن لام التعريف، يقول في المطبوع : «فصل : (اللام) وحدها للتعريف . وقال الخليل : الألف واللام للتعريف بمنزلة (هل ، وبل) . وحجة الأولين :

أحدها : أن التعريف الحاصل في الاسم يجعله غير النكرة، ولذلك إذا جاء آخر بيت نكرة، وآخر بعده معرفة لم يكن إبطاء» .

وقد حاول المحقق في الحاشية (٣) أن يصحح النص قائلاً : «يخيل إلينا أن في العبارة سقطاً، وأن أصلها : وآخر الذي بعده معرفة» ، مع أنه لا يحتاج لهذا التخيل؛ لكون الكلمة موجودة في النسخة التي حقق عليها.

وصواب النص الآتي :

«فصل : (اللام) وحدها للتعريف . وقال الخليل: الألف واللام للتعريف بمنزلة (هل، وبل) . وحجة الأولين:

أحدها : أن التعريف الحاصل في الاسم يجعله غير النكرة، ولذلك إذا جاء آخر بيت نكرة، وآخر [ما[٢٣]] بعده معرفة لم يكن إبطاء» .

- ج ١ ص ٥٠٢ : في باب ما لا ينصرف يقول في المطبوع : «فصل : وأما التأنيث فمسبوق بالتذكير، وفرع عليه؛ لوجهين :

فصل : والعدل : هو أن يقام ببناء مقام بناء آخر ..» .

وقد سقط فصل من هذا النص، وصواب النص الآتي:

«فصل : وأما التأنيث فمسبوق بالتذكير، وفرع عليه؛ لوجهين :

[فصل : وأما الوصف ففرع على الموصوف، وتابع له لفظاً ووجوداً[٢٤]].



فصل : والعدل : هو أن يقام ببناء مقام بناء آخر ..» .

- ج ١ ص ٥٠٦ : في باب ما لا ينصرف زاد المحقق عنواناً جديداً، هو باب مسائل المنع من الصرف، وهي زيادة لا داعي لها، وبخاصة أنه تأتي ضمن الباب نفسه، وغير موجودة في نسخ الكتاب المخطوطة .

- ج ٢ ص ٢٠ : في باب الأفعال، يقول في المطبوع : «مسألة : الفعل المضارع أعرب لشبهه بالاسم من أوجه :

أحدها: أنه يكون شائعاً، فتخصص بالحرف، كقولك: زيد يصلي، فيتحمل أن يكون في الصلاة» .

وصواب النص الآتي :

«مسألة : الفعل المضارع أعرب لشبهه بالاسم من أوجه :

أحدها: أنه يكون شائعاً، فتخصص بالحرف، كقولك: زيد يصلي، [فيحتمل[٢٥]] أن يكون في الصلاة» .

- ج ٢ ص ٢١ : في باب الأفعال، يقول في المطبوع : «فإن قيل «لمَ لمْ يجعل من أحكام الاسم غير الإعراب ؟» .

وصواب النص الآتي :

«فإن قيل : لمَ لمْ يجعل [له[٢٦]] من أحكام الاسم غير الإعراب ؟» .

- ج ٢ ص ٣٨ : في باب نواصب الفعل المضارع، قال في المطبوع : «ألا ترى أنه لا يجوز أن تقول : أمرتك تكرم زيداً، تريد بأن تكرم زيدا، فيتعين أن تكون هي الناصبة».

وصواب النص الآتي :

«ألا ترى أنه لا يجوز أن تقول : أمرتك [بتكرم[٢٧]] زيداً، تريد بأن تكرم زيداً، فيتعين أن تكون هي الناصبة».

- ج ٢ ص ٤٤ : في باب نواصب الفعل، يقول في المطبوع: «وقال الكسائي : النصب بـ (إلى) و (كي) بعد (حتى») .

وصواب النص الآتي :

«وقال الكسائي : النصب بـ [(اللام[٢٨])] و (كي) بعد (حتى») .

- ج ٢ ص ٩٤ : في باب قط، يقول في المطبوع : «وأما (جيرِ) فبمعنى (نعمْ) في أكثر الاستعمال، فهي حرف كـ (نعم) ، وحرّك بالكسر؛ لالتقاء الساكنين، ولم يكثر استعمالها ففتح كما فتحت (أينَ») .

وصواب النص الآتي :

«وأما (جيرِ) فبمعنى (نعمْ) في أكثر الاستعمال، فهي حرف كـ (نعم) ، وحرّك بالكسر؛ لالتقاء الساكنين، ولم يكثر استعمالها [فتفتح[٢٩]] كما فتحت (أينَ») .

- ج ٢ ص ٩٦ : في باب مايجوز في ضرورة الشعر، يقول في المطبوع : «اعلم أن ضرورة إقامة تدعو إلى جواز ماتمهّد في القواعد الكلية خلافه، ولذلك جاز للشاعر زيادة كلمات يقوم بها الوزن وحذف شيء ليصحح» .

وصواب النص الآتي :

«اعلم أن ضرورة إقامة تدعو إلى جواز ماتمهّد في القواعد الكلية خلافه، ولذلك جاز للشاعر زيادة كلمات يقوم بها الوزن وحذف شيء [يصحح الوزن[٣٠]]» .

- ج ٢ ص ١٧٨ : في باب جمع التكسير، خطأ في الضبط أدى إلى لبس في المعنى، يقول في المطبوع : «وحدّه: كلُّ اسمِ جمعٍ تغيّر فيه لفظ واحده» .

فقد أدى إضافة كلمة جمع إلى اسم إلى لبس في المعنى، وصوابه أن تكون وصفاً لاسم على النحو الآتي : «وحدّه : كلُّ اسمٍ، جمعٍ، تغيّر فيه لفظ واحده» . وكلمة

(جمع) موجودة في نسختي المحققين، وساقطة من النسختين الأخريين .

- ج ٢ ص ٢٤٤ : في باب زيادة حروف المد، يقول في المطبوع : «الهمزة في (الغرقئ)، وهو قشر البيضة الأسفل، أصل . وقال الزجاج : هي زائدة . قال : لأنه من معنى الغرق، لأن تلك الشجرة تغترق ماتحوي عليه» .

وصواب النص الآتي :

«الهمزة في (الغرقئ)، وهو قشر البيضة الأسفل، أصل . وقال الزجاج : هي زائدة . قال : لأنه من معنى الغرق، لأن تلك الشجرة تغترق ما [تحتوي [٣١]] عليه» .

- ج ٢ ص ٢٦٨ : في باب زيادة التاء، يقول في المطبوع: «والتاء في "تنضب" زائدة لأمرين : أحدهما : عدم النظير .... والثاني : أن (تنضبا) شجر طويل دقيق الأغصان، فهو من معنى : نضوب الماء، كأن الماء بَعُد عنه، ومثله : الشوط» .

وصواب النص الآتي :

«والتاء في "تنضب" زائدة لأمرين : أحدهما : عدم النظير .... والثاني : أن (تنضبا) شجر طويل دقيق الأغصان، فهو من معنى : نضوب الماء، كأن الماء بَعُد عنه، ومثله : [الشوحط [٣٢]]» .

- ج ٢ ص ٢٨١ : في باب البدل، يقول في المطبوع : «فإن قيل : لمَ فرقوا بين العوض والبدل فيما ذكرت ؟ البدل في اللغة من جنس المبدل منه يقام مقامه» .

وصواب النص الآتي :

«فإن قيل : لمَ فرقوا بين العوض والبدل فيما ذكرت؟ [قيل : [٣٣]] البدل في اللغة من جنس المبدل منه يقام مقامه» .

- ج ٢ ص ٢٨٩ : في باب البدل، يقول في المطبوع : «وقال أبو الفتح : قدّر الراء متحركة بحركة الهمزة المجاورة لها، كما همزوا الواو الساكنة، لانضمام ماقبلها نحو: المؤقدان، ومؤسى، ثم همزة الألف ..» .

وصواب النص الآتي :

«وقال أبو الفتح : قدّر الراء متحركة بحركة الهمزة المجاورة لها، كما همزوا الواو الساكنة، لانضمام ماقبلها نحو: المؤقدان، ومؤسى، [والسؤق، ثم أبدل من الهمزة ألفاً، كما قالوا في المرأة : مراة، وفي الكمأة : كماة، ثم همز [٣٤]] الألف ..» .

- ج ٢ ص ٣٩٧ : في باب مايجمع مسائل تنعطف على الأصول المتقدمة، يقول في المطبوع : «وأما بيض، فأصلها: بوض، مثل سود وحمر، إلا أن الياء في القياس نقلت واوا؛ لسكونها وانضمام ماقبلها» .

وصواب النص الآتي :

«وأما بيض، فأصلها : بوض، مثل سود وحمر، إلا أن الياء في القياس [قلبت[٣٥]] واوا؛ لسكونها وانضمام ماقبلها» .

- ج ٢ ص ٤١٧ : في باب ما يجمع مسائل تنعطف على الأصول المتقدمة، يقول في المطبوع : «فأما السبر فإنا سبرنا جميع أبنية الفعل فلم نجد ماعينه ولامه واو، بل وجدنا عكس ذلك، وهو ماعينه واو ولامه ياء، نحو : طويت، وشويت» .

وصواب النص الآتي :

«فأما السبر فإنا سبرنا جميع أبنية الفعل فلم نجد ماعينه [ياء[٣٦]] ولامه واو، بل وجدنا عكس ذلك، وهو ماعينه واو ولامه ياء، نحو : طويت، وشويت» .



الهوامش

(١) كما في جميع النسخ .

(٢) كما نسختي جامعة الإمام وأم القرى .

(٣) كذا في جميع النسخ .

(٤) "لا" غير موجودة في نسخ الكتاب، يضاف إلى ذلك أنه مخالف لرأي أبي علي في كتبه .

(٥) كما في نسخ الكتاب جميعاً .

(٦) كما في نسخ الكتاب جميعاً.

(٧) كما نسخ الأزهرية وأم القرى وجامعة الإمام .

(٨) الكلمة موجودة في جميع النسخ .

(٩) (لا) سقطت من نسختي المحققين، وهي موجودة في النسختين الأخريين، وهو مايتوافق مع رأي أبي البقاء العكبري في كتبه . انظر : شرح الإيضاح ص ٤٦٨ .

(١٠) هكذا في جميع النسخ .

(١١) هكذا في جميع النسخ .

(١٢) كما في نسختي جامعة الإمام وأم القرى .

(١٣) كما في نسخة جامعة الإمام .

(١٤) الكلمة موجودة في كل النسخ .

(١٥) الكلام موجود في جميع النسخ .

(١٦) الكلام موجود في جميع النسخ .

(١٧) كما في نسختي الأحقاف وجامعة الإمام .

(١٨) كما في جميع النسخ .

(١٩) كما في نسخ الكتاب كلها .

(٢٠) كما في نسختي الأحفاف وأم القرى .

(٢١) كما في نسخ الكتاب جميعاً .

(٢٢) كما في نسختي الأحقاف وأم القرى .

(٢٣) كما في نسختي الأحقاف وأم القرى .

(٢٤) كما في نسختي الأحفاف وأم القرى .

(٢٥) كما في نسختي الاحقاف .

(٢٦) كما في نسختي الأحفاف وجامعة أم القرى .

(٢٧) كما في نسخ الكتاب جميعاً .

(٢٨) كما في نسخ الكتاب جميعاً .

(٢٩) كما في نسخ الكتاب جميعاً .

(٣٠) كما في نسخ الكتاب جميعاً .

(٣١) كما في نسختي الأحقاف وجامعة الإمام .

(٣٢) كما في جميع نسخ الكتاب .

(٣٣) كما في جميع النسخ الكتاب .

(٣٤) كما في نسختي الأزهرية وأم القرى .

(٣٥) كما في نسختي الأحاقاف وأم القرى .

(٣٦) ساقطة من النسخ، وموجودة في نسخة أم القرى .